الدكتور
محمد المحجوب ولد بيه

موريتانيا جذور وجسور

الناشر



مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع



تعايش البيضان والشعوب السودانية في موريتانيا منذ القدم وما زالوا يتعايشون فيها حتى اليومِ رغم عوامل الاتحاد والانشطار ورغم تغير الأسماء وتعدد الروافد البشرية والثقافية.

وتعزز هذا التعايش والتداخل بمجيء الإسلام وما تلاه من هجرات عربية حديثة.

وقد امتزجت الأنساب البيضانية والسودانية على مر الزمن فالكثير من الناطقين بالبلارية والسوننكية والولفية يرفعون أنسابهم إلى أصول عربية كما أن الكثير من العرب تعود أنسابهم إلى أصول سودانية.

وهكذا شكلت كل الأعراق المذكورة لوحة حية متكاملة رائعة تجري في عروقها دماء كل الألوان وكل الثقافات وتضيء بشموس حضارتها بلاد العرب والمسلمين شمالا وشرقا وجنوبا.

ولا تغير الخلافات ولا النزاعات التي عرفها أهل هذا البلد، كسائر بلاد الدنيا، من حقيقة لا مراء فيها هي أنَ التعايش على هذه الأرض قد استمر بين أهلها على مدى الأزمان، تتمازج دماؤهم وتتشابك مصالحهم مصداقا لقول رهين المحبسين أبي العلاء المعري:

النساس للناس من بدو وحاضرة   بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

المؤلف



ISBN 9782366810929
9 782366 810929

لوحة الغلاف من إعداد
Marie Françoise De Larosière

موريتانيا
جذور وجسور

البشر، الدول، مقاومة الاستعمار

د. محمد المحجوب محمد المختار بيَّه

موريتانيا جذور وجسور

البشر، الدول، مقاومة الاستعمار



مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية: 1600
الترقيم الدولي: ISBN : 978-2-36681-092-9

الطبعة الأولى
2016

الناشر

مكتبة القرنين 15/21 للنشر والتوزيع
عمارة المامي - شارع كندي
ص ب : 6425 - انواكشوط - موريتانيا
هاتف : 39 89 30 36 222 + / 39 89 30 22 222 +
E-mail : ahme65delmeki@yahoo.fr



لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلاَدٌ بِأهْلِهَا   وَلَكِنَّ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

***

إهداء إلى

الجمهورية الإسلامية الموريتانية التي تحققت بفضلها، بعد ظلمات قرون، وحدة أجزاء من بلادنا الشاسعة فانطلقنا حثيثا نشيد الدولة ونستعيد هويتنا ذات الأبعاد المتكاملة: الإسلام والعروبة والأفريقية.

***

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

[سورة طه الآيات: 25- 28]

***

«إن على المثقفين أن يدرسوا تاريخهم وماضيهم لا ليفتخروا به ويجاملوه بل لكي يستنتجوا منه العبر...».

الكاتب السنغالي الكبير الشيخ أنتا جوب

***

فنية المؤرخ، في عمقها، ليست في عرض لوحة بديعة بماضي الإنسان، بل يجب أن تكون متواضعة وطموحة في وقت واحد، لأنها ترمي قبل كل شيء، إلى تقوية سلاح معاصريه لمعركة بناء المستقبل. ولذلك كان الضوء الذي ينير طريق المؤرخ، في أقصى ما يتناول من ابعاد الماضي، هو ضوء الاهتمام بالمستقبل.

جوزف هورس

لقد قدمنا لمجلس جائزة شنقيط كتابًا عنوانه: موريتانيا جذور وجسور، المقاومة السوننكية للاستعمار في ڤيدي ماغة. ونال الجائزة في 30 دجنبر 2012م. ولما عملنا على إخراجه في طبعته النهائية اعترضتنا صعاب فنية وعملية جعلتنا نقسم الكتاب إلى كتابين منفصلين، الأول هو «المقاومة السوننكية للاستعمار في ڤيدي ماغه»، وقد أصدرته منذ فترة بالعربية والفرنسية في نواكشوط مكتبة القرنين: 21/15. أما الثاني فهو الذي بين أيدينا.

تقديم

عندما طلب مني الوزير والدبلوماسي المعروف الدكتور محمد المحجوب ولد بيّه التقديم لهذا الكتاب انتابني شعور متناقض لكنه جميل في الآن ذاته : شعرت في البداية بالارتياح لأهمية العمل الذي طلب مني التقديم له. لكنني ما إن أمعنت النظر في الموضوع حتى شعرت بالقلق لإحساسي العميق بصعوبة المهمة ولمعرفتي بوجود من هو أفضل مني وأجدر للقيام بها ، لاعتبارات تتعلق بالتجربة والتخصص. ولهذا ، لم تكن المهمة سهلة ولا متيسرة.

ولولا الاطمئنان الذي أشعر به تجاه الرجل والقليل من الشجاعة لما قبلت التحدي لأنني عندئذ سأكون كراكب الموج لا يأمن ولا ينبغي له أن يأمن من الغرق.

والحقيقة أنه ليس من السهل التقديم لمؤلِّف حاز من الجوائز العلمية الوطنية أعلاها أعني جائزة شنقيط للآداب والفنون ونال من أكبر المنارات العلمية وأجلها أرفع الرتب العلمية وأسماها أعني منارة الأصالة والعلوم التقليدية محظرة أهل بيّه العريقة ومنارة المعاصرة والعلوم الحديثة جامعة السوربون وما تحمله تلك الجامعة من رمزية في مضمار التقاليد الجامعية.

ولعل أول ما شد انتباهي عندما قرأت هذا العمل هو غزارة المادة العلمية وسلاسة الأسلوب ووضوح الهدف وقدرة المؤلف على التغلب على عوائق الذاتية وعلى الأخطاء المتفشية في الكتابة التاريخية لدينا ومنها : التحيز وسرعة التصديق والمصانعة والمداهنة والتوجس من الأصل. وهذه الصفات أخطاء في الكتابة التاريخية وعوائق ابستمولوجية حقيقية لا يكاد يسلم منها أي عمل من الأعمال التي كتبت حول تاريخ بلدنا حتى الآن.

ويبدو جليا أن مؤرخنا الوزير، السفير كان على علم مسبق بكل تلك المزالق والأخطاء التي وقع فيها المؤرخون فتفاداها وقدم لنا من خلال هذا الكتاب مساهمة عظيمة في وضع الأسس السليمة للقراءة الموضوعية لتاريخنا. ولذلك، نجده يتناول دقيق الأحداث والجزئيات التاريخية محللا وناقدا في آن واحد بتمكن العالم ومنهج المؤرخ الذي يتحدث عن الواقع كما هو بلا أصباغ ولا ألوان.

إن كتاب: «موريتانيا: جذور وجسور» للوزير والسفير السابق أستاذ التاريخ المعاصر في المدرسة العليا للتعليم، هو من وجوه عديدة محاولة لتخليص هذا العلم الدقيق من صولة الغرباء وأشباه المؤرخين من أصحاب الأغراض الخاصة وكذلك من «النسّابة» الذين تباروا في وضع سلاسل الأنساب التي لا تشوبها شائبة مما لا يمكن العثور عليه حتى في شبه الجزيرة العربية ولا في ما جاورها، للاستعلاء على أقارنهم وبني جلدتهم.

إن الكتابة التاريخية عندنا ما تزال تتأثر بالعديد من العوائق الابستمولوجية وما يزال أكثر مؤرخينا لا يكتبون التاريخ بما هو علم بل يكتبون رؤاهم الذاتية الضيقة التي تتحكم فيها عوامل عديدة أيديولوجية وثقافية وجهوية وطرقية دينية تطغى فيها التبريرات الأيديولوجية على التحليلات العلمية الموضوعية.

لا يتحدث الذين يصدرون عن منابع قومية، مثلا، إلا عن العوامل الخارجية وخاصة الاستعمار ومشروعه الثقافي وعن مساعي فرنسا في تدمير «الهوية الحقيقية» للبلد ومساعيها للفصل بينه وبين سياقه الطبيعي العربي الإسلامي. وغالبا ما نجد لدى هؤلاء أهدافا محددة سلفا هي إعادة ترميم تلك الهوية وضمان استعادة ما ضاع من وحدتها وانسجامها فيتنكرون بذلك للاختلاف الموجود في بنية الأصل ذاتها.

ولا يتحدث الذين يصدرون عن منابع يسارية أو ماركسية إلا عن تأثير العوامل المادية متبعين في ذلك منهجا يعلي من الجانب المادي حتى لا يكاد يعتبر غيره ويسقط النماذج التفسيرية الماركسية على واقع يختلف في انبنائه الثقافي وسيرورته التاريخية عن المجتمعات البرجوازية الغربية.

أما أصحاب النزعات العرقية أو الخصوصية الثقافية الضيقة فغالبا ما يسعون إلى تعميق الغيرية الثقافية وتجذيرها والإمعان في إبراز الاختلاف بل وفي اختلاقه إلى حد لا يصبح معه التعايش السلمي أمرا ممكنا بين مكونات عرفت في مختلف مراحل تاريخها أصنافا متعددة من التفاعل الإيجابي والعيش المشترك أنتجت آثارا ثقافية ملموسة ومرئية ومسموعة وأنماطا من السلوك والعيش أكثر من أن تحصى أو تخفى.

وقد أدى هذا التجاذب بين القراءات المنتسبة إلى التاريخ إلى أضرار شديدة وخطيرة على انسجام الموريتانيين على اختلاف مشاربهم الثقافية وكاد تاريخنا أن يضيع بين مغالاة اليمينيين وزيغ اليساريين وسخط دعاة الغيرية الثقافية الجذرية.

ولكن من حسن الحظ أن يكون بين مثقفي ومؤرخي موريتانيا من يجعل الحق ومصلحة الوطن ووحدته نصب عينيه ومن يركز على ما يجمع لا على ما يفرق ويعمل على تأسيس مقاربة تاريخية تنطلق من الماضي لتوطيد هويتنا الثقافية الموريتانية الغنية بتنوع روافدها ويفتح آفاقا مبشرة تتعزز فيها كل الهويات في سياق التآلف والتكاتف لا في سياق التخالف والتعارض.

تلك هي خصائص هذا العمل الذي يشكل حلقة من مشروع فكري ورؤية لعلم التاريخ سماها الدكتور محمد المحجوب ولد بيه التاريخ من أجل المستقبل. وهي رؤية فكرية تعتمد على الوقائع لتثبت تعايش وتفاعل الموريتانيين تاريخيا وترى أن تجربتهم هذه هي من أقوى ما يضمن قدرتهم على النجاح في ذلك. يقول ولد بيه: «وهكذا شكلت كل الأعراق المذكورة

لوحة حية متداخلة متكاملة رائعة تجري في عروقها دماء كل الألوان وكل الثقافات وتضيء بشموس حضارتها بلاد العرب والمسلمين شمالا وشرقا وجنوبا. ولا تغير الخلافات ولا النزاعات التي عرفها أهل هذا البلد، كسائر بلاد الدنيا، من حقيقة لا مراء فيها هي أَن التعايش على هذه الأرض قد استمر بين أهلها على مدى الأزمان، تتمازج دماؤهم وتتشابك مصالحهم .....ولم تكن النزاعات ذات طابع عرقي يوما وما خرجت عن حد المألوف وما كانت بين لكور والبيضان بأكثر منها داخل أي من المجموعتين».

إن التجربة التي يؤسس لها هذا العمل والأعمال الأخرى التي أصدرها المؤلف في نفس السياق، تنقلنا إلى عتبة مهمة لمستقبل علم التاريخ في بلادنا وهي إعادة كتابة التاريخ وتخليصه من الأخطاء القاتلة وفي مقدمتها التوجس من الأصل وافتراض التجانس في ما ليس متجانسا وافتراض الاختلاف والانفصال رغم الجسور والروابط الاقتصادية والاجتماعية والروحية الوطيدة التي لم تنقطع يوما من الماضي السحيق إلى العصور الحديثة: في ظل التكتلات السياسية الصنهاجية أو في ظل الممالك الزنجية أو الإمارات «الحسانية - الصنهاجية». وتلك هي الجذور التي جمعتنا في الماضي ونشأ عنها الحاضر بتعقيداته وتحدياته وهي ذاتها التي يجب أن نبحث من خلالها عن الجسور التي سنعبر منها بأمان إلى المستقبل.

الدكتور/ البكاي ولد عبد المالك

أستاذ جامعي، وزير التعليم العالي سابقًا

انواكشوط: 11- يونيو 2015م.



مدخل

إنما يكتسب النظر التاريخي جدواه ويحوز مشروعيته بما يقدمه لمتعاطيه من أسس سليمة للتعامل مع قضايا الإنسان ومشكلات المجتمع. وبمنظور التاريخ والبحث العلمي الرصين؛ يتوصل للحلول المُثلى لكل ما يعرض من كبريات الأمور وينزل من عويصات القضايا النظرية والعملية.

وبناء على هذا التصور، تكون مهمة المؤرخ أن يعقد جسورا بين الحاضر والماضي وتكون أهمية العمل التأريخي هي في تسخير الماضي للحاضر والمستقبل دون ذاتية مفرطة ولا تحريف بل باستلهام القيم الناظمة لتاريخ شعب ما وإبراز فترات قوته وازدهاره وبمحاولة فهم عوامل ضعفه في فترات أخر لدفع مسيرته التاريخية العامة إلى الأمام.

وتجسيدا لهذه الرؤية التي سميناها «التاريخ من أجل المستقبل» يحاول هذا الكتاب الإسهام في إبراز الجذور المشتركة للشعب الموريتاني. وهي جذور ضاربة في التاريخ، جذور شعب واحد في تنوعه متنوع في وحدته.

ولعل إبراز تلك الجذور يقوي ما وهى من جسور التواصل التي انعقدت على مر الزمن بين أطياف الشعب الموريتاني. ولعله أن يشد الأواصر بين مكونات هذا الشعب التي طالما عاشت تحت خيمة الوطن الواحدة وفي أخصاصه، تتفاعل ويثري بعضها بعضا، تتخاصم ويباهي بعضها بعضا ولكنها تتحد وتقف سدًا منيعًا أمام ما يهدد وطنها ودينها ووجودها.

ومما دفعنا إلى الاهتمام بهذا الموضوع، قلقنا أن تكون المخاطر التي تهددت وطننا في وحدته ووجوده إبان نشأة الدولة الحديثة ما زالت قائمة، بل وأن يكون شأنها قد تفاقم في الآونة الأخيرة. كيف لا وقد التبس الأمر على البعض وشك في نفسه وهويته وطفق يجاهر بذلك في كل محفل وكل

مقام، بل وغدا يبث تلك الشكوك في عقول الناشئة من أبناء وطنه.

ولعل مما هيأ الأسباب لنشوء مثل هذه الشكوك وظهور تلك النزعات، غياب الدرس التاريخي الوطنى عن المنهاج المحظري التقليدي الذي تشكل من خلاله الوعي الديني والخطاب الحضاري لهذه البلاد. وقد فطن الشيخ باب ولد الشيخ سيديا إلى هذا النقص وعجب كيف أن علماء البلاد وأدباءها «على فضلهم ونبلهم...لم يعتنوا بتاريخها في كتاب معتبر من أول الزمان مع كثرة ما وقع فيها من الأمور الكبار التي ينبغي الاعتناء بكتابتها[1].

وكان جل ما ألف في هذا الصدد - على قلته - ناتجا عن احتكاك حضاري بـ«آخر» في الشرق أو في الغرب وموجها لغايات ظرفية تحد من مداه. ثم إن المؤرخ الموريتاني انشغل وشغل قديما بدراسة أنساب القبائل والأسر والتعريف ببعض الأعلام وأهمل دراسة الدول والتنظيمات السياسية التي عرفتها البلاد كما أهمل دراسة القوميات المكونة للمجتمع الموريتاني وعلاقاتها ببعضها.

وتجد من وفق لطرق هذه الموضوعات المركزية، يغفل البعد الوطني فيها ولا يولي عناية تذكر للبحث في ما يثبت وجود المجتمع ككيان قائم بذاته ولا بمسيرته العامة على غرار ما شغل به المؤرخون والإجتماعيون في جميع الشعوب المتحضرة، مهما تعددت منابعها العرقية. وإنما يحضر هذا الاهتمام أو يغيب تبعا لدرجة الوعي بأن الدرس التاريخي الرصين أحد أهم الروافد المغذية لروح الوطنية وبأنه من أهم ركائز وحدة الدول.

وكما خلا المنهج المحظري من الدرس التاريخي، لم تدخله الدولة

(1) ولد الشيخ سيدي (الشيخ سيدي بابه): إمارتا إدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق: بن محمد محمود (إزيد بيه). المعهد التربوي الوطني. الطبعة الثانية. نواكشوط. 1994م، ص: 90.

المستقلة المعاصرة إلى المدارس إلا بعد فترة طويلة. وهو ما يزال يحتاج جهدا أكبر لرفع مستواه وقيمته معا.

ومعرفة التاريخ الوطني ضرورة للمربي، واجبة على كل مسؤول فهي التي تساعد على فهم الواقع وتحليله ونقده وتمكن من التعامل مع المجتمع والدولة. والدرس التاريخي الوطني ركيزة لا غنى عنها لبناء أجيال تعرف وطنها وتقدره وتتمسك به ومستعدة للدفاع عنه. وإن من واجب أجيالنا الصاعدة أن تعي تاريخ وطنها فهو نسبها الحقيقي وهو نسبها الموحد وهو نسبها الذي لا ينظر إلى عرق ولا جهة ولا قبيلة.

يتكون هذا الكتاب من:

الجزء1: مقدمات نظرية علمتنا تجربة التدريس كم هي مهمة لسد ثغرات يعاني منها طلاب التاريخ وخصوصا ما يتعلق منها بأسئلة مفاهيمية ونظرية تبقى الإجابة عليها ضرورية ولا غنى للطالب عنها. ولئلا يخرج الكتاب عن غرضه، اقتصرنا على تعريف التاريخ وتبيان أهميته ومصادره وكذا الإشارة إلى خطوات البحث التاريخي.

الجزء 2: موريتانيا: الأرض والتاريخ: تناولنا فيه الإطار الجغرافي للبلاد الموريتانية فتكلمنا عن طبيعتها والمراكز الحضرية القديمة فيها. كما تناولنا صيرورة تشكل الشعب الموريتاني من شعوب متعددة امتزجت عبر التاريخ وكونت دولا امتدت من امبراطورية غانه التي ظهرت قبل الإسلام وحتى دولة الأئمة في ق 18 مرورًا بدخول الإسلام وبدول المرابطين ومالي والسونغاي والآسكيا والتكرور والامارات.

الجزء3: أوروبا على الشواطئ الموريتانية، نهاية عهد وبداية عهد: تناول الظاهرة الاستعمارية كظاهرة تاريخية مرتبطة بالتطورات الاقتصادية والسياسية والفكرية التي عرفتها أوروبا مع عصر النهضة ثم امتداد هذه الظاهرة إلى الشواطئ الموريتانية فالبر الموريتاني حتى استعمار البلاد

أوائل ق 20.

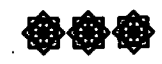
الجزء4: احتلال موريتانيا: كان استعمار البلاد حدثا غير مسبوق قلب الموازين وطبع ما بعده. وقد جرى هذا الاستعمار على مراحل وواجهته مقاومة مسلحة قل نظيرها في البلدان المشابهة. وتناول الجزء الرابع ذلك الاحتلال وبعضا من مراحل مقاومته.

الجزء5: الاحتلال والمقاومة المدنية: لقي الاستعمار مقاومة اجتماعية وثقافية أبعد أثرا وأطول نفسا وأعم انتشارا، حافظ بها الموريتانيون على هويتهم الإسلامية العربية الأفريقية، كانت المحاظر قطب رحاها وطليعة قادتها، تلك المقاومة الثقافية هي موضوع هذا الجزء.

وقد اتبعنا هذه الأجزاء بخاتمة ثم ملاحق مكملة وموضحة لمضامين الكتاب.

وأرجو أن يكون هذا العمل مساهمة فى التعريف بوطننا وفي بث الاعتزاز به والتوعية بتاريخه المشترك ومستقبله الواحد.

المؤلف



الجزء الأول
مقدمات نظرية

تعريف التاريخ: ما هو التاريخ ؟

ليس من السهل تعريف مفهوم التاريخ. لذا أخذت صياغة تعريف كهذا جهدا كبيرا من المؤرخين والفلاسفة وعلماء الاجتماع.

وقد اقترحوا تعاريف عديدة، منها المقتضب ومنها الطويل، تتعلق بالأصل اللغوي لكلمة التاريخ ومعالم حدود حقلها الدلالي.

- التاريخ في اللغة العربية يعني الزمن وبيان الوقت وإثبات الواقعة الجديدة الخ... والمرادف اللغوي لكلمة التاريخ عند الأوروبيين مأخوذ من Historia اليونانية ومعناها شاهد عيان أو الشاهد. ومعنى التعريفين هو التحديد الزمني للوقائع والأحداث لإثباتها مع البحث والتقصي(1).

- التاريخ هو الجواب عن مسألة مطروحة. يقول جوزف هورس إنه علم التصرف بالنصوص والإفادة منها. ويقولLanglois & Seignobos في كتابهما: «ما يستفاد من درس التاريخ»، الصادر سنة: 1898م إن التاريخ يكتب بالاستناد إلى وثائق(2).

- ويعرف الجبريون التاريخ بأنه نص ألفته القدرة الإلهية وأوكلت تمثيله للإنسان. ومما يعبر عن هذا المعنى قول العالم الموريتاني محمد فال ولد متالي:

العبد في الظاهر ذو اختيار والجبر باطنا عليه جار
وكان من عجائب الجبار أن يجبر العبد بالاختيار

ويحتاج هذا التعريف إلى مناقشة ورد لأن القرآن الكريم يدعو إلى

(1) الدسوقي (عاصم): البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات. دار الجيل بيروت 1991م، ص: 7، وما بعدها.

(2) انظر: هورس (جوزف): قيمة التاريخ. ترجمة نسيم نصر، منشورات اعويدات بيروت 1974م، ص: 10، 66.

السعي وإعمال وإمعان النظر وإلى الاستفادة من الحاضر والاستعداد للمستقبلين الدنيوي والأخروي. والآيات والأحاديث النبوية كثيرة في هذا المعنى. ومنها: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[2]. والآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3]. كما أن الأحاديث في هذا المعنى كثيرة كقوله ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها**» رواه أحمد. ومن هذا المعنى، كلمات مأثورة تعزى للخليفة الراشد علي ابن أبي طالب ﷺ مثل: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخراك كأنك تموت غدا**». وهكذا فالكسل الفكري والاتكالية والتواكل والاعتماد على الغيب أو الجبرية المطلقة، كلها أمور تتنافى مع مقاصد الإسلام[4].

وقد أبرز الشاعر المفكر الباكستاني محمد إقبال في كتابه: «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام» أن التاريخ: «وفقا لنظرة الإسلام هو ديناميكي بجلاء تام والله مبدع على الدوام»[5]، ولعل التعريف الخلدوني للتاريخ هو الأشمل والأكثر استمرارًا في التأثير في الفكر العربي بل والعالمي. يقول ابن خلدون: «اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء

---

(1) سورة النجم الآيات: 39-41.

(2) سورة الحشر الآية: 18.

(3) سورة الرعد الآية: 11.

(4) للمزيد انظر: المنجرة (المهدي): الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء. المملكة المغربية: 1991م، ص: 273.

(5) انظر ما نقله Aban G. Widgery في كتابه: المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم بيروت لبنان 1972، ص: 138.

في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فريما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط[1].

ويتلخص ما ورد فى أن: «التاريخ فى ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ... تؤدى لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال ... وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق»[2].

ونلاحظ أن ابن خلدون يميز هنا بين مستويين من كتابة التاريخ: مستوى ظاهر يقتصر على عرض الوقائع وسرد الأحداث ومستوى آخر تقني يعتمد منهجا محددا من التحقيق لتعليل الوقائع والتفتيش عن أسبابها ووضع قوانين عامة للصيرورة التاريخية.

- ويعد تعريف الموسوعة العربية الميسرة أكثر حداثة وهو توضيح مبسط لمارمى إليه ابن خلدون. تقول الموسوعة إن: «التاريخ بأوسع معانيه هو

(1) مقدمة ابن خلدون: منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت: 2000م، ص: 17.
(2) المرجع السابق، ص: 13.

قصة ماضي الإنسان أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث وخاصة تلك التي تؤثر في أمة أو نظام أو علم أو فن. وهو لا يسجل الأحداث الماضية باعتبارها خطوات في التقدم البشري فحسب، بل يسعى إلى إيضاح أسباب هذه الأحداث ودلالاتها ويعرضها على نحو يدل على تشابكها معا في قصة واحدة. ويستعين المؤرخ في عمله بما لا يكاد يحصى من الوسائل المادية والكتابية.

ويقسم التاريخ عادة إلى: قديم ووسيط وحديث. وقد اتفق المؤرخون على تسمية العصر الذي لا توجد له سجلات بشكل منظم بعصر ما قبل التاريخ[1].

أهمية دراسة التاريخ

تتيح دراسة التاريخ للفرد والمجتمع إمكانية رؤية وجوههم في مرآة واقعهم من خلال ما يستنتجونه من تمثل الماضي وما يتصورونه عن المستقبل. والوصول إلى هذا الحد من الفهم والوعي بالذات هو ما يمكنهم من تغيير أنفسهم ومن الاكتشاف والخلق والإبداع وتسخير موارد الطبيعة لسعادتهم على الأرض- وبالنسبة للمؤمنين- سعادتهم الدنيوية والأخروية.

يقول محمد إقبال: «إن منابع المعرفة ثلاثة وكل منها يقود إلى الله: معرفة العالم الطبيعي بواسطة الحواس ومعرفة الوقائع التجريبية من التاريخ ومعرفة الله بواسطة الكائن الداخلي في الإنسان من خلال التجربة الدينية أو الصوفية. وهذا النوع الأخير من المعرفة فطري عند الإنسان وهو من الأهمية في أعلى درجاتها؛ لأن الاتحاد الديني بالله هو الهدف وهو القيمة الرئيسية للتاريخ»[2].

وإذا نزلنا من التحليق في فلسفة إقبال إلى المتداول بين أكثر الناس،

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة: دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت - لبنان 1987، ص: 480، 481.

(2) انظر: Alban G. widgery مصدر سبق ذكره، ص: 136.

قلنا إن الغرض الأسمى للتاريخ هو تفصيل المتراكم من معارف وتجارب المجتمعات وترجمتها وصياغتها لاستنتاج ما يساعد هذه المجتمعات في فهم حاضرها واستشراف مستقبلها. إذ أن العلم كما قال جي هش بانكيرH Pain caire. J يبنى من الوقائع كما تبنى المنازل من المواد إلا أن المواد تكون كومة إذا لم تجد من يفصلها وينظمها.

وتعتمد البشرية في تطورها كأمم وإفراد على التراكم المعرفي وتجارب الأجيال المتعاقبة والاستفادة من هذا لا تتأتى إلا من خلال الدرس التاريخي ذلك أنه معني بالجدلية القائمة بين أبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. وتكاد جميع المعارف لا يمكن فهمها واستيعابها إلا بقراءة التاريخ.

ولذا فهو ضروري لكل التخصصات والمسؤوليات. ولهذا تدرسه الأمم وتعطيه أهمية كبيرة. والتاريخ ضروري لإبراز الذاكرة المشتركة للمجتمع المشكل من قبائل وإثنيات متعددة. وهو مهم لاستخلاص العبر إيجابيه كانت أم سلبية فيعين بذلك المجتمعات على مواجهة المستقبل وعلى وضع دليل لحياتها في جميع المجالات.

والأمة التي لا تعرف تاريخها لن تحسن صناعة مستقبلها والأمة التي لا تحرص على كتابة تاريخها لا يعطيها العالم أهمية لأن لا أحد سينشر فضائلها بين الناس. وهي إن جهل العالم ماضيها جهل ما بني عليه حاضرها.

ويضرب البعض المثل لهذا بالهند، فرغم أنها تعد من أعرق الأمم إلا أن العالم لم يكن يوليها ما تستحق من اهتمام، لأنها لم تعط في الماضي عناية كبيرة لكتابة تاريخها، بل كان جل اهتمام أهلها متجها إلى الروحانيات[1].

(1) هورس (جوزف): مصدر سبق ذكره، ص 20. وانظر: Alban G . widgery مصدر سبق ذكره، ص: 47، 76 .

وفي المقابل نلاحظ اتساع معرفة الناس بالتاريخ المصري لما لقيت كتابته من عناية منذ العهد الفرعوني. ولهذا فآثار المصريين معروفة ومشهورة بعكس آثار أمريكا اللاتينية وكثير من الآثار الآسيوية.

وتنطبق نفس الملاحظة على شهرة الآثار التونسية والمغربية مقابل عدم شهرة ما بالجزائر وليبيا من آثار خلفتها نفس الحضارات التي مرت بتونس والمغرب. أما الآثار الموريتانية فلا يكاد يعلم بها أحد من أهل البلاد ولا من خارجها لقلة ما أوليت من عناية من قبل المجتمع والدولة على حد السواء.

مصادر التاريخ الأساسية

يمكن تلخيصها في الآتي:

- الوثائق المكتوبة كالمخطوطات والمذكرات والكتب والنقش على الواجهات أو في المغارات الخ...
- الآثار التاريخية وما تتضمنه من دلالات على الماضي، فالفعل يدل على الفاعل كما تقول العرب. وأدوات المسرح تدل على وجود ممثلين وجمهور يحب الفن. وتبقى المدن القديمة أكبر وعاء يقتفي الباحثون فيه آثار الحضارات البشرية، لما تضم من أطلال الأبنية القديمة كالقصور وأماكن العبادة كما هو حال كمبي صالح وودان والقاهرة واسطنبول ومراكش وغرناطة وإشبيلية وغيرها.
- الرواية الشفهية والأدب بجميع أنماطه من نصوص وقصص وحكايات وأحاجي وألغاز وأمثلة وفنون تشكيلية وموسيقى الخ... إن دراسة تاريخ أولاد امبارك مثلا لا تتم دون الرجوع إلى الموسيقى والشعر الشعبي.
- الصناعات التقليدية وآثار الصناعات القديمة. إن أول مؤشر قاد إلى اكتشاف النحاس والذهب في منطقة إنشيري هو آثار استخراج الأقدمين لهما.

- العقائد المختلفة والديانات السماوية وغير السماوية: إن القرآن الكريم مثلا مصدر كبير لتاريخ ما قبل الإسلام وللفترة التي نزل فيها كما يعطى إشارات هامة عن المستقبل. ولا شك في إمكان الاستعانة بالحديث الشريف والسيرة النبوية.

كما أن التوراة والإنجيل مصدران هامان للتاريخ البشري عموما وخصوصا تاريخ الشرق وأوربا.

عمل المؤلف وخطوات البحث

يحتاج المؤرخ إلى السيطرة على أدوات علمية منهجية لكتابة بحثه التاريخي. وتزخر المكتبات بكتب المنهج أو المناهج، لذا نكتفي بالنقاط التالية كمعالم أو خطوات متتالية لا بد للمؤلف في التاريخ من اقتفائها:

- اختيار الموضوع.
- تحديد الغرض من التأليف.
- تحديد المكان والزمان.
- إعداد كشف بالمصادر والمراجع المكتوبة والمسجلة ذات الصلة بإشكالية أو إشكاليات البحث.
- وضع خطة البحث بتقسيمه إلى أبواب وتقسيم الأبواب إلى فصول تبين مضامينه العامة.
- إبراز أولي للمسائل الأساسية التي تندرج تحت الفصول واستخراج المسائل الجزئية المتفرعة منها والتي ستشكل في النهاية حصيلة المعارف المطلوب أن تعالج في الفصل والتي تقع في السياق العام لما يعالجه الباب المنصوص عليه.
- درس المراجع العامة والوثائق بمعناها الشامل ونقدها بتصفيتها وتصنيفها وترتيبها والعمل على تنسيق التفاصيل لصياغة مادة محكمة

تتجاوز مرحلة السرد والوصف.

ولا يكفى هذا العمل وحده للوصول إلى معرفة الحقيقة بل على المؤرخ أن يقتدي بالمعماري الماهر فلا يضع لبنته الأولى إلا على أساس صحيح. وبالتالي، عليه أن يبذل طاقة مضاعفة في نبش ما يطمره الماضي في جميع جوانبه للاقتراب من الحقيقة غير مكتف بما ورد في الوثائق.

إن قراءة جريدة إخبارية مثلا لا يمكن أن تعطينا صورة كاملة عما جرى في أنواكشوط يوم 10يوليو 1978م فلا بد من تنويع المصادر من تسجيلات ومقابلات وجرائد ونشرات اخبارية وكتب وغيرها لاستكمال الصورة.

إن ابن خلدون لم يكتف بنقل ما أورده المسعودي من أن موسى عليه السلام لما أحصى رجال بني اسرائيل في التيه وجد أن القادرين على حمل السلاح ستمائة ألف أو أكثر. بل أعمل عقله وأعاد الأمور إلى أصولها وعرضها على قواعد الاجتماع الإنساني فانتقد الخبر معتمدا على الحيز المكاني للمنطقة وعدد سكانها في ذلك الوقت وما جرت عليه طبائع البشر وقاس الغائب على الحاضر ليخلص إلى تفنيد تلك الرواية.[1]

ويجرنا هذا طبعا إلى إشكالية تفرض نفسها وهي أن المؤرخ الذي يبتغي الارتفاع عن البقاء في إطار ذكر الأحداث ومتابعتها وتلاحقها الزمني لا بد أن يجد نفسه وقد أصبح «يتفلسف» أو ينظر أو يستنتج خلاصات تخرج عن السرد الرتيب. ومن هنا تاتي أهمية الإلمام بتاريخ الأفكار الكبرى التي غيرت حياة الإنسان فذلك مما يزيد المؤرخ قدرة على فهم الأحداث التي يقرؤها ومهارة في اكتشاف العلاقات بينها وفي وضع كل منها في سياقه المناسب. وهكذا ينبغي أن تكون للمؤرخ معرفة جيدة بالفلسفة ذلك أنها

(1) مقدمة ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ص: 17.

هي التي تنسق التاريخ وتبنيه وتعطيه اللحمة التي يحتاجها.[1]

ولأن نواحي المعرفة متشابكة كان لابد أيضا من معرفة الجغرافيا فالزمان والمكان مترابطان والأحداث تجري في إطار مكاني معلوم. وعلى المؤرخ أن يهتم بعلم الإنسان أو الأنتروبولوجيا وبعلم الاقتصاد الذي يساعد في فهم أحداث معينة في فترة معينة بما يتيحه من معلومات عن وضع الطبقات الاجتماعية ووسائل الإنتاج وتوزيع الثروة وطبيعة الحكم الخ... ولفهم الأحداث وتراكماتها لابد من اعتماد علم الاجتماع فهو الذي يقوم بدراسة شاملة للأفعال والعلاقات الإنسانية.

ويساعد علم النفس على فهم دوافع النفس البشرية في صنع الأحداث. أما علم السياسة والتاريخ فصنوان لا يفترقان لتشابه الكثير مما يهتمان به. ولهذا ينبغي للمؤرخ أن يهتم بدراسة السياسة والعلوم السياسية وإن كان التاريخ يبدأ حين تنتهي السياسة بمعنى أن عمل المؤرخ يبدأ حين تنتهي الأحداث[2].

وهناك مجالات لا يمكن انجاز أي عمل ذي قيمة بدونها كالأدب والفنون واللغة السليمة فكم لحنا حرف معنى وكم تصحيفا أوقع في ورطة فصب اللبن بدل نصب اللبن.



(1) هورس (جوزف): مصدر سبق ذكره، ص: 116.

(2) الدسوقي (عاصم): مصدر سبق ذكره، ص: 47.

الجزء الثاني

موريتانيا الأرض والتاريخ

أولاً: الأرض

1- الموقع والطبيعة:

تقع الجمهورية الإسلامية الموريتانية ما بين خطي العرض الخامس عشر والسابع والعشرين، وخطي الطول الخامس والسابع عشر، على مساحة تتجاوز[1] 1.030.700كم^2. وحدود البلد، كأكثر الدول الإفريقية، لا تطابق إلا نادرا حقائق الجغرافيا البشرية أو الجغرافيا الطبيعية لأهله ولأرضه[2]. ويظهر ذلك بجلاء ومن أول نظرة على خط الحدود الشرقي والشمالي حيث لا موانع طبيعية من مياه أو جبال أو غيرها.

وقد دأب الخبراء والباحثون على تقسيم مناخ البلاد الموريتانية إلى أربعة مجالات متمايزة تبعا لمعدل الأمطار السنوي[3] وهي:

- مجال المناخ الصحراوي: ويمتد على أكثر من 80٪ من مساحة البلاد، من أقصى الشمال إلى خط العرض السابع عشر جنوبا، باستثناء الواجهة البحرية. ويمتاز هذا المجال بقلة الأمطار حيث لا تتجاوز سنويا 150مم. ولذا كان أهله يعتمدون في غالب عيشهم على تنمية الإبل والماعز وزراعة الواحات والأودية.

---

(1) وزارة الإعلام الموريتانية (منشورات): الجمهورية الإسلامية الموريتانية. تقديم وتعريف. 12 دجمبر 1987م، ص: 5.

(2) انظر في شأن الحدود الموريتانية المالية:

Jus (Christelle): Tracer une ligne dans le sable: Soudan français- Mauritanie. Une géopolitique coloniale (1880-1963). L'Harmattan. Paris. 2003.

(3) *Arnaud (Jean): L'espace et l'Homme mauritanien. In: De Chassey (Francis) et Ballans (J-L): Introduction à la Mauritanie. Editions CNRS. Paris. 1979. P: 110*

• مجال المناخ الساحلي(sahélien): إلى الجنوب من خط العرض السابع عشر، يقع مجال يمثل ما يناهز 17٪ من إجمالي مساحة البلاد، يمتاز بمعدل سنوي للأمطار يتراوح بين 150 مم إلى 500 مم وتعتمد الزراعة فيه على الأمطار والسدود. ويصلح لتنمية الأبقار والأغنام.

• مجال المناخ السوداني: في منطقة النهر تزيد كمية الأمطار السنوية على 500مم فتلائم المنطقة الزراعة وتنمية الأبقار خاصة.

• الواجهة البحرية: تقع على امتداد شواطئ المحيط وتمتاز ببعض الرطوبة. ولكنها رطوبة تبقى محصورة في الشريط المحاذي للمحيط إذ تمنعها قوة التيارات الحارة والجافة القادمة من الصحراء والمعروفة محليا باسم إرِيفِي من الامتداد إلى ما هو أبعد من ذلك داخل البلاد.

تقلص حجم المجالات السودانية والساحلية بشكل مرعب إثر الجفاف الذي شهِدته البلاد في سبعينات القرن المنصرم، حيث قضى بشكل شبه تام على غابات وجفف ينابيع وعيونا كثيرة[1]. كما ساهمت في تفاقم هذا الأثر، موجة الاستقرار والتقرِي التي تسبب فيها الجفاف والتي لم يشهد تاريخ المنطقة لها نظيرا من قبل، حيث انخفضت نسبة البدو من 76.6٪ إلى 37 ٪، في ما لا يزيد على سنتين[2]. ومن أمثلة التأثيرات السلبية لهذا التقري السريع أن استقرار المجموعات التي كانت تتنقل حول بحيرة ألاق، أدى إلى القضاء على كثير من أصناف النباتات المحلية[3]. ولنا أن نتصور أن الاستقرار السريع الذي تسبب فيه هذا الجفاف، لم يكن ليقع لولا وجود

(1) ولد محمد الهادي (اسلم): موريتانيا عبر العصور. مطبعة الأطلس. نواكشوط. بدون تاريخ، ص: 18.

(2) Arnaud (Jean). Opcit. P. 120.

(3) Rapport sur la désertification en Mauritanie: RIM. Nouakchott Juillet 1988.

الدولة المعاصرة التي وفرت البدائل للبدو بإيجاد المراكز المدنية التي استقطبتهم. كما أن الحدود الدولية لعبت هي الأخرى دورا سلبيا حيث حدت من حرية التنقل بين المراعي[1].

ولئن كانت موريتانيا تعتبر اليوم من أكثر الدول الإفريقية تصحرا، فإن علماء الآثار والتاريخ قد اكتشفوا أنها خلال العصرين الحجريين القديم والحديث، كانت بها أنهار وغابات كثيرة[2] كما كان بها وجود بشري قوي كثيف. وفي منطقة اَظْهر الواقعة بين تيشيت وولاته، حيث ينعدم اليوم أي وجود مستقر للبشر، عثر الباحثون على ما لا يقل عن 127 قرية أثرية[3]. ومن الآثار الباقية إلى يومنا والدالة على هذا الماضي السحيق، وجود التماسيح في قِلات مطماطه والطرطيقه بولاية تگانت[4].

ومما يشير أيضًا إلى هذا، وجود مواضع تحمل أسماء حيوانات لم تعد موجودة فيها اليوم، مثل قلب الرّاوِي وقلب الظليم ورأس الفيل ...الخ

ويمكن القول من دون ما مبالغة إن المناخ هو الذي نحت الكيان الموريتاني وأعطاه الملامح الإثنية والاجتماعية التي ظلت ملامحه حتى عقود

(1) Ould Cheikh (Abdel Wedoud): Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XIème – XIXème siècle). Essai sur quelques aspects du tribalisme, thèse de doctorat en sociologie, sous la direction du professeur Louis Vincent Thomas. Paris V. 1985. Tome 1, p 20.

(2) Vernet (Robert) : La préhistoire de la Mauritanie. In : Introduction à la Mauritanie. Opcit : p 19.

(3) Mblard (Sylvie) : Tichitt–Walata : Civilisation et Industrie Lithique. Ed : Recherches sur les Civilisations. Paris 1984.

(4) Monod (Théodore): Méharées. Ed. «Thesaurus» ACTES SUD. Paris 2000. P.182.

خلت، قبل أن تصبح لعوامل أخرى مثل الدولة الحديثة والعولمة أدور أكثر تأثيرًا[1]...

إن عملية التصحر المطردة منذ آلاف السنين هي التي دفعت بالمجموعات البشرية إلى الهجرة المتواصلة إلى الجنوب تتبعا للمناطق الصالحة للتنمية وللزراعة[2]. ولم يتوقف هذا النزوح المتواصل إلا مع موجة التقري التي شهدتها البلاد في أواخر ق 19 وبداية ق 20، والتي ثبتت المعالم العامة للتوزيع البشري. وإلى جانب هذا العامل المركزي، توجد عوامل أخرى أقل دورا في المكان والزمان أسست للتطورات والتحولات الاجتماعية في موريتانيا. ومن من أهم هذه العوامل، التنافس على تجارة القوافل الذي كان وراء أغلب الصراعات وتقلبات موازين القوة بل السبب في بعض الهجرات البشرية الهامة حيث يعتقد على سبيل المثال أن من بين ما حدا بمشظوف إلى النزوح إلى منطقة الحوض، قوة استقطاب التجارة مع المناطق السودانية خاصة في مركز مدينه قرب مدينة خاي بمالي. كما يمكن أن نقرأ أحداث شَرْبَبَّه، دون أن ينقص ذلك من بعدها الثقافي شيئا، من زاوية التنافس على الطريق الساحلي بعد انتعاشه إثر استقرار الأوروبيين في السنغال وسعيهم إلى جذب البضائع إليهم[3].

وقد أسس أهل البلاد عدة مراكز حضرية للاستجابة لمتطلبات التجارة العابرة للصحراء. وسنتناول ذلك بعد التعرف على الأسماء التاريخية لهذه الأرض وأهلها.

---

(1) (Arnaud (Jean). Op cit. P. 123.

(2) ولد نافع (بوبه)، فيرنى (روبير) وولد ختار (محمد) : الأركيولوجيا في موريتانيا. ضمن: الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية: الصحراء والساحل. إشراف: روبير فيرنى. ترجمة بوبه ولد محمد نافع. موريتانيا. انواكشوط. 2002م، ص: 157.

(3) Ould Cheikh: Opcit. Tome 3.P :875.

2-التسميات التاريخية:

عرفت موريتانيا بعدة أسماء يرتبط كل منها بفترة معينة وسياق تاريخي معين. ومن هذه الأسماء:

أ. بلاد أنبيا أو أنبيته: ورد في أقدم المراجع العربية ككتاب الفزاري(2هـ-8م) ومختصر البلدان لابن الفقيه الهمداني (ت290 هـ) إطلاق هذا الاسم على أجزاء واسعة من البلاد الموريتانية الحالية. روى هذا الأخير عن القائد الأموي المشتري بن الأسود قوله: «غزوت بلاد أنبية عشرين غزاة من السوس الأقصى فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج كثيب من رمل يخرج النيل من تحته»[1]. ويعتقد الدكتور حماه الله ولد السالم أن هذه الكلمة هي التي صارت بعد ذلك «الأنباط» لقب أصحاب السلطة السياسية في بعض قبائل صنهاجة ما بعد دولة المرابطين[2]. ولربما رجع هذا اللقب إلى ما قبل ذلك التاريخ فقد يكون لقبا ملوكيا أطلق على ملوك اتحادية صنهاجة الصحراء لمتونه واقداله ومسوفه والتي تقدم أن عاصمتها كانت أودغست[3].

---

(1) الهمداني (أبو بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه): مختصر كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل سنة 1302م، ص: 64.

(2) ورد في رسم لسدوم ولد انجرتو يمدح به أحمد ديَّ ولد بكار ولد اعمر ابن أحمد ابن خون أحد قادة وزعماء قبيلة إيدوعيش اللمتونية:

انـــــبط نبطــــــت الانبـــــاط	فـــــــوط لفــــــــواط
سلـــــــــــسلة انبــــــــــاط	ســـــــــــرلُ فـــــــــاع
أحمـــــــد ديّـــــه فـــــمّاط	جيـــــــــــل لنبــــــــاط
بالــــــسترَبــــــيهم حــــــاط	مــــــــــير لريـــــــــاع

ولعل من هذا اللفظ اسم قبيلة انبيطات المشظوفية. وگوط الأگواط تعني فتى الفتيان. وگمّاط تعني غلاب الغلابين. ولد انجرتو (سدوم): ديوان الشعر الشعبي. المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1996م، ص: 80.

(3) موسوعة تاريخ إفريقيا العام. منشورات اليونسكو: 1997م. المجلد الثالث، ص: 375.
=

ب. صحراء الملثمين: يعبر هذا الاسم عن السمة البارزة لسكان الصحراء أي اللثام الذي بلغ من اشتهارهم به أن ذكر البكري أن الأخ قد لا يعرف أخاه إن لم يكن مرتديا اللثام[1].

وقد ارتبط اللثام في كتابات الكثير من المؤرخين بأهل هذه الأرض حتى سموا الملثمين، سمة لصقت بهم وخصوا بها ومدحوا بها فقال الشاعر أبو محمد بن حامد الكاتب أبياته المشهورة:

قوم لهم شرف العلا من حمير وإذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

وقال أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي يمدح المرابطين:

إذا لثموا بالريط خلت وجوههم أزاهير تبدو من فتوق الكمائم
وإن قنعوا بالسابرية أظهروا عيون الأفاعي من جلود الأراقم

وقد بحث المؤرخون عن سبب تمسك اللمتونيين باللثام وأوردوا في ذلك روايات كخبر تلثم نساء داهمهن العدو ورجالهم خلوف وغير ذلك. والذي نريد لفت الانتباه إليه هنا أن اللثام عادة عربية قديمة وهو من سيما الأشراف وعلامات الرئاسة والحياء. قال الخليفة عمر بن الخطاب: العمائم تيجان العرب. وأورد الجاحظ في مقام احتجاجه للثام وبسط محاسنه ضد من قدح فيه من الشعوبية: «وذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: «جنة في الحر ومكنة في الحرب ووقار في الندى وواقية من الأحداث وزيادة في القامة وهي تعد عادة من عادات العرب». وأردف الجاحظ وقد ذكر النقاب فقال:

=

ولد كاگيه (المختار): مجمل تاريخ الموريتانيين. معالم على الطريق نحو كتابة سياق تاريخي مقبول. الطبعة الأولى. دون ذكر دار أو مكان النشر: 2007م، ص: 19.

(1) البكري: مصدر سبق ذكره. ص: 170.

«وكـان مـن عـادة فرسـان العـرب في المواسـم والجمـوع وفي أسـواق العـرب».
وقال: «وكان المقنع الكندي الشاعر واسمه محمد بن عمير، كان الدهر مقنعا. والقناع من سيما الرؤساء والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله ﷺ كان لا يكاد يرى إلا مقنعًا[1].

ت. **بلاد المرابطين:** أطلق هذا الإسم على المنطقة كلها بعد قيام دولة المرابطين فيها في ق 5 - 11م. ومن أقدم المراجع التي سمتها به جغرافية الزهري[2] المتوفى 550هـ- 1155م.

بلاد التكرور: اشتهرت بهذا الإسم في العالم الإسلامي لتميز العلماء والحجاج القادمين من مدينة التكرور علما وفضلا حتى أصبح علما يشمل جل المناطق الموريتانية وما والاها من بلاد السودان. يدل على ذلك أن البرتلي في كتابه فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ذكر علماء من كل الأثنيات والمناطق بل ذكر كثيرا من علماء الشمال المالي أيضا. وقد ظل هذا الإسم مستخدما في كثير من الوثائق حتى أوائل ق 20، بل نجده مستخدما في بعض كتابات خمسينات ق 20. إذ ورد في رسالة للعلامة أمانة الله ولد ابراهيم[3] إلى شيخه الشيخ المحفوظ ولد بيَّه يستفتيه فيها حول مسائل فقهية ما نصه: «هل ذكور البقر في تكرورنا هذا -عمره الله وسكن روعة أهله- وإناثه جنس واحد....... إلخ»[4].

(1) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): كتاب البيان والتبيين، دار صعب بيروت 1968م ج3 ص: 436- 437.

(2) الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر): كتاب الجغرافية. تحقيق: محمد حاج صادق. نشر: مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. دون تاريخ نشر. ص: 125.

(3) عالم ورع من أهل الحوض من أولاد يونس درس ودرَّس في محاظر المنطقة وخاصة محظرة اقليق أهل بيه حتى توفي رحمه الله سنة: 1987م.

(4) من رسالة مخطوطة لدينا منها نسخة.

ث. **بلاد شنقيط أو شنجيط:** شاع هذا الاسم علما على البلاد الموريتانية في المشرق العربي منذ ق 18 حين أصبحت مدينة شنقيط من أهم مراكز الإشعاع العلمي في المنطقة واشتهر حجاجها بالعلم والحفظ في المشرق العربي. بل وأطلق هذا الاسم في بعض الفترات على عامة دول غرب إفريقيا[1]. ولعل الزبيدي صاحب تاج العروس من جواهر القاموس(ت 1205هـ - 1790م) هو أول من ذكر هذا الاسم من أهل المشرق حيث قال: «ومما يستدرك عليه شنقيط بالكسر، مدينة»[2].

ج. **اتْراب البيضان أو البيظان:** أي أرض البيضان. وتكررت تسمية البيضان أو النسبة إليهم عند ابن بطوطة: «وكان المانسا موسى كريما فاضلا يحب البيضان»[3] وقد درج أهل البلد على تسمية بلادهم بذلك الإسم وعليه وجدهم الفرنسيون وبه أخذوا في أوليات كتاباتهم. هذه وزارة المستعمرات توجه رسالة إلى الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية بتاريخ 30 دجمبر 1899م، موضوعها: «تنظيم بلدان البيضان والطوارق»[4]. ونجده في كتابات أوائل القرن الماضي عند الشيخ بابا ولد الشيخ سيديا حيث يقول: «... وكنت أتعجب من علماء هذه البلاد البيضانية»[5].

ح. **موريتانيا:** أصل الكلمة أمازيغي «تمورتنا» ومعناها أرضنا.[6]وقد وقع

---

(1) ولد الحاج إبراهيم (سيدي عبد الله): صحيحة النقل في علوية ايدوعل وبكرية محمد قلّ. نسخة مخطوطة.

(2) الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (ش، ق، ط).

(3) ابن بطوطة. مصدر سبق ذكره، ص: 697.

(4) نص الرسالة الملحق الرابع.

(5) ولد الشيخ سيديا (الشيخ سيديا بابا): إمارتا إدوعيش ومشظوف. تحقيق: إزيد بيه ولد محمد محمود. الطبعة الثانية. المعهد التربوي الوطني. نواكشوط. 1994م، ص: 90.

(6) ولد السالم (حماه الله): تاريخ موريتانيا، العناصر الأساسية. الرباط منشورات الزمن، 2007م ، ص: 19. وانظر: بحث عن معنى موريتانيا: أدولف بلوك 1903.
In Mémoires et bulletin de la société d'Anthropologie

اختيار المستعمر على هذا الإسم بشكل شبه طبيعي، حيث أطلق المستكشفون الأوائل من البرتغال والإسبان على سكان المنطقة اسم «المورو البيض والمورو السود». والمورو في عرفهم تدل على المسلم لا غير ولذا أطلقوها على مسلمي الفلبين. وأما «موريتانيا»، والتي تعني حرفيا أرض المور فقد كانت تطلق في العصر الروماني على المغرب وجزء من الجزائر[1]. وأول من أطلقها على البلاد الممتدة من السنغال إلى وادي درعة ومن شمال مالي وجنوب الجزائر إلى المحيط الأطلسي هو الضابط الفرنسي جان افرانسوا كايJ. François Caille سنة 1843م وأقرت فرنسا رسميا هذه التسمية في دجمبر 1899م بناء على اقتراح من اقزافيى كوبولاني أثناء التحضير لاحتلال هذا الإقليم[2].

خ. **الجمهورية الإسلامية الموريتانية**:اتفق ساسة البلد إبان وضع دستور 1958م على هذا الإسم ليدل على أن القاسم المشترك والإطار الجامع بلا مراء لكافة عناصر المجتمع الموريتاني هو النظام السياسي الجمهوري والانتماء لهذا الفضاء الجغرافي والإسلام دينا وثقافة[3].

---

(1) Cornevin: Histoire de l'Afrique, des origines à la 2ème guerre mondiale. Petite bibliothèque Payot. 4ème édition mise à jour. Paris 1974. p 69.

(2) ابن محمذن (محمدُو): المجتمع البيضاني في (ق: 19) قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية. منشورات معهد الدراسات الإفريقية. 2001. ص 19.

(3) ولد داداه (المختار): موريتانيا على درب التحديات. Kharthala. باريس 2006م، ص: 181.

ثانيًا: التاريخ

1- البشر:

تعايشت في موريتانيا منذ القدم شعوب متنوعة، رغم ما عرفته من اتحاد وانشطار وتحولات وما تلاشى فيها من شعوب وامتزج، ما زالت هي التي تتعايش فيها حتى اليوم: لكور[1] بقومياتهم وأعراقهم المتعددة والبيضان. وجاءت بشائر الإسلام والهجرات العربية الحديثة إلى البلد لتعطيه معالمه الثقافية والبشرية والحضارية الراهنة وتطبعه في الصميم حيث اندمجت لمتونه واقداله ومسوفه بالقبائل العربية القادمة حديثا. وامتزجت الدماء الصنهاجية العربية بالسودانية جنوب الصحراء في مراحل انتشار الإسلام الأولى[2] حتى ليذكر المؤرخون أن الكثير من الناطقين بالبلارية إنما هم خلاصة ذلك الامتزاج. وقد جمع الباحث الفرنسي موريس دلافوس Delafosse الروايات الفلانية التي تتفق على أن التكرور خلاصة امتزاج الدماء الصنهاجيه والبنباريه وأن الفلان أبناء عقبة بن نافع وأمهم بنت ملك التكرور[3]. ومن أمثلة امتزاج لكور وصنهاجة أن كلمة سَرَاغُولّى التي تطلق على السوننكه، معناها بلغتهم الرجل الأَبيض[4] مما قد يؤكد هذا

---

(1) لقد اخترنا بعد بحث استخدام هذه الكلمة لأنها لا تحمل أي معنى انتقاصي أو ساخر بل هي اسم متداول لجنس بشري، وقد اختلف في أصل الكلمة هل هي من الكور وهو التدوير لأن منازل لكور مدورة في الغالب أو من الكورة وهي الإقليم وفي كلام أهل المغرب الكوري هو الأعجمي.

(2) الجمهورية الإسلامية الموريتانية تقديم وتعريف. المنشورات الموريتانية. وزارة الإعلام. انواكشوط. ديسمبر: 1987م.

(3) Delafosse (Maurice): Traditions musulmanes relatives à l'origine des peuls. In: Revue du monde musulman. Tome 20. Sept 1912. paris, P. 243.

(4) والسوانك يطلقون على البيضان اسم «أَسْرَاغَه»، انظر:

Reclus (Elisée): Nouvelle géographie universelle, la terre et les hommes. Hachette. Paris. 1887. Tome 12. P. 216.

الانصهار بينهم وبين البيضان.

وهكذا شكلت كل الأعراق المذكورة لوحة حية متداخلة متكاملة رائعة تجري في عروقها دماء كل الألوان وكل الثقافات وتضيء بشموس حضارتها بلاد العرب والمسلمين شمالا وشرقا وجنوبا.

ولا تغير الخلافات ولا النزاعات التي عرفها أهل هذا البلد، كسائر بلاد الدنيا، من حقيقة لا مراء فيها هي أن التعايش على هذه الأرض قد استمر بين أهلها على مدى الأزمان، تتمازج دماؤهم وتتشابك مصالحهم كما قال أبو العلاء المعري:

الناس للناس من بدو وحاضرة   بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولم تكن النزاعات ذات طابع عرقي يوما وما خرجت عن حد المألوف وما كانت بين لكور والبيضان بأكثر منها داخل أي من المجموعتين.

2-المراكز الحضرية:

أ. أودغست[1]: عاصمة دولة صنهاجة قبل المرابطين، تقع أطلالها اليوم على تل النُّوداش بمنطقة ارْكيزْ الشرقي، على بعد 37 كم شمال شرقي تامشكط في ولاية الحوض الغربي. ذكرها البكري في ق 11م في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو الجزء الخامس من موسوعته الكبيرة المسماة المسالك والممالك. وصف البكري أودغست بأنها مدينة كبيرة بها جامع ومساجد كثيرة يدرس فيها القرآن الكريم. وذكر أن لأهلها قطعانا كبيرة من الأغنام والأبقار وأن سوقها عامرة الدهر كله وأن

---

(1) يعتقد العلامة المؤرخ المختار ولد حامد أن الأصل الصنهاجي ربما يكون «أيد أغست» أي «أهل الجنوب». انظر:

Devisse (Jean): La question d'Audagust (II). In: Tegdaoust III. Recherches sur Aoudaghost. Ed: Recherche sur les Civilisations. Paris 1983: P:535.

بها مبان حسنة ومنازل رفيعة[1]. وقد عثر خلال الأبحاث الأركيولوجية التي قيم بها بعد الاستقلال في أطلال المدينة، على كثير من القطع الزجاجية المنقوشة باسم خلفاء الفاطميين كالمهدي والمعز لدين الله والحاكم بأمر الله. وبما أن هذه القطع كان يستخدمها التجار في عملية الصرف بين مختلف العملات، نرى مدى ازدهار التجارة في المدينة في ق 10م وقوة العلاقات التجارية التي ربطتها بالمناطق النائية نسبيا مثل تونس ومصر التابعتين وقتذاك للفاطميين. كما عثر على عدد كبير من الدواليب التي تستخدم في غزل القطن المستورد من القرى السوننكية في ما بين نهري السنغال والنيجر وهي المنطقة التي ظلت، إلى عهد قريب، تمتاز بإتقان صناعة القطن[2]. وتدل نفس الأبحاث على أن سبب اندثار المدينة يعود على الأرجح إلى تدهور الأوضاع المناخية في المنطقة حيث انخفض مستوى المياه وغارت جميع العيون الموجودة قرب المدينة[3]. كما تظهر البحوث التاريخية أن موقع المدينة أعيد استغلاله مرات.ومن من أعاد استخدامه جزء من مجموعة التُّقْداوُست لجأ إليه بعد خروجهم من تيشيت. ولذا فإن أطلال أوداغست كانت تعرف عند سكان المنطقة باسم تقداوست[4]. ولكن

(1) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز): كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. نشر: البارون دي سلان. الجزائر 1911م. ص: 158.

(2) Chaleix (Dr. Robert): Fusaïoles décorées du site de Tegdaoust. In: Tegdaoust III. Mémoire n° 25 de l'Institut mauritanien de recherches scientifiques. Ed: Recherches sur les civilisations. Paris 1983. P.500.

(3) Devisse (Jean): Histoire et Evolution de l'Environement. In: Tegdaoust III. Ibid.P: 387.

(4) تقاوست وردت في أشعار شعبية كقول أحدهم- عن تسجيل للفنان الشعبي سيد أحمد ولد أحمد زيدان (من لبَيْر):

نَخْتَيْــــرْ الْعَـــقْلْ إِيــشَوْفْ تَ ... يَــــــارِتْ فْـــــلاَّغْ الْغَايَــــــه

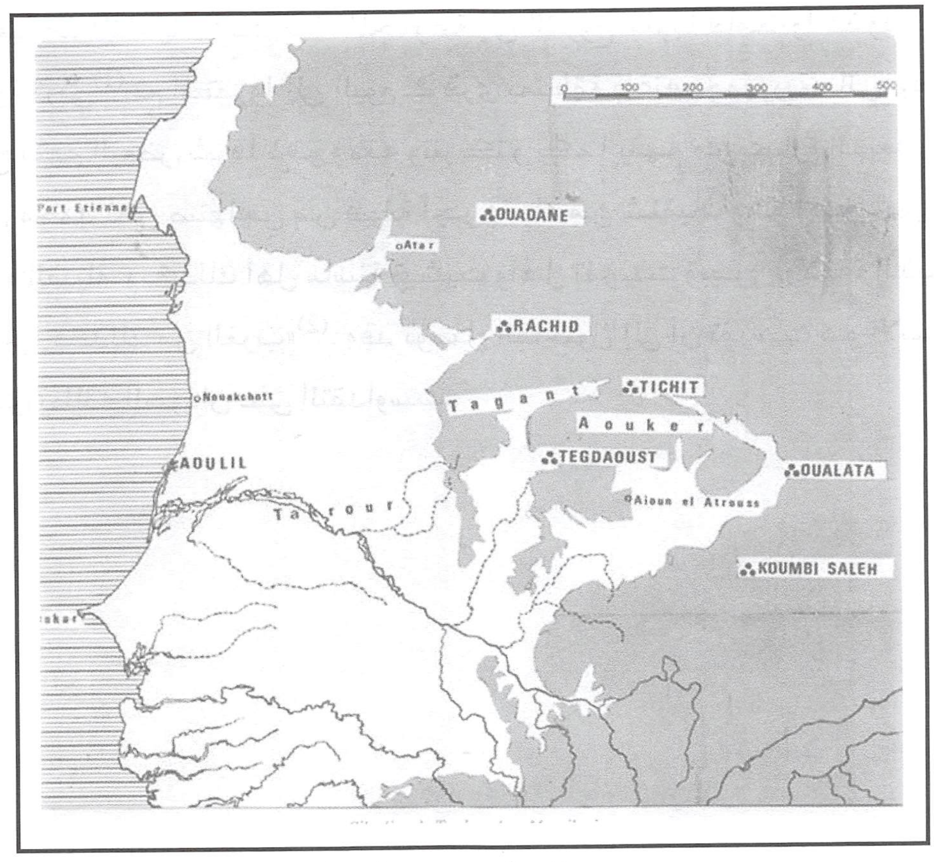
عَــــنْ بُـــودَرْقْ وِبَّيْـــــرْ تَـــــ ... فْــــــاوِسْــــــتْ و بُوصَبَّايَـــــه

التغيرات المناخية دفعت هذه المجموعة إلى النزوح جنوبا فأمضوا عقودا في قرية ترني[1] ثم استقروا إلى اليوم في قرى بمنطقة باغنه بجمهورية مالي. وقد نزح منهم البعض شرقا نحو ولاته وتنبكتو كما يفهم من عبارة السعدي: «إن محمد نض صنهاجي من قبيلة آجر أصله من شنقيط وهو أصل جميع هذه القبيلة. وكذلك أهل ماسنة تيشيت وأهل تفرست وبيرو (ولاته) الذين قدموا كذلك من الغرب»[2]. وقد توصل الباحثون إلى أن تفرست هو الاسم الذي يطلقه السودان على التقداوست.

(1) ترني: يعتقد أنها المدينة الأثرية الواقعة جنوب عيون العتروس على بعد ثلاثة وعشرين كلم وأطلالها بادية للعيان ومعالم مسجدها واضحة. وذكر البكري هذه المدينة باسم أرتنّي. وأورد أن عبد الله ابن ياسين حرم على أهلها أن يرتفع بنيان بعضهم على بعض وذكر صالح ولد عبد الوهاب أن ترني من المدن التي أسستها صنهاجة وخاصة مسوفة. وقد لجأ إليها بعض التقداوست وكذلك بعض ماسنه القادمين من تيشيت.

(1) El-Chennafi (Mohamed ouldMaouloud): Sur les traces d'Awdagust. Les tagdawest et leur ancienne cité. In: IMRS: Tegdaoust I. Ed: Arts et metiers graphiques. Paris: 1970. P: 101.

(2) السعدي (عبد الرحمن بن عامر): تاريخ السودان. ترجمة وطباعة أوكتاف هوداس. منشورات:
Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien maisonneuve, paris 1981. P38



خريطة مأخوذة من أعمال:

D. et S. ROBERT _ J. DEVISSE

TEGDAOUT I

RECHERGHES SUR AOUDAGHOST

Mars 1970

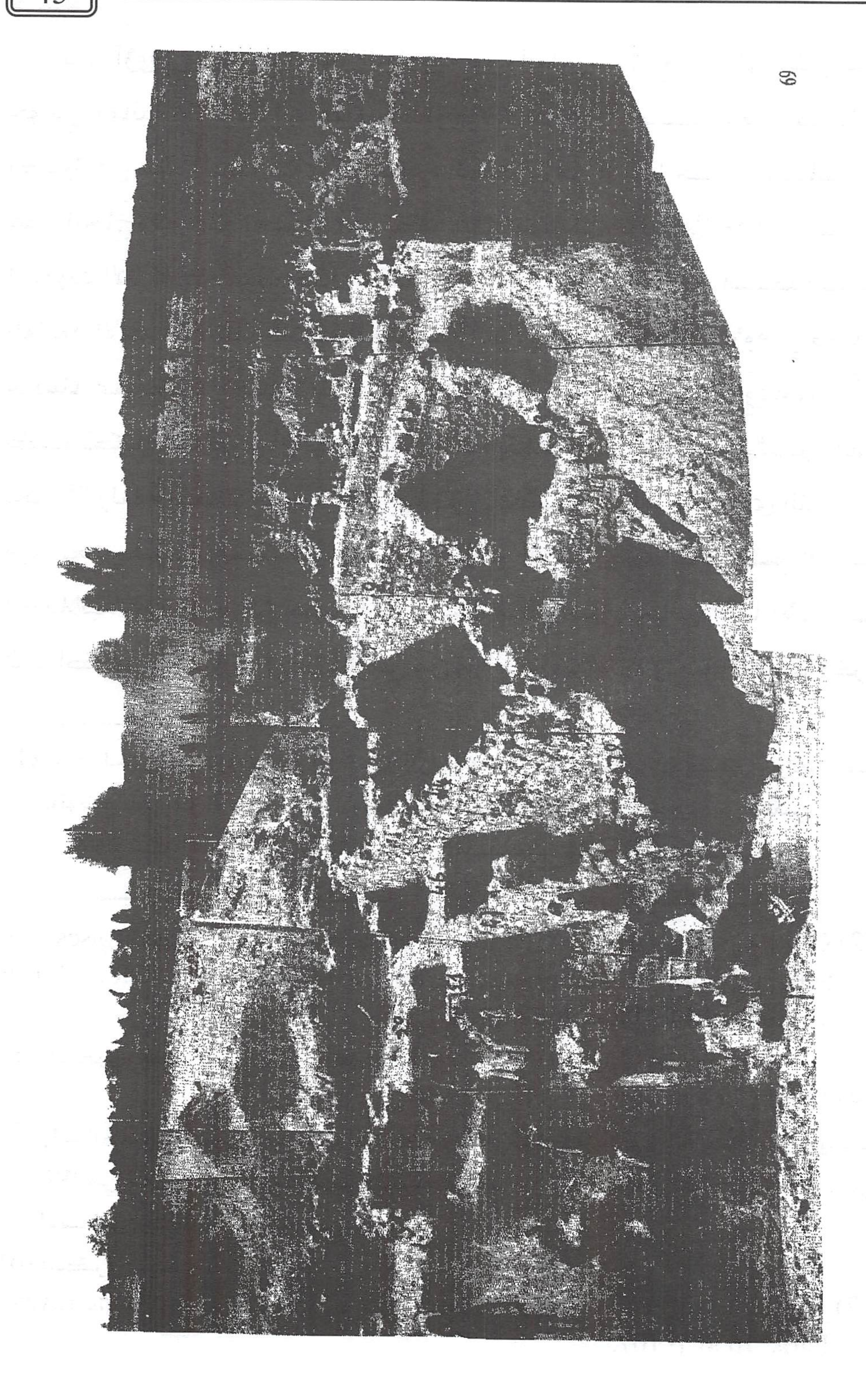
وانظر ورشة التنقيب التالية عن أوداغست مأخوذ من:

INSTITUT MAURITANIEN DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

TEGDAOUT III

RECHERGHES SUR AOUDAGHOST

Editions Recherche sur les Civilisations



ب. أزوقي: هي العاصمة الجنوبية للمرابطين[1]. تقع أطلالها على بعد حوالي ثمانية كيلومترات غرب أطار بولاية آدرار[2]. ليست لدينا معلومات كثيرة عن هذه المدينة سوى ما ذكره البكري من أن بها حصنا بناه يانُّو بن عمر الحاج وهو أخو يحيى و أبي بكر ابني عمر اللمتونيين.[3]وقد كشفت البحوث الأثرية عن موقع هذا الحصن وإن كانت حجارته قد استخدمت في العقود الأخيرة لبناء القرية الجديدة[4]. والذي يبدو لنا أن أزوقي كان حصنا عسكريا متقدما بناه الملثمون بعد سقوط عاصمتهم أودغست[5]. كما ذكر البكري أن في أزوقي واحة يناهز عدد نخيلها عشرين ألف نخلة[6] ولعله يقصد الواحة التي ما تزال قائمة على امتداد وادي التيارت. ويرجح أن هذه الواحة، من واحات البافور الذين توجد عاصمتهم «مدينة الكلاب» غير بعيد من حصن أزوقي عند موقع أطار الحالي. وأما الإدريسي فقد اكتفى بالإشارة إلى أن أزوقي من مراكز لمتونة[7]. واحتفظت الذاكرة

---

(1) وردت لدي البكري باسم أركي بالراء المهملة، إلا أن يكون تصحيفا، وليس هو بالموضع المعروف في آدرار باسم آزويفه والذي يقول فيه الشاعر الشعبي (من اسْغَيِّر):

نَخْتَيْـــر اغْـــلَ ذي النُّوَيْفْـــه مَـــــــرْوَحْ لقْمُـــــون
عـــن لحفـــيره وآزْوَيْفْـــه ومْرَايـــــزْ حَمْـــــدُون

(2) Ould Cheikh (Abdel Weddoud): Société et Culture adraroises. In: Sahara, l'Adrar de Mauritanie, sur les traces de Théodore Monod. Ed: Vents de Sable. Paris 2002. P.149.

(3) البكري: مصدر سبق ذكره، ص: 167.

(4) Ould Cheikh: opcit. P. 149.

(5) ولد الحسين (الناني): صحراء الملثمين. دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف ق 2هـ - 8م إلى نهاية ق 5هـ - 11م. دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007م، ص: 133.

(6) البكري: مصدر سبق ذكره، ص: 167.

(7) Jaubert (Amédée): Géographie de l'Idrissi, tome 1, Imprimerie royale. Paris. 1636. p 107.

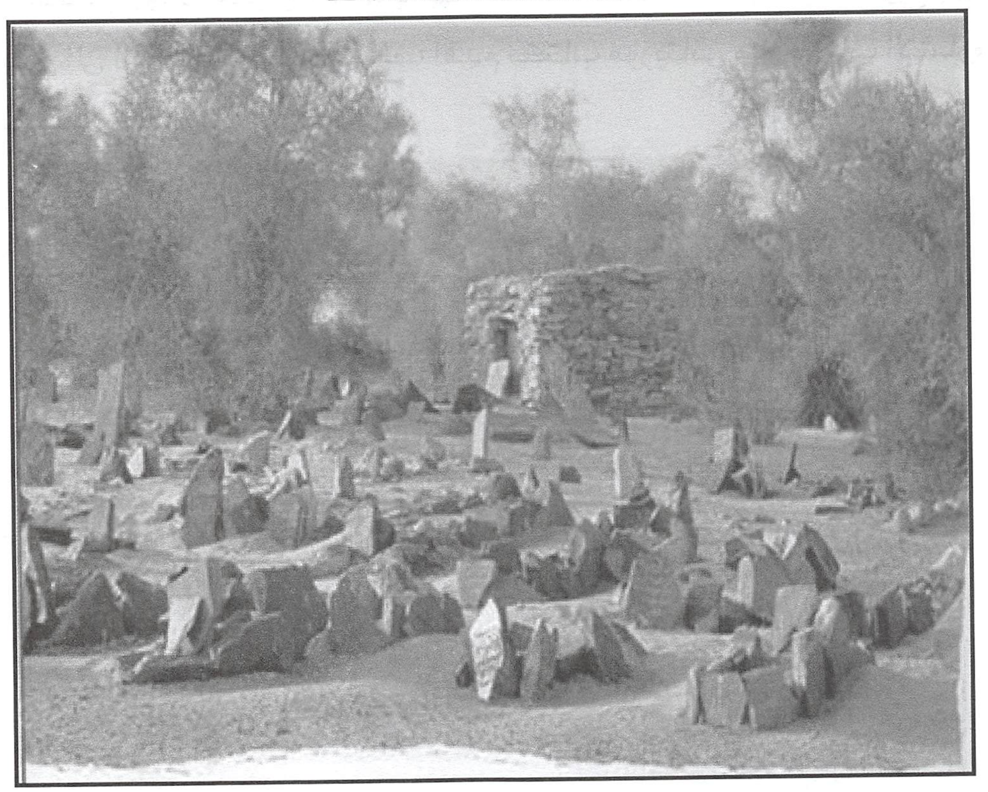
الشعبية بأزوقي رابطة إياها بشخصية الإمام الحضرمي الذي كان قاضي المدينة في عهد الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني. والإمام الحضرمي هو أبوبكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، عالم من القيراون، درس مدة في الأندلس ثم صحب أمير المرابطين أبا بكر بن عمر حيث تولى القضاء بأزوقي حتى وافته المنية بها سنة 489هـ - 1096م[1] وله ضريح بها يزار إلى اليوم. والحضرمي مؤلف أقدم كتاب موريتاني هو كتاب الإشارة في تدبير الإمارة[2].

---

(1) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني. الطبعة الأولى: 1410هـ - 1989م. ص ص: 873، 874.

(2) المرادي الحضرمي (أبي بكر محمد بن الحسن): كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة. تحقيق سامي النشار. دار الثقافة. الدار البيضاء. 1981م. وانظر سلسلة مقالات يحيى ولد محمدن، الثقافة الموريتانية قبل ألف سنة، في جريدة الشعب الأعداد من 27 ابريل حتى 9 يوليو 1989م.

مقبرة أزوقي التاريخية وبداخلها ضريح الإمام الحضرمي.
وبالقرب منها حفائر أثرية.
Caroline ELBAZ _ Michel DORTES
MAURITANIE le pays du million de poetes p.112
Editions Lariviere



ت. ولاته: تذكر الرواية الشعبية المعضدة بالدلائل التاريخية، أن ما لحق بأهل كُمْبِي صَالح عاصمة مملكة غانه من عذاب وتنكيل بعد سقوط مدينتهم في قبضة قبائل الصوصو الوثنية دفع بعضهم وخاصة من الأرستقراطيين والتجار إلى النزوح نحو قرية بيرُ حيث امتزجوا بالسكان الأصليين من مسوفة[1]. والذي يترجح بعد البحث والتدقيق أن هذه الأحداث

---

(1) ولد المرتجى (حمادي): الشعر في ولاته في ق 14هـ. مذكرة نهاية الدراسة. إشراف فرج بن
=

وقعت في العقد الثالث من ق 13 أي قرابة سنة 1225م وذلك بالنظر إلى أن سونجاتا كيتا هزم سموارو كانتى رئيس الصوصو سنة 1235م[1].

وأما أول ذكر لمدينة ولاته في المصادر التاريخية فيعود إلى سنة 1320م تقريبًا عندما ذكرها التاجر الجنوي جيوفاني دي كاريڤانو Giovanni Di Carigano في خريطته مما يدل على أنها كانت إذاك مركزا تجاريا مهما[2]. وهكذا يبدو أن ولاته أصبحت منذ ذلك التاريخ تلعب دورا متناميا في تجارة القوافل جعلها ترث دور ونفوذ المدن التي سبقتها مثل كمبي صالح وأودغست. ومع أن السلطة في المدينة كانت بيد الفريا، ممثل إمبراطورية مالي، فإن ابن بطوطه الذي زار ولاته أو إيْوَلاَتِن كما دعاها هو سنة 754هـ - 1353م، يذكر أن سكانها من مسوفة والتجار العرب[3]. ومع سقوط امبراطورية مالي وانتقال السلطة المركزية مع مملكة الصونغاي إلى ڤاوه وتنبكتو، فقدت مدينة ولاته ما كانت عليه من ازدهار لصالح هاتين الأخيرتين[4] وإن ظلت من حين لآخر تنتعش في الفترات الصعبة من تاريخ تنبكتو. ويحدثنا السعدي(ق17) أن علماء ووجهاء تنبكتو هاجروا إلى ولاته

=

رمضان. المدرسة العليا للأساتذة والمفتشين. نواكشوط. 1983. ص: 6.

(1) وأما ما درج عليه بعضهم تبعا لموريس دلافوص من تأخير هذه الهجرة إلى سنة 1240م فلا دليل عليه ومخالف لكافة القرائن التاريخية لا سيما وأن دلافوس ومن تبعه يعتقدون أن سونجاتا دمر كومبي صالح مع أن ابن خلدون ذكر في ق 14 أنه التقى في القاهرة بمفتي غانة الشيخ عثمان مما يدل على أن غانة ظلت حتى ذلك الحين قائمة. انظر:

Monteil (Vincent): L'Islam noir, une religion à la conquête de l'Afrique. Collection Esprit/ Seuil. Paris 1980. pp 84-85.

(2) Ly Tall (Madina): l'Empire du Mali. Les nouvelles éditions africaines. Dakar-Abidjan, 1977. PP: 60-62.

(3) رحلة ابن بطوطة، م س ذ، ص: 677.

(4) ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان الفاسي الوزان): وصف إفريقيا. دار الغرب الإسلامي. بيروت: 1983م، ص: 162.

بعد استيلاء سُنِّي علي بَر على مدينتهم وكذلك كانوا يفعلون خلال الحروب الأهلية[1].

وقد أسس هؤلاء المهاجرون قرية بالقرب من ولاته تدعى تازخت أو تيزغت ازدهرت حتى صارت تنافس ولاته في العلم والتجارة حتى غزاها أولاد يونس حوالي سنة 1600م وخربوها[2]. فالتحق أهلها بولاته وامتزجوا بسكانها[3]. وأطلال تازخت ما تزال شاخصة على مسافة أربعة كيلومترات غربي ولاته[4].

ومن الآثار القديمة في ولاته: «دارْ اَشْبارْ» التي بناها شنان العروسي[5]

(1) السعدي (عبد الرحمن بن عامر): تاريخ السودان. ترجمة وطباعة أوكتاف هوداس. منشورات:
Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien maisonneuve, paris 1981 :p 65

(2) يعزز هذا التاريخ شاهدان أحدهما أن البرتلي ذكر في ترجمة الطالب الوافي ولد سيد بوبكر الغلاوي أنه عاش في تازخت عشرين سنة قبل خرابها، ثم عاش أربعين في ولاته وأنه توفي حوالي 1040هـ - 1630م، وهو ما يعطينا كتاريخ تقريبي لخراب تازخت سنة 1000هـ- 1591م، والثاني ما ذكر الطالب أحمد ولد اطوير الجنه من أن لديه مخطوطاً بخط جده السابع كتبه في قرية تازخت، فإذا قدرنا أن بين الجيل والذي يليه حوالي فترة 35 سنة أعادنا هذا إلى أواخر ق 16 وبداية ق 17. انظر: البرتلي الولاتي (الطالب محمد ولد أبي بكر الصديق): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمَّد حجِّي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1981. ص 215-216.

(3) ابن عبد الوهاب الناصري (محمد صالح): الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية. تقديم وتحقيق: ازيد بيه ولد محمد محمود وسيد أحمد ولد أحمد سالم. منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي. 1418هـ- 1997. ص ص: 53-54.

(4) ولد سيدي (احمدُ): موريتانيا، الماضي المتحرك والمكان المؤثر. الشركة الإفريقية للطباعة والنشر والإعلان. انواكشوط. بدون تاريخ. ص 341. وانظر:
Caratini (Sophie): les Rgaybat (1610 -1934). Tome 1 des chameliers à la conquête d'un territoire, l'Harmattan, Paris. 1989

(5) تأسست زاوية العروسيين في النصف الثاني من ق 10هـ - 16م، في منطقة الساقية الحمراء على يد سيد أحمد العروسي. وقد قدم هذا الشيخ الصوفي الطموح المنتسب إلى
=

سنة 1630م عندما قدم بجيشه على ولاته وفرض على أهلها دفع الضرائب له عن كل شيء حتى عن الحطب وقلال الماء. وظل شنان هذا يسوم أهل ولاته الظلم حتى احتال له أولاد يونس بأن انقسموا إلى طائفتين متحاربتين

=

الشرف على المنطقة قادما من مراكش فارا من المحنة التي تعرض لها أصحاب الزوايا على يد السلطان السعدي محمد الشيخ. وبفضل نوع من التحالف أقامته هذه الزاوية الفتية مع القبائل العربية المسيطرة في المنطقة من أبناء معقل، أخذ سيد أحمد العروسي يسعى لتوسيع نطاق نفوذه إلى الجنوب فقام برحلة إلى أرض القبله وتيرس حيث حاول أن يستميل قلوب الناس إليه ويقبض زكواتهم فاصطدم ببعض الشخصيات المحلية النافذة مثل الشريف اندگسعد التاشدبيتي (ت 1002هـ- 1593م). وقد ورد في شيم الزوايا لمحمد اليدالي أن الذي اصطدم باندگسعد هو سيد ابراهيم، ورجح المحقق أنه سيد أحمد العروسي. ولكنه لم ينتبه إلى أن سيد أحمد توفي سنة 1002هـ فلا يمكن أن يكون هو الذي شارك في معركة انتيتام.

أما ما ورد في بعض نسخ حولية ولاته، عن أحداث سنة 1057هـ من أن محمد الشرقي العروسي قدم على ولاته، فإنه، في ما يظهر، من زيادات بعض النساخ، حيث إن الشرقيين المذكورين في تاريخ السودان وتذكرة النسيان، من بين قادة الجيش السعدي (الرماة)، ليسوا من العروسيين. ومحمد الشرقي هذا ربما يكون هو محمد بن أحمد الكيحل الشرقي الذي تولى الباشوية في تنبكتو لفترة وجيزة سنة 1671م. وبعد وفاة سيد احمد العروسي ظل ابنه سيد ابراهيم يتنقل بين قبائل الزوايا في البلاد الموريتانية يحاول فرض الغرامات عليها، ولكن المغافره الذين كانوا هم الآخرون قد بدءوا يبسطون نفوذهم المطلق على البلاد، حالوا بينه وبين ما أراد من ذلك، وبعد أن استعانوا بقوته في معركة انتيتام (1040هـ- 1630م) التي قضوا فيها على أولاد رزق، قاموا بدفعه إلى الشرق حيث نجده في ولاته سنة 1046هـ- 1636م رفقة ابنيه شنان والتونسي. وبعد مقتل شنان الذي كان قائد هذه الحملة تراجع العروسيون إلى الغرب وفي عهد التونسي بن سيد إبراهيم وقعت حروب دامية بين العروسيين وتجكانت في تقبه، حوالي سنة 1670م. وقد أضعفت هذه النكبات المتتالية قوتهم فانسحبوا إلى الشمال، حيث يبدو أنه انحل عقدهم الذي كان يجمع شمل قبائل شتى فلجأت هذه إلى القوى الأخرى مثل ارقيبات وأولاد دليم. ولا نعتقد، خلافا لبعض الباحثين، أن العروسيين كانوا يتحركون بإيعاز من السعديين إذ لم نجد على ذلك دليلا ملموسا، بل نعتقد أن مغامرتهم تندرج ضمن الغليان الاجتماعي الذي عرفته المنطقة في ق 17.

في الظاهر التجأت إحداهما إلى شنان فأدخلها في قصبته وزحفت إليه الطائفة الأخرى فلما خرج أطبقت عليه الطائفتان من أمامه ومن خلفه، فقتل وهدمت قصبته[1].

وإلى جانب دورها كمركز اقتصادي، عرفت ولاته في إفريقيا الغربية والشمالية بمكانتها العلمية حيث كانت تعج بالعلماء المدرسين لشتى العلوم، ممن تضرب إليه أكباد الإبل من نواحي القطر الموريتاني وبلاد السودان ومن بلاد الطوارق. وقل من علماء البلاد من لم يدرس في ولاته أو يأخذ على من درس فيها. وقد أنجبت ولاته علماء أفذاذا نذكر منهم القاضي اند َعبد الله ولد أحمد المحجوبي والشيخ الصالح سيدي عثمان ولد عمر الولي والطالب البشير ولد الحاج الهادي الايديلبي والطالب محمد ولد أبي بكر البرتلي ومحمد يحيى ولد سليمه اليونسي الذي عرف برفضه للتقيد بالمذهب وبالدعوة إلى الاجتهاد والفقيه محمد يحيى ولد محمد المختار ذو التآليف الغزيرة والفقيه المرواني ولد أهل احمادُ والعلامة المدرس محمدي وِلد سيدي عثمان والفقيه عبد الجليل ولد اربيعه الإدَوْبلالي والشيخ المحدث أبَّ ولد جودتي وغيرهم كثير[2].

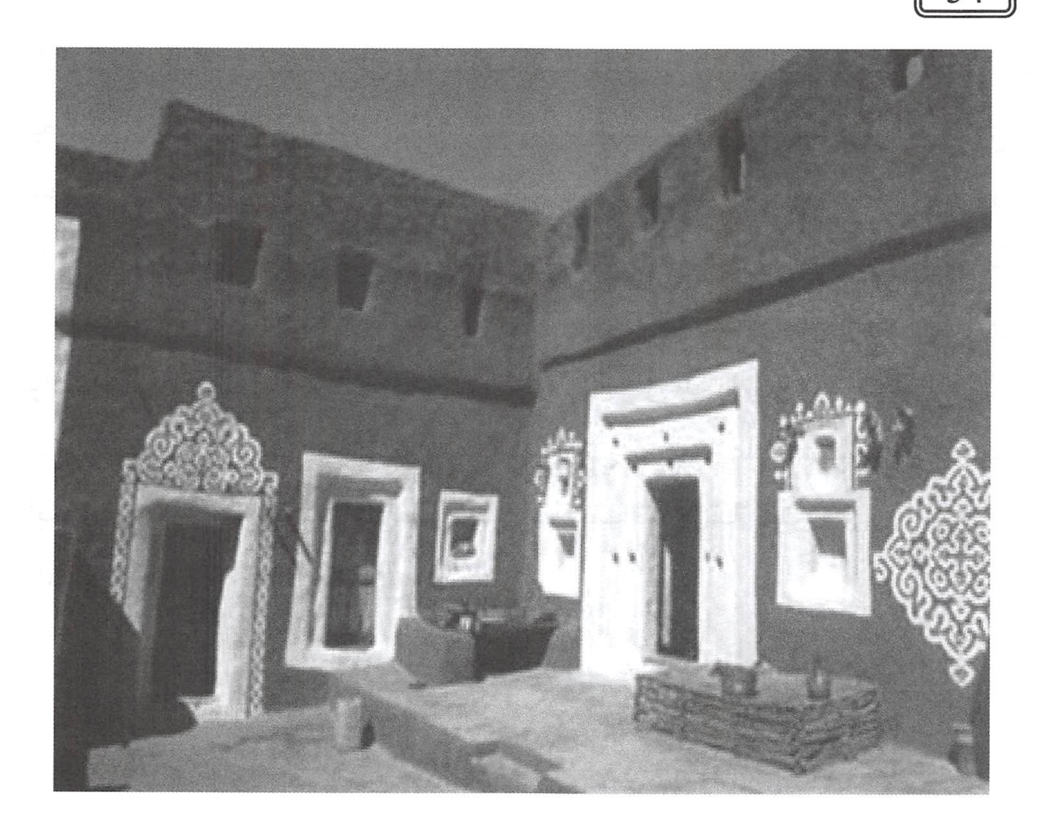
وتمتاز مدينة ولاته على المستوى المعماري بطابعها المدني المميز وهو ما عبر عنه تيودور مونوThéodore Monod حين كتب: «ليست الشوارع في ولاته مجرد ممرات أو أزقة، بل توجد على حافاتها مقاعد تشير إلى وظيفتها الاجتماعية؛ فهي إلى جانب كونها شوارع للعبور، تلعب دور الحدائق العمومية حيث يجري جانب هام من حياة الناس خارج المنازل. وأما المنازل هنا

(1) الحسوة البيسانية. مصدر سبق ذكره. ص: 52.

(2) للمزيد من الأعلام، انظر: ولد حامد (المختار): حياة موريتانيا. الجزء الثاني الحياة الثقافية. الدار العربية للكتاب. تونس. 1990م. ص ص: 211-226.

فشكلها أكثر انتماء إلى الأسلوب السوداني، فالبوابات ضخمة، كما يكثر استخدام الأعمدة... باختصار يوجد في ولاته أسلوب معماري مميز...وفي داخل المنازل، لا نجد الأثاث البسيط المعتاد في مخيمات البدو بل أدوات لا يعرِفها البدوي ولا حتى أهل الحواضر الصحراوية: الأسرة المرفوعة عن سطح الأرض باستخدام أعمدة من الآجر والآنية المنحوتة مثل قداح اللبن والقناديل المصنوعة من الفخار والمباخر. يمكن القول إن لأهل ولاته أثاثا جديرا بهذا الاسم»[1]. ومن غرائب ولاته، التي تميزها على المستوى المعماري أيضا، وجود الزخارف الملونة والرسوم المعقدة الأنيقة التي تزين الجدران الداخلية والخارجية للمنازل.

(1) Monod: Méharées. Opcit: pp: 243–244.



باحة منزل في ولاته

ث. تيشيت: سبق وأن أشرنا إلى كشوف علماء الآثار التي أثبتت أن منطقة اَظْهَرْ كانت في العصور القديمة بيئة حضرية مأهولة بالقرى[1]. ولكن التغيرات المناخية الخطيرة التي طرأت على المنطقة أخلتها من العمران البشري الذي تراجع نحو الجنوب ما عدا بعض المعاقل النادرة التي استطاعت التأقلم مع الظروف الطبيعية الجديدة[2]. ومن هذه المعاقل، قرية شَتُّو الواقعة

---

(1) تأسست المدن الأحضرية المعروفة في عصرنا على أنقاض أو بالقرب من مراكز حضرية أقدم منها. انظر محصلة الكشوف الأثرية التي أجريت في منطقة الظهر:

Amblard (Sylvie) : Tichitt-Walata : Civilisation et Industrie Lithique. Ed: Recherches sur les Civilisations. Paris 1984.

(2) ولد محمد نافع (بوبه): مصدر سبق ذكره. ص: 152.

في سفح جبل بالقرب من سبخة يستخرج منها ملح، تعلف به الحيوانات يعرف محليا باسم أَمَرْسَالْ. وفي ق 6هـ - 12م استقر بالقرب من هذه القرية، الشريف عبد المؤمن القادم من أغمات. وهو من تلاميذ القاضي عياض. وأسس تيشيت سنة 544هـ- 1149م[1]. ويربط الباحث الدكتور النانى ولد الحسين لجوء الشريف عبد المؤمن والحاج عثمان وغيرهم من تلاميذ القاضي عياض إلى الصحراء بما تعرضوا له من محنة من طرف الدولة الموحدية لمناصرتهم للدولة المرابطية ولتمسكهم بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه[2]. وقد أسس الشريف عبد المؤمن، في الموضع الذي نزل فيه، مدينة تيشيت الحالية، حيث بنى مسجدا ودورا واعتنى بغراسة النخيل واستغلال الملح[3]. وساعد في نجاح هذا المشروع، وقوع المدينة على طريق القوافل. وهو موقع تزايدت أهميته بعد خراب أودغست التي ربما يكون بعض أهلها هاجر إلى تيشيت. وبفضل مميزاتها تلك، عرفت تيشيت ازدهارا عظيما وأصبحت مركزا تجاريا مهما، صمد في وجه جميع التغيرات والضربات حتى مطلع ق 20. ومع ذلك، عانت تيشيت كثيرا من ضيق إمكانياتها البيئوية وقلة مواردها الاقتصادية فانبثقت عنها سنة 1850م قرية أغريجيت[4] كما نزح كثير من أهلها إلى حواضر متفرقة داخل موريتانيا ومالي. وحول أهمية القوافل التيشيتية في آخر ق 19، يذكر الرحالة الفرنسي فنصان Vincent، الذي سيأتي ذكره لاحقا بالمزيد من التفصيل، أنه التقى في آدرار سنة 1860م قافلة لأهل تيشيت، قدرها بثلاثمائة بعير، تحمل الذهب

---

(1) ولد حامد (المختار): حياة موريتانيا. الجزء الأول. التاريخ السياسي. ص: 62.

(2) ولد الحسين (النانى). م . س . ذ . ص: 381.

(3) إنارة المبهم والمظلم من أنساب بني عبد المؤمن ومحمد المسلم مخطوط محفوظ في المكتبة الوقفية بتيشيت ضمن مكتبة الفقيه محمد بن حمى الله مسجل تحت رقم: 1054.

(4) ولد حامد (المختار): حياة موريتانيا. مصدر سبق ذكره. ص: 267.

وريش النعام والعاج والعسل وغير ذلك من بضائع بلاد السودان. وذكر أن هذه القافلة تدفع ضرائب كثيرة لضمان حمايتها وحرية تنقلها. وقد سعى بما أوتي من دبلوماسية، كما يتضح من خلال رحلته، لإقناع قائد هذه القافلة إبراهيم ولد تيَّاه[1]، بالتوجه بتجارته إلى اندَرْ (سين لوي)، مقدما له ما طلب من الضمانات[2].

وأما على المستوى الثقافي فقد كانت مدينة تيشيت من أهم مراكز الإشعاع في المنطقة. ويشهد على ذلك كونها اليوم تحتفظ بأكبر عدد من المخطوطات في البلد[3]. وقد أنجبت الجم الغفير من العلماء من بينهم: أبو بكر بن الطفيل المسلمي، الحاج الحسن ولد آغبدي الزيدي (ت 1122هـ - 1710م)، وحمى الله (احمالّ) ولد المختار الشواف المسلمى (ت 1200هـ - 1785م) وحمى الله المعروف بانْبالّه والشريف أحمد ولد فاضل (ت 1115هـ - 1703م)، والشريف حمى الله ومحمد ولد فاضل الشريف واحمد الصغير ولد امبوجه (ت 1272هـ - 1855م) والشريف بُوعَسْرِيَّة والعلامة محمد المختار ولد انباله وغيرهم[4]. وبالنظر إلى الرّواية التأسيسية للمدينة وتاريخها، يتضح مدى الترابط بين تيشيت ووادان واعتماد كل واحدة منهما على صاحبتها.

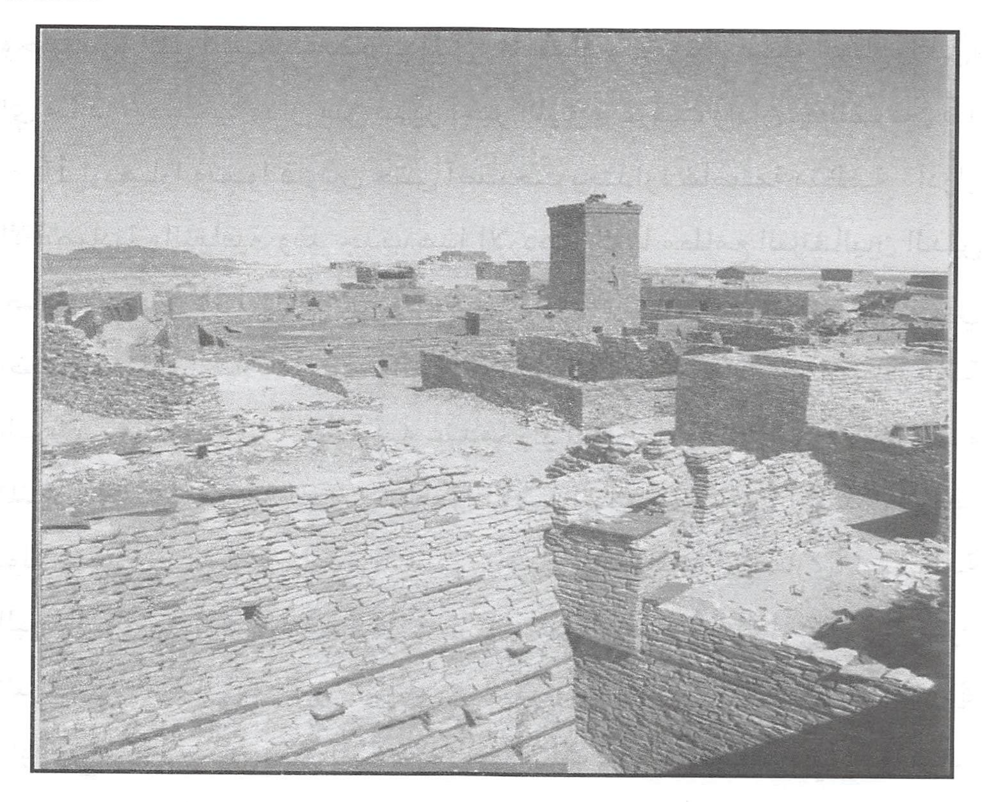
---

(1) توفي إبراهيم ولد تياه سنة 1288هـ - 1871م. حولية تيشيت.

(2) (Vincent (Henri): Voyage d'exploration dans l'Adrar. In: Revue Algerienne et Coloniale. Juillet-decembre 1860. L, HACHETT; Paris P. 475.

(3) (ولد النحوي) الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط. نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس 1987. ص: 70.

(4) للمزيد من أعلام تيشيت: المختار ولد حامد: الحياة الثقافية. مرجع سابق. ص: 201-204.



مسجد تيشيت

ج. وادان: يعود تاريخ تأسيس هذه المدينة، إلى سنة 536ه - 1141م، على يد الحاج عثمان ورفاقه. وقد كانت بالمنطقة قبل وادان قرى تسكنها قبائل من مسوفة كقبيلتي «تفرله» و«تامكونه»[1]، ومن هذه القرى قرية (كولانه) وتعرف أطلالها عند أهل وادان باسم «الترقيبات» أي: الدور الخالية باللغة الأزيرية. ومن القرى القديمة أيضا قرية «التيفتل» وتعرف اليوم باسم: «لَكْصَيْرْ الخالي». وقد امتزج سكان هذه القرى بأهل وادان[2]. ونظرا لموقعها الاستراتيجي على طريق القوافل وقربها من سبخة الجل

---

(1) ولد حامد (المختار): حياة موريتانيا. مصدر سبق ذكره، ص: 61.

(2) ولد الكتاب (المصطفى): كتاب المنهاج من بعض سير إدولحاج. نسخة مرقونة أهدانيها المؤلف رحمه الله سنة 1975 في وادان، ص: 2، 3.

وحصانتها التي أصبحت مضرب المثل: «شَعْليك يَودان مِن عَيْطِة أَعقاب اللَّيلْ» أي ما ذا يهمك يا ودان من نذير آخر الليل، عرفت وادان في القرنين 15 - 16 ازدهارا ونموا قويين حتى أصبحت بجدارة عاصمة منطقة آدرار الاقتصادية والثقافية. وقد جذب هذا الإزدهار إليها مطامع البرتغاليين الذين حاولوا سنة 1487م تأسيس وكالة تجارية فيها لكن الرفض الشعبي اضطرهم إلى إخلاء المدينة والعودة إلى شاطئ البحر[1]. وذكر الرحالة الفرنسي فينصان Vincent أنه عندما زار آدرار سنة 1860م رفض وجهاء المنطقة أن يدعوه يزور المدن وحرضوا الأمير أحمد ولد سيد احمد المعروف بولد عيدَّه ضده لاعتقادهم أنه أتى يجدد بناء «قلعة النصارى» أي القلعة البرتغالية. ويبدو مما كتبه فينصان أن أهل المنطقة اختلط عليهم الوجود البرتغالي في وادان في القرن الخامس عشر وجهاد المرابطين ضد البافور في أزوفيي ق 11 وما حصل أثناءه من كرامات للإمام الحضرمي[2]. وأحيانا ينسب حصن أقويدير الموجودة بقاياه في حفرة وادان إلى البرتغاليين، وإن كان أكبر الظن أنه من تشييد بعض الحملات المغربية[3] أو حملات دولة الصونغاي[4]. ومع اختلال الأمن في المنطقة وتزايد نفوذ التجارة الأوربية في المحيط، بدأ نجم وادان يخبو شيئًا فشيئًا، فهجرتها القوافل وأصبحت في

---

(1) Ould cheikh: Opct . Tome 1. P. 89.

(2) Vincent: Voyage d'exploration dans l'Adrar in Revue Algerienne et Coloniale. Hachett, Paris. Opct 1860. P.476.

(3) في سنة 1089هـ - 1678 قدم السلطان المولى إسماعيل على موريتانيا (آفطوط - تيشيت - شنقيط) وتزوج بخناثة بنت بكار الغول ولد اعلي ولد عبدالله البركنّي. الناصري: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء السابع. دار الكتاب. الدار البيضاء. 1956، ص: 57.

(4) Ould Cheikh: Société et Culture adraroises. Opct p 151.

عزلة عن النشاط الاقتصادي. ولعل لجوءها إلى الحل المسلح لفض نزاعها مع جارتها شنقيط[1] دليل على فقدها ما كان لها من السيطرة المطلقة على اقتصاد المنطقة. ولم يساعد في تحسين الأوضاع نشوب الحرب الأهلية بين سكان المدينة، الذين فضل كثير منهم النزوح إلى مناطق توفر فرصا للحياة الأفضل كمنطقتي اَرْقيبه والقبله. وتظهر بعض الوثائق أن أحد أبناء وادان الأفذاذ وهو العلامة الطالب أحمد ولد اطوير الجنة سعى، من أجل ازدهار مدينته، إلى ربط علاقات دبلوماسية مع كل من مر بهم في رحلته إلى الحج وخاصة مع الفرنسيين الذين التقى بسفيرهم في المغرب[2]. ولكن لا يبدو أن هذا السعي غير شيئا في أوضاع المدينة التي ازدادت أحوالها سوءًا بسبب التغيرات الاجتماعية والمناخية التي حصلت في ق 20.

أما على الصعيد الثقافي، فقد بلغت وادان في ازدهار العلوم مبلغا يضعها في مقدمة الحواضر العلمية في المغرب الإسلامي. وهي في القطر الموريتاني، أول مركز إشعاع ثقافي بعد أزوقي، ففيها ألف أقدم كتاب موريتاني بعد كتاب الإشارة السابق الذكر وهو كتاب: «موهوب الجليل شرح مختصر خليل»[3] المعروف عند الناس باسم مجمع الواداني لصاحبه محمد ولد احمد ولد أبي بكر الحاجي، الذي كان حيا سنة 933هـ– 1527م[4]. كما

(1) EchChenguiti(Ahmed Lamine): El Wasit. Traduction, Mourad Teffahi. IFAN. 1953. P. 85.

(2) Documents relatifs à un prince noir de l'intérieur de l'Afrique occidentale et au pays de Ouadan: In: Bulletin de la Société de géographie. Janv.-juin 1833. In: revue coloniale, paris 1904, PP. 343- 356.

(3) ولد محمد الهادي (إسلم) مصدر سبق ذكره، ص: 198-199.

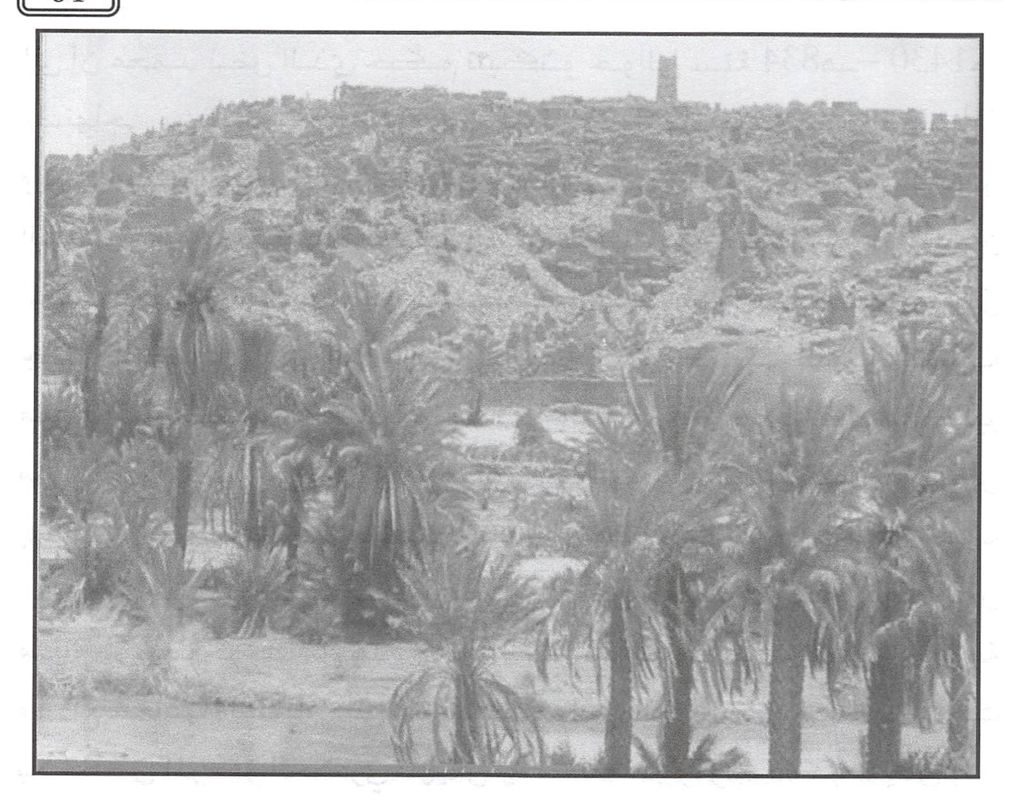
(4) ولد حامد (المختار): حياة موريتانيا. الجزء الثاني: الحياة الثقافية. مصدر سبق ذكره، ص: 199.

يظهر جدول السلسلة الخليلية الذي وضعه الدكتور محمد المختار ولد اباه أن المدارس الفقهية الخليلية في شرق البلاد تتفرع كلها عن المدرسة الوادانية عن طريق الشيخ سيد احمد ولد القاسم الواداني (ت 1086هـ- 1675م) فهو الذي أخذ عنه علماء شنقيط وتيشيت و ولاته هذا العلم وانتشر على أيديهم[1]. وفي وادان، عثر على أقدم مخطوط في موريتانيا، يعود إلى ق 4 هـ وهو نسخة من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي[2]. ولعل هذا الطابع الإزدواجي لمدينة وادان، المركز الاقتصادي والحاضرة العلمية، هو الذي جعل العلامة سيد عبد الله ولد الحاج إبراهيم يقول كما ذكر ذلك تلميذه العلامة الطالب أحمد ولد اطوير الجنة: إن المدينة سميت وادان لأن بها وادين وادي تمر ووادي علم.[3]

(1) Ould Bah (Mohamed El Moctar): La littérature juridique et l'évolution du Malikisme en Mauritanie. Publication de l'Université de Tunis ،1981 ،p 41.

(2) ولد محمد يحيى (أحمد): موريتانيا آخر معاقل المخطوطات الأصلية القديمة: وادان نموذجا. مجلة الوسيط. رقم 5، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص: 37.

(3) رحلة المنى والمنة: الطالب أحمد المصطفى ولد اطوير الجنه الواداني.



منظر عام لوادان

ح. شنقيط: تقع في ولاية آدرار على بعد 100كم شرق أطار. يعود تأسيسها حسب الروايات المحلية إلى ق 7هـ - 13م، بعد خراب آبَّيْر الواقعة أطلالها على مسافة ثلاثة كيلومترات شمال شرقي المدينة الحالية. ورغم هذا التأسيس القديم نسبيًا، لم يعثر على أي ذكر لشنقيط قبل ق 15 حيث ورد اسمها لأول مرة في رحلة دَوَارْتَا باشيكُو باريرا (1506- 1508م) DuartePacheico Pereira إذ يقول: «توجد على مسافة خمسة عشر أو عشرين فرسخا من وادان، ثلاث قريات تسكنها صنهاجه، الأولى تدعى شنقيط. وأهل هذه القرى يقتاتون بالتمر وبقليل من القمح يزرعونه في الواحات وبلحم الماعز والضأن»(1). كما أشار السعدي وهو من أهل ق 17،

(1) Bonte (Pierre): L'Emirat de l'Adrar. Esquisses historiques. Centre culturel français, Nouakchott, 1998, P. 31

إلى أن محمد نض الذي حكم تنبكتو حوالي سنة 834هـ- 1430م، «صنهاجي من قبيلة آجر أصله من شنقيط وهي أصل جميع هذه القبيلة»[1]. ويرجح عبد الودود ولد الشيخ أن تكون قبيلة آجر المذكورة في نص السعدي، هي نفسها قبيلة إيديْجَر التي تذكر الرواية الشعبية جدها من بين المؤسسين لشنقيط[2]. ولكن شنقيط التي بقيت كل هذه القرون في ظل جارتها الكبرى وادان، بدأ نجمها يبزغ مع ق 17 كملتقى للطرق التجارية مما أدى إلى تحولات اقتصادية واجتماعية آلت إلى فتن هاجر بسببها كثير من سكان المدينة إلى مناطق أخرى. ومن هؤلاء من استقر في تفانت وأسس بها مدينة تجقجه سنة 1071هـ- 1660م[3] ومنهم من نزح إلى أطار ومنهم من فضل القبلة، كما استوطن منهم البعض الحوض و أَفَلَّه[4]. ويبدو أن مدينة شنقيط خرجت من هذه المحن أكثر صلابة فانتعشت سوقها التجارية وسطع شعاعها الثقافي حتى انتزعت من وادان الصدارة في ق 18 وأصبحت بلا منافس المركز الحضري المهيمن في منطقة آدرار. وقد ذكر سيدي ولد الزين في كتابه المسمى النسب أن أول من نظم ركبا للحج من أهل شنقيط هو الفقيه محمد احمد ولد المختار الملقب اَقْد الحاج المتوفى 1086هـ -

(1) (السعدي) الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله: تاريخ السودان. م. س. ذ . ص 22. وورد أيضا في رسالة (الروض في أنساب أهل الحوض) أن محمد نض هذا تلقى سيدي يحيى التادلسي الذي تنتسب إليه بعض القبائل الموريتانية. انظر تحقيق رسالة الروض في أنساب أهل الحوض تأليف عبد الوهاب ولد شمس الدين. رسالة المتريز للطالب مم ولد عبد الله. قسم التاريخ جامعة نواكشوط تحت إشراف د. حماه الله ولد سالم سنة: 2000- 2001م، ص: 21.

(2) الشنقيطي (أحمد بن الأمين): الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. المطبعة الجمالية. القاهرة. الطبعة الأولى: 1339هـ- 1920م، ص: 422.

(3) Ould Khalifa (Abdallah): La Région du Tagant en Mauritanie. Paris 1998. Karthala. 688p.

(4) أفله منطقة مرتفعة في ولاية الحوض الغربي، كبرى مدنها مدينة العيون، وأفله تعني بالصنهاجية المكان المرتفع.

1675م[1] إذ حجج أربعين نفسا من غير عياله[2] ومن ثم أصبح من عرف أهل المدينة أن يحجوا حتى كانت العائلة تحج بجميع أفرادها فلا يبقى في الدار منهم أحد. وأما على المستوى العلمي فلا شك أن شنقيط استفادت كغيرها من مدن ومحاظر موريتانيا من أنوار وادان ومعارفها وقد كان أبناؤها يرتادون مدارس هذه الحاضرة العلمية إلا أنه يروى أن عالما من أهل فاس يدعى الشاب الشاطر أو الشريف الشاب قدم على شنقيط في ق 17 فأخذ عنه أهلها العلوم مدة إقامته معهم وتخرج على يده عدد من العلماء الأجلاء الذين صنعوا للمدينة مجدها العلمي[3]. ومن هؤلاء العلماء القاضي الطالب محمد ولد بالأعمش (ت1107هـ- 1695م)، والولي الشهير محمد بوكسه ولد اقد الحاج والعلامة الطالب مصطف ولد الطالب عثمان. وقد هاجر هذان العالمان بعد فتنة 1660م المذكورة آنفا إلى منطقة لعصابه حيث أسسا زاوية قصر السلامه قرب جبل گنديگه[4]. ومن أبناء مدينة شنقيط المبرزين العالم الشاعر سيد عبدالله ولد محم المعروف بولد رازقه (ت 1144هـ- 1731م)، وسيدي محمد ولد حبت (ت 1288هـ- 1871م)، والشيخ ولد حبت (ت 1299هـ- 1882م)، والفقيه اللغوي المقرئ الشيخ ولد حامَّنّي (1318هـ-1900م)، والمجاهد عبد العزيز ولد حامني وأحمد ولد حبت وسيدي ولد أحمد ولد حبت (ت 1954م)، والشاعر الأديب شغالي ولد أحمد محمود[5] وغيرهم.

---

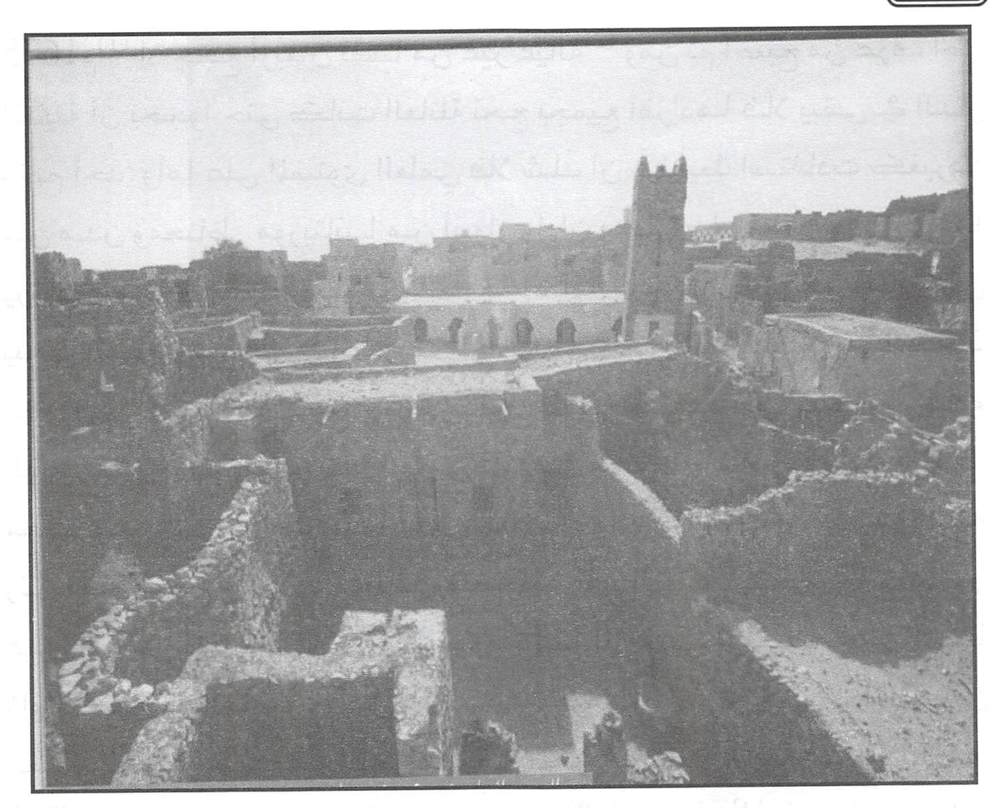
(1) ولد السالم (حماه الله): مظاهر الصلات العربية – الإفريقية من خلال ركاب الحاج والأوقاف في الفترة الحديثة. مجلة «مصادر»: منشورات مخبر الدراسات والبحوث التاريخية. الكراس الرابع. جامعة نواكشوط. 2004 . ص: 63.

(2) الوسيط. مرجع سابق. ص: 413.

(3) ولد النحوي (الخليل): مصدر سابق. ص: 73.

(4) ولد محمد الهادي (إسلم): موريتانيا عبر العصور، ص: 114- 115.

(5) للمزيد من أعلام هذه المدينة العريقة انظر: المختار ولد حامد: الجزء الثاني، ص 205- 206.



الحي التاريخي في شنقيط

خ. تنيقي: تقع أطلال هذه المدينة على الطريق الرابط بين وادان وشنقيط وعلى مسافة شبه متساوية من كلتا المدينتين. يعود أقدم نص عن تنيقي إلى سنة 1506م، فقد ذكرها البحار البرتغالي دوارتا باشيكو بريرا Duarte Pacheico Pereira إلى جانب وادان وشنقيط كمدن صنهاجية[1].

ويبدو من موقع المدينة أن أهلها أرادوها منافسة لوادان لجذب القوافل إليهم مستغلين انزياح مسالك التجارة القوافلية إلى الغرب. ولكن وادان كانت إذّاك ما تزال في عز ازدهارها فلم تستطع تنيقي المقاومة طويلا وأفضت بها الأمور إلى الحرب الأهلية وتفرق سكانها الذين هاجر جزء منهم إلى تندوف

(1) ذكر بريرا مدينة أخرى لم يهتد إلى تحديدها فلعله يقصد أزوگي. انظر:
Pierre Bonte: l'Emirat de l'Adrar. P. 31.

وجزء إلى آوكار وثالث إلى آفطوط. كما استقطبت وادان كذلك جزءا كبيرا من المهاجرين. واحتفظت الذاكرة المحلية بقصة خراب هذه المدينة حتى أصبحت مضرب المثل في الخراب «أَخْلَ من تنيقي»[1]. واشتهرت تنيقي كذلك بكثرة العلماء حتى قيل إنه كان فيها ثلاثمائة فتاة تحفظ موطأ الإمام مالك. وبسبب مكانتها العلمية قال العلامة إبَّاه ولد محمد لمين اللمتوني: «إن أكثر بقاع الدنيا علما إذاك تنيقي ومصر»[2]. ولعلنا لا نكون مبالغين إن قلنا إن تنيقي كانت بحق عاصمة الثقافة الإسلامية في القطر الموريتاني في ق 16 الميلادي[3].

وفي مطلع ق 20، حاول العلامة عبد الرحمن ولد أفلواط الجكني وهو من ذرية من هاجروا عن المدينة، بعثها من أنقاضها وتوجه إليها بجماعة من قومه تشاطره طموحه فلما وصلوها لم يتمكنوا من تجسيد هذا الحلم. وقد لخص هذه المطامح أحد تلك الجماعة هو العلامة الإمام ولد مانَّاه الجكني فقال:

تنيقي قومي بإذن الله قائمة ... قد يبعث الله أقواما وإن ماتوا

جاكان أقوام حرب خربوك بها ... فالشمل منك بأيدي القوم أشتات

أيديهمُ قطعت أيديهم سفها ... لا عار ما لعدو فيك إشمات

فالله أفناك يوما لا مرد له ... وسوف يحييك والأيام تارات

د. تَقْبه: تقع أطلال هذه القرية على بعد ثمانية كيلومترات من أطلال

---

(1) ولد المامي (اعزيزي): موسوعة الأمثال الحسانية، مطبعة الأطلس، الطّبعة الثّانية، نواكشوط: 1998م، ص: 128.

(2) ولد النحوي (الخليل)، مصدر سبق ذكره، ص: 74.

(3) (ابن عبد الحي) محمدُ: العاصمة الثقافية للوطن العربي. ضمن أعمال ندوة: «التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه». انواكشوط: أيام 29- 30 يونيو 1998. منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1999. ص: 19 وما يليها.

أودفست في منطقة اركيز الشرقي. وهي منطقة تمتاز ببيئة خصبة بالنسبة لما حولها من رمال آوكار، لذا ظلت تسقطب الجماعات من ساكنة المناطق المجاورة لها. يبدو مثلا أن بعض سكان أودغست، نزح إليها واستقروا بها. ثم التحقت بها قبيلة إيجمّان في آخر ق 16، كما هاجر إليها جزء من سكان تنيقي بعد خرابها؛ تحت قيادة سيدي المحجوب الجكني. ويبدو مما احتفظت به الرواية الشعبية أن أزمة حادة وقعت في بداية ق 18 بين أهل المدينة أفضت في النهاية إلى هجرة إجمّان إلى الشرق. ولقد أشار الرحالة الألماني بارت الذي زار تنبكتو سنة 1849م إلى أن جزءًا من التشداوست ظلوا إلى ذلك العصر يقطنون تَقبه[1]. وقد عرفت هذه الحاضرة خلال القرون الأخيرة ازدهارا اقتصاديا وثقافيا عظيما، يدل عليه وجود الكثير من أضرحة الصالحين والعلماء في مقبرتها كضريح ولي الله الطالب الصديق الجماني المتوفى سنة 1073هـ - 1662م. ومن أبناء تقبه الأعلام الإخوة العلماء محمد العاقب ومحمد حبيب الله و محمد الخضير أبناء ميابه، الذين هاجروا إلى المشرق بعد مقدم المستعمر[2]. ويشير بعض الباحثين إلى وجود بقايا واحة نخيل كان البدو من أهل الحوض يمضون فيها موسم جني التمور «القيطنة» قبل أن يرتحل آخر السكان عن تَقبةَ سنة 1906م[3] إلى منطقة اطويل التابعة للطينطان[4].

(1) Reissen und Entdeckungen in Nord und Central Afrika in den Jahren 1849 bis 1855 von Dr. Heinrich Barth ،Fünfter Band ،Gotha: Justus Perthes 1858 ،p 519.

(2) ولد محمد محمود (إزيد بيه): الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار. فصول في التاريخ الموريتاني الحديث. المطبعة الوطنية. الطبعة الثانية. 1424- 2003م. ص: 258، وما يليها.

(3) ولد محمد محمود (إزيد بيه): تگبه حاضرة اركيز الشرقي. الوسيط رقم 5. نشرة المعهد الموريتاني للبحث العلمي. سنة 1996م. نواكشوط.

(4) توجد في اطويل أسرة أهل مايابى. عن مقابلة مع محمد ولد سيدي ولد الطيب من علماء =

كانت تلك أبرز المدن الصحراوية الموريتانية التي ازدهرت خلال القرون الماضية وامتد تأثيرها وارتفع صيتها ليبلغ أطراف الفضاءات الإفريقية والعربية والإسلامية. ولقد قامت إلى جانب هذه المدن الصحراوية مدن أخرى على ضفة النهر، تفيدنا المعلومات المتوفرة عنها ـ على قلتها - أنها ازدهرت ازدهارا عظيما خلال فترات متعددة. ويظل ما قيم به من بحوث ودراسات أثرية قليلا ولا يمكن من تحصيل صورة واضحة عن أوجه الحياة في هذه المدن. ورغم هذا القصور المؤسف في المعلومات، فإننا سنحاول أن نثبت هنا ما نعرفه من معلومات عن هذه المدن وهي معلومات مستقاة في الغالب من المصادر العربية القديمة كالبكري والإدريسي.

ذ. صنغانة: أقرب مدن ضفة نهر سنغال إلى المحيط. وصفها البكري بأنها مدينة عظيمة على ضفتي النهر، وعمارتها متصلة حتى المحيط[1]. ويعتقد مؤرخ موريتانيا المختار ولد حامد أن صنغانه ربما تكون هي التي حرفت إلى كلمة سنغال[2]. وقد ظل الموريتانيون حتى عصر قريب يسمون المناطق الواقعة جنوب النهر باسم سنغَانْ. واسم السنغال مشتق من كلمة صنهاجة أو آزْنَاقْه فالرحالة البرتغاليون في ق 15 أطلقوا على النهر اسم نهر زناقا ولا يبعد إذن أن تكون الكلمة تحرفت شيئا فشيئا إلى ما هي عليه اليوم. ويقوي هذا الاحتمال أنها كثيرا ما وردت في الخرائط القديمة بصيغة Senega بدون لام[3].

=

المنطقة، أجريتها سنة 1976م في قرية تتحمَّاد.

(1) البكري: مصدر سبق ذكره، ص: 172.

(2) ولد حامد (المختار): الجزء السياسي، ص: 31.

(3) انظر المراجع التالية:

- Gaby (Jean- Baptiste): Relation de la Nigritie contenant une exacte description de ses royaumes et de leurs gouvernements, la religion,

=

وفي ق 9هـ - 15م أصبحت هذه المدينة ضمن مملكة شمامة - الوالو التي كانت عاصمتها انجوربل وهو اليوم حي من مدينة لقوارب (روصو) عاصمة ولاية اترارزه وذلك قبل أن تنتقل عاصمة والو في ق 11هـ - 17م إلى مدينة اندَرْ[1].

=

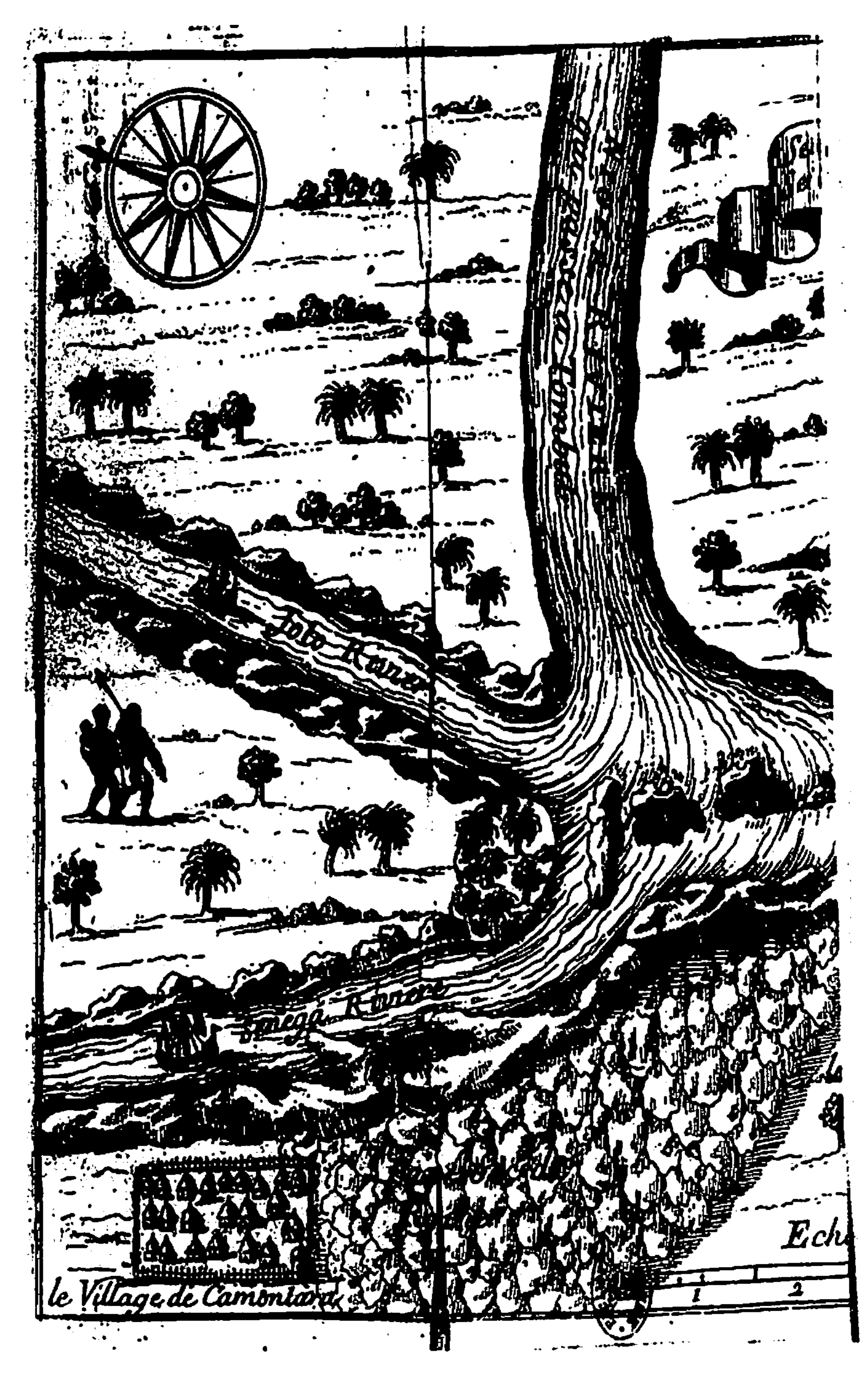
les mœurs, coustumes et raretez de ce païs, avec la decouverte de la rivière du Senega, dont on a fait une Carte particulière. EDMS Couteroy. Paris.1689.

- Triaud: (Jean Louis): Senegal. In: Encyclopaedia of Islam. Edited by: P. Bearma,Th. Bianqui;C.E. BosworthE. Van Donzel and W.P. Heinrichs.Brill, 2007. Brill Online. Universite de Paris I, Sorbonne. 30 December 2007

<http://www.encislam.brill.nl/subscriber/entry?entry=islam_COM-1016>\.

- Raffenel: Nouveau voyage au Pays des Nègres. Napoleon Chaix et Cie. Paris. 1856. P16.

(1) ولد گاگيه (المختار): مجمل تاريخ الموريتانيين. مصدر سبق ذكره، ص: 109.



خريطة منبع نهر السنغال حسب الجغرافي الفرنسي جان غابي J B Gaby

ر. التكرور: كانت هذه المدينة العظيمة تقع كما يذكر البكري على النهر، إلى الشرق من صنغانة، في ما يقدر اليوم أنه موقع اَپودور السنغالية. وسيأتي الكلام مفصلا عن مدينة التكرور عند الحديث عن مملكة التكرور.

ز. سلّي: ذكر البكري أنها مدينتان على شاطئ النيل (أي نهر صنهاجة). وتوجد اليوم قرية باسم سيلا على مسافة 12 كلم غرب مدينة كيهيدي على النهر وتعد من أهم البوابات لدخول التراب الموريتاني تقابلها قرية بنفس الاسم على الضفة اليسرى.[1] ويعتقد المختار ولد حامد أنها كانت قريبة من مدينة بَكَل السنغالية. اعتنق جميع أهلها الاسلام في ق 5هـ- 11م على يد ملك التكرور وارا جابي بن رابيس رحمه الله[2] وجاهدوا في سبيل الله إلى جانب المرابطين والتكرور. وأَصبح اسم سلّي علما لإمارة فلانية مسلمة مرابطية جاهد أهلها من أجل نشر الإسلام وتحول الكثير منهم إلى حياة البادية وانساحوا في إفريقيا لنشره وعددوا الزوجات رغبة في تكثير أمة محمد ﷺ وانتشروا من أجل تبليغ رسالته[3].

نلاحظ مرة أخرى، من خلال هذه اللمحة السريعة لتاريخ المدنية القديمة في موريتانيا، الأثر الكبير للتحولات البيئية على مجمل التغيرات الاجتماعية والسياسية في المنطقة. إن كل هذه المراكز لم تكن تتعدى حجم المدينة المتوسطة، حتى تضيق بأهلها الموارد الطبيعية فتقع بينهم الانقسامات والخلافات والفتن ويتفرقوا أيادي سبأ. هذا بالإضافة إلى أن البنية الاجتماعية ظلت خاضعة إلى عهد قريب لجدلية الانشطار والانصهار

---

(1) زرت المكان ديسمبر: 2012م.

(2) البكري: ص 172.

(3) ولد گاگيه (المختار): مصدر سبق ذكره، ص: 91.

المستمرة[1]، حيث تتقسم المجموعة وتستقل أجزاؤها ثم ما تفتأ أن تنشأ مجموعات أخرى باندماج هذه الأجزاء في مجموعات أخرى وتتأسس عصبيات تحالفية جديدة[2]، يشد أزرها خطاب جمعي إيديولوجي مستحدث[3].

ولقد بلغ تشرذم وانقسام المجتمع الموريتاني، فِي بعضِ الفترات مبلغ الفوضى العارمة وأنتج ما يشبه ظاهرة الصعاليك العربية المرتبطة باختلال القيم وانفصام أواصر القرابة وتفاقم الطبقية الاجتماعية[4]. صرم أفراد كثر من سائر القبائل صلاتهم بأصولهم والتحقوا بمجموعة انْمادي التي تمتهن الصيد البري في الصحاري المتاخمة للمجابة الكبرى. وعلى غرار عروة بن الورد وتأبط شرا والشنفرى وسليك بن السلكة وغيرهم من صعاليك الجاهلية[5] أصبح هؤلاء المنبوذون يقطعون الطرق ويغيرون على

---

(1) بو طالب (محمد نجيب): سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة أطروحات الدكتوراه (41). بيروت. 2002م. ص: 96.

(2) طرحت على المستوى الفقهي مسألتا شرعية العصبية التحالفية وجواز التَّعاقل بين الأحلاف فذهب جل علماء البلد إلى شرعيتها، نظرا لجريان العرف بها في المجتمع الموريتاني ولأدلة فقهية أخرى. انظر: حمدا ولد التاه، عرض حول حماية النوازل للتراث الموريتاني، في أعمال الندوة الدولية الأولى حول التراث الثقافي في موريتانيا المنعقدة في انواكشوط أيام 29، 30، 31 ديسمبر: 1999م.

(3) من الدراسات المفيدة في فهم هذه المسألة:

Villasante-de Beauvais (Mariella): Parenté et Politique en Mauritanie. Essai d'anthropologie historique. L'Harmattan. Paris. 1998.

(4) شلحت (يوسف): مدخل إلى علم اجتماع الإسلام من الأرواحية إلى الشمولية. تعريب خليل أحمد خليل. الطبعة الأولى. 2003م، ص: 134.

(5) انظر في أخبار هؤلاء: محمد بن حبيب: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء. ضمن: نوادر المخطوطات. تحقيق عبد السلام هارون. الجزء الثاني. دار الجيل. بيروت. 1991.

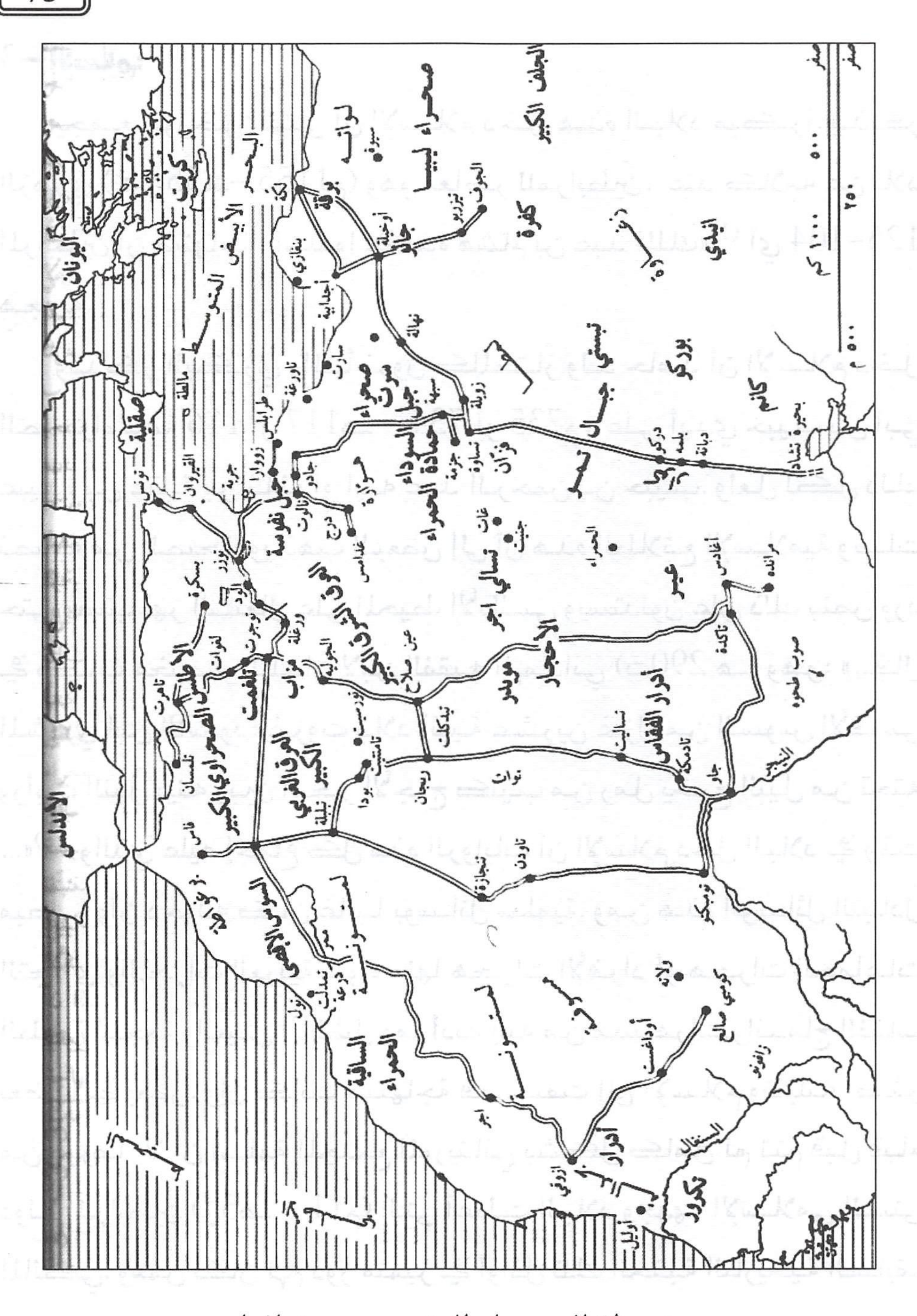
القوافل[1]. وقد عرف المجتمع الموريتاني محاولات جادة لتجاوز هذا الوضع من خلال إيجاد البدائل للعصبيات الضيقة. وتمثل هذا السعي في الانتماء المتزايد إلى الطرق الصوفية كالشاذلية والقادرية والتيجانية كما ظهرت طرق فرعية محلية كالبكائية والفاضلية والقظفية والحافظية والحموية والإبراهيمية... إلخ تستقطب المريدين من كل حدب وصوب فتصهر فوارقهم وتذيبها في بوتقة الطريقة الواحدة. وبذلك شكلت هذه الطرق إضافة إلى جوانبها الروحية وتجلياتها الفردية، ملجأ آمنا ومعقلا موثوقا في فترات الفتن والاضطرابات[2]. ولقد استغل كثير من المشايخ نفوذهم في المجتمع للدعوة إلى الصلح والسلم ومكافحة الميل إلى العنف. كما كانت الطرق الصوفية من أهم أدوات التنمية في المنطقة فبنت السدود وأسست المراكز التجارية وكان مريدوها قوة عاملة نشطة متفانية تقدس العمل وترى في إثارة الأرض وعمارتها عبادة من أزكى ما يتقرب به إلى الله عز وجل[3].

---

(1) EchChenguiti (Ahmed Lamine): El Wasit. Trad MouradTeffahi. IFAN.Dakar, 1953. P74.

(2) ولد النحوي (الخليل): بلاد شنقيط المنارة والرباط. نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس: 1987م ص: 126.

(3) كان أتباع الطريقة القظفية في الحوض أول من اعتنى بشكل فعال بالزراعة من البيضان فأنشؤوا السدود، وغرسوا النخيل، وحرثوا القيع. وكذلك فعل إخوانهم من تلاميذ آل الشيخ محمد فاضل.



خريطة الصحراء الكبرى وسكانها

مأخوذة من موسوعة تاريخ إفريقيا العام. المجلد الثالث. ص 312.

3- الإسلام:

يجمع المؤرخون على أن الإسلام دخل هذه البلاد مبكرا. يذكر الزهري (ت 550هـ- 1155م) وهو معاصر للمرابطين، عند كلامه عن بلاد المرابطين أن صنهاجة «أسلموا في مدة هشام بن عبد الملك»[1] أي 104-125 هجرية.

ويذكر البكري والمتأخرون كالمختار ولد حامد أن الإسلام دخل الصحراء سنة 116 أو 117هـ - 734 أو 735م، على أيدي حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع أو ابنه عبد الرحمن بن حبيب. ولعل لكل ذلك نصيبه من الصحة. ويذهب البعض إلى أن هذه الطلائع الإسلامية وصلت حتى مصب نهر السنغال على المحيط الأطلسي ويستدلون على ذلك بنص ورد في كتاب مختصر البلدان لابن الفقيه الهمداني (ت290 هـ) وهو: «...قال المشتري ابن الأسود: غزوت بلاد أنبية عشرين غزاة من السوس الأقصى ورأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج كثيب من رمل يخرج النيل من تحته ...»[2]. والذي عليه إجماع كل هذه الروايات أن الإسلام دخل البلاد في وقت مبكر وأن دخوله كان غالبا بوسائل سلمية. ومن هذه الوسائل التبادل التجاري والهجرات العربية سواء منها هجرات الأفراد أو هجرات الجماعات الطالبة للنجعة والعيشِ الأفضل وما أدت إليه من مصاهرات واندماج الفئات بعضها في بعض. وإن كانت صنهاجة قد سبقت إلى الإسلام وتقبلته أكثر من غيرها إلا أن أسلمة المجتمع الموريتاني بشكل كامل لم تتم قبل قيام دولة المرابطين (ق5هـ - 11م) التي أعطت البلاد وجهها الإسلامي السني المالكي. وممن كان لهم دور متميز في أوائل تلك الحقبة التاريخية السابقة

(1) الزهري: كتاب الجغرافية. مصدر سبق ذكره، ص: 126.

(2) الهمداني. مصدر سبق ذكره، ص: 64.

على العصر المرابطي، ملك أوداغست، الصنهاجي تيلوتان بن تلاكاكين[1] الذي نشر الإسلام بين قومه ووسط القبائل الوثنية السودانية جنوب مملكته وتوفي سنة 222هـ.

وأما غانة وما جاورها من بلاد السودان، فلا يستبعد كذلك أن يكون بعض أهلها قد اعتنق الإسلام في القرون الأولى لظهوره، وإن كان معظمهم لم يدخلوه إلا بداية ق 5هـ - 11م بفضل دعوة وجهاد أبي عبد الله محمد بن تيفاويت الملقب تارشنى.[2]

وكان العلماء في القرون الوسطى قد بحثوا في الطريقة التي أسلم بها أهل هذه المنطقة، لما ينبني على ذلك من الأحكام الشرعية. ويرى العلامة أحمد بابا التنبكتي في كتابه «معراج الصعود»، اعتمادا على النصوص التاريخية والروايات الشعبية أنهم أسلموا طوعا.

وقال رادا على من ذكر أن بعض قضاة السودان قال إن بلادهم فتحت عنوة: «هذا ما سمعنا به أصلا ولا بلغنا واسألوا هذا القاضي السوداني من هذا الإمام وفي أي وقت فتح بلادهم وأي بلاد فتح يعين لكم ذلك كله. وما أقرب كلامه لعدم الصحة. فلو بحثتم الآن ما وجدتم أحدا يخبركم بحقيقة ما قال»[3]. ويعتقد بعض الباحثين مثل فينصان مونتي أن من الأمور التي سهلت اعتناق الشعوب الإفريقية للإسلام، أن هذا الدين الحنيف مثل نهضة وانبعاثا لهذه المجتمعات الوثنية المتلاشية النسيج، المتهاوية القيم. فالوثنية كانت قد أصبحت عاجزة عن تكوين شخصية قادرة على مواجهة

---

(1) ابن أبي زرع (أبو الحسن علي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. 1972م، ص: 120.

(2) البكري، مصدر سبق ذكره، ص: 164.

(3) معراج الصعود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق وترجمة فاطمة الحراق وجون هانويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط. 2000، ص 54.

تحديات عالم منفتح. كما أن الإسلام كثيرًا ما مثل بفضل مبادئه الأخوية وقيمه العادلة عنصر تحرر ومقاومة بالنسبة للشعوب المستضعفة.[1] ولذا، كانت الدول المنضوية تحت لواء إمبراطورية غانة أسرع إلى قبول هذا الدين من أهل غانة أنفسهم، بل قد استخدمت هذه الشعوب الإسلام لمواجهة هذه السلطة المركزية.

وإذ نشارك فينصان هذا الرأي نضيف أننا نعتقد أن الصحوة الدينية التي عرفها المجتمع الصنهاجي في بداية ق 5هـ - 11م وقادها تارشنى أتت في ظروف صعبة، منها استيلاء غانة على عاصمتهم أودغست وتغلب زناته على التجارة. وهكذا فقد اكتسى كفاحهم السياسي صبغة دينية رفعته إلى مقام الجهاد. وفي هذه الظروف ذاتها من هيمنة السلطة المركزية الغانية اعتنق ملك التكرور لبي بن وارا جابي الإسلام وتحالف مع المرابطين لرفع نير غانة عن بلاده.

ويضيف مونتي قائلاً: «إن الإسلام يقدم نفسه كعقيدة بسيطة واضحة ومتينة: لا يتطلب اعتناق الإسلام أكثر من توحيد الله والإيمان برسالة محمد ﷺ. لا وجود لواسطة بين الخالق ومخلوقاته... وأما العامل الثالث فهو مرونة تأقلم الإسلام في إفريقيا... فاعتناق الإسلام لا يؤدي إلى أي نوع من القطيعة مع التقاليد، بل عكس ذلك يثبتها، لا سيما في ما يخص الحياة الأسرية...»[2].

ويؤكد رجل الدين الفرنسي بونه مُوري Pasteur Bonet Maury في نص أورده الأمير شكيب أرسلان أن العوامل الآتية مما سهل دخول الإسلام

---

(1) Monteil (Vincent) : L'Islam noir, Une religion à la conquête de l'Afrique, Collection Esprit /Seuil. Paris. 1980. p 76.

(2) Monteil: Opcit. p 76.

إلى إفريقيا جنوب الصحراء:

• بساطة العقيدة الإسلامية التي تنحصر في شهادة «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وهو ما يلائم الفطرة البشرية.

• أن الإسلام لا يعرف نظام الطبقات الاجتماعية ولا يضع حواجز بين الأغنياء والفقراء ولا يقيم فروقا بين المسلمين إلا بمعيار التقوى.

• تعدد وشائج القربى من جراء التزاوج والاختلاط بين العرب والبربر والسودان المسلمين.

• منع الإسلام للمسكرات، يرفع من احترام الشخص لنفسه(1).

يظهر مما تقدم أن الإسلام لم يدخل بالقوة بل إن معتنقيه الجدد استطاعوا حتى بعد اعتناقِهم له الاستمرار في ممارسة عاداتهم الاجتماعية التي لا تصطدم بجوهرِه وهذا ما جعلهم يتبنونه عن قناعة ويتشبثون به ويدافعون عنه وينشرونه ويعتزون به.

وهكذا انساب الإسلام في أرجاء الصحراء فبلغ جنوب شرقِ موريتانيا الحالية حيث تقع مدينة كُومْبِي صالح عاصمة امبراطورية غانه العظيمة. وكانت تلك خطوة كبيرة في اتجاه تقدمه ونشره في إفريقيا.

4- امبراطورية غانه: غانه أَوْ وَاقَادُو Wagadou

ظهر اسم غانه لأول مرة في المصادر العربية لدى العالم الجغرافي والفلكي الفزاري المعاصر للخليفة العباسي المنصور في أواسط ق 2هـ-8م(2) ثم توالى وروده في كتب الجغرافيا العربية. ولعل أوفى المراجع العربية

---

(1) لوثروب استودارد: حاضر العالم الإسلامي. تعريب الأستاذ عجاج نويهض. تعليق الأمير شكيب أرسلان. المجلد الثاني. الجزء الثالث. دار الفكر. الطبعة الرابعة. بيروت. لبنان. 1394- 1973. ص: 3.

(2) نقل المسعودي جزءا من جغرافيا الفزاري ورد فيه ذكر بلاد أنبية وغانة. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي. عني بتنقيحها =

القديمة عن هذه المملكة هو كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري[1]. والذي يبدو للمؤرخين اليوم أن غانه التي يذكرها البكري وغيره سبقتها في نفس المنطقة مملكة يرجع تأسيسها إلى ق3 قبل الميلاد، اصطلح على إطلاق اسم غانه عليها لربطها بغانه المستحدثة. ولسنا نعرف عن غانه الأولى إلا النزر المحتمل[2].

وأما غانه الثانية أو الواقادو فإن تأسيسها يرجع إلى ق 3 بعد الميلاد أي خمسة قرون قبل قيام أول مملكة في غرب أوروبا مع شرلمان[3]. والذي يترجح لدى المؤرخين بناء على ما ذكره البكري هو أن تأسيس هذه المملكة كان على أيدي السوننكي.

وذكر ابن حوقل في ق 4هـ - 10م بني صالح ضمن القبائل الصنهاجية. ويرى بعض الباحثين أن مدينة كمبي صالح أخذت من هؤلاء في ما يبدو تسميتها[4].

ويذكر الإدريسي أن ملوك غانة في صدر ق 6هـ - 12م وهو القرن الذي عاش فيه كانوا من بني صالح وهم كما يقول شرفاء حسنيون علويون. وذكر ابن خلدون في ق 8هـ - 14م وبعده السعدي في ق 11هـ- 17م أن ملك

=

وتصحيحها شارل پيلا. منشورات الجامعة اللبنانية. بيروت: 1966م. الجزء الثاني. ص: 377.

(1) البكري: مصدر سبق ذكره. ص ص: 174 - 183.

(2) كابو (اكسيل): مصدر سبق ذكره. ص ص: 180- 185.

(3) Diop(Cheikh Anta): Nations nègres et Culture: De l'Antiquité nègre égyptienne aux problèmes culturels de l'Afrique Noire d'aujourd'hui. Quatrième édition. Présence Africaine. Paris. 2005. P. 349.

(4) Monteil (Charles): La légende du Ouagadou et l'origine des Soninké. In: Mélanges ethnologiques. Mémoires de l'Institut Français d'Afrique Noire. N°23. IFAN. Dakar. 1953. pp 359-408.

غانه كان بيد بعض العلويين. والروايات الشعبية السوننكية نفسها تشير إلى شيء من هذا القبيل[1]. وعلى كل فإنه مما لا شك فيه أن مكانة المسلمين العرب تجارا وسياسيين في غانه كانت كبيرة.

وقد تغلب السوننكه على الحكم في غانه بقيادة زعيمهم سونكارا الذي احتل عاصمة القبائل اللمتونية أوداغست سنة 990م[2]. وتفيد بعض المراجع أن السوننكه نتاج التزاوج بين القبائل السودانية وقبيلة القرمنت Germantes الليبية. وكان الجرميون يمارسون التجارة بين ليبيا وغانه وانتقل جزء منهم إلى بلاد غانة وخصوصا إلى الجنوب الشرقي لموريتانيا الحالية. ومع الزمن تكاثر عدد السوننكه وتقووا وأنشؤوا مملكة آوكار أو غانه[3].

وأما غانه ككلمة فإن البكري ذكر أنها سمة لملوكهم وأن البلد يسمى آوكار. وآوكار في عرفنا اليوم منطقة رملية تقع شمال الحوضين ولعصابة وشرقي تگانت. ويرجع بعض المؤرخين لفظ غانة إلى انغانه Ngana والتي تعني لدى السوننكه البطل والمقدام. ويرى الباحث مارمول

---

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة. دار الجيل. بيروت. لبنان. ص: 60.

(2) البكري: مصدر سبق ذكره، ص: 174.

(3) البكري: ص 174. والمختار ولد گاگيه، ص: 84-85. وقد كان الموريتانيون إلى عهد قريب يضربون المثل بذهب غرمان وخنط السنغان فمنه قول الشاعر أحمد ولد دندني الكبير في تهيدينت المبرصه (فرس محمد محمود ولد لحيميد):

راعِ ذهب اغرمّان   جاك وخنط اسنغان
راعِ ركب العريان   شفتيه احذاك اڤعود
..... الخ

انظر: ولد سيد إبراهيم (محمدن): تهذيب الأفكار في أدب الشعر الحساني المختار، الجزء 2، المطبعة الجديدة، انواكشوط، 1993، ص: 108.

أن اسم ولاته يمكن أن يكون تحريفا لكلمة غانه أو غانهتا[1]. ولا نستبعد أن تكون قريبة من فعل ڤانَى بالصنهاجية بمعنى جمّع وشد أجزاء الشيء إلى بعضها. ولها دلالة الاشتباك والتماسك ومنها أگـنّي أي الأكمة وتگانت[2] وأگان بل إن في الحوض الغربي موضعا ما زال يدعى اليوم گانه يقول فيه الشاعر الشعبي:

لَخْلاَڤ مَارَاتْ الطَّرْبَ   اوْ لاَرَيْتْ طَرْبِ زَادْ آنَ

فوهام حاسي إن فَرْبَ   وَاحْسَيْ لَڤْلاَلْ اڤان[3]

ومما يرجح هذا أن البكري ذكر أن اسم جزء مدينة كمبي صالح الذي يسكنه الملك يطلق عليه اسم الغابة[4].

---

(1) انظر ترجيح هذا القول في: طرخان (إبراهيم علي): امبراطورية غانة الإسلامية. نشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة. 1390- 1970م. ص: 16-17.

(2) ورد في رَشد الغافل ونصيحة الجاهل لسيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم، أن كلمة تگانت صنهاجية معناها الغابة. انظر: ولد الشيخ سيديا (بابا): إمارتا ادوعيش ومشظوف. دراسة وتحقيق إزيد بيه بن محمد محمود. نواكشوط. نشر: المعهد التربوي الوطني وشركة الكتب الإسلامية 1415- 1994م، ص: 122. والأرجح عندنا أن هذا الأصل هو الصحيح، لا ما أورده الباحث عمر با من أن كلمة تگانت تحريف لتي قنى أي القرى القديمة بالفلانية. ولا يخفى ما في هذا من التكلف.

Ba (Oumar): Le Foûta Tôro au carrefour des cultures. Les peuls de la Mauritanie et du Sénégal. l'Harmattan. Paris. 1977. p26.

(3) «يُشَوهِدُ» به بعضهم لغسيْري وهو تبياظ مَكّ مُوسَى كر الجانبه البيضاء (نظيرُه الكرسْ أو اليزيد بالنسبة لانتماس في الجانبه الكحلاء). وانظر اتهيْدينت «الرسول» لسدوم ول انجرتو إذ فيها:

يَحظيه الاَّ تَرْهيبْ اسْبَعْ   امْكْرَ فْ وغْر الـگانه

فال (همام): نزهة الأيام ومصباح الظلام. انواكشوط: 1979م. ج 2. ص 321. وانظر:

Leriche (Albert): Terminologie géographique maure. Etudes Mauritaniennes. Dakar, IFAN. N°6. 1955.

(4) البكري: مصدر سبق ذكره ص: 174، وص: 175.

وأما كمبي صالح[1] عاصمة غانه فتقع أطلالها اليوم بالحوض على بعد حوالي 65 كلم جنوب مدينة تنبدغه. وهي تقع على مرتفع يحده من الشرق وادي تليه هضبة بها مقبرة اشتهرت بضريح كبير متميز يعرفه الناس بالصحبي أي الصحابي. وغرب مدينة غانة واد آخر أعمق من الأول. وقد كشفت الأبحاث التي قيم بها في الستينات والسبعينات من القرن الماضي آثارا قيمة بالمدينة؛ منها مبان بارزة المعالم مبنية بصفائح حجرية ملطت بالطين الأسود. ومنها بالجانب الشرقي، مسجد بارز المحراب. وكان جل هذه الآثار المكتشفة ما يزال مرئيا حين زرتها في ابريل 2009م. وموقع المدينة وأطلالها تطابق إلى حد كبير الوصف الذي كتبه البكري في ق 5 هـ- 11م. وكانت غانه، كما تفيد المراجع العربيةُ القديمة، مركزا من المراكز التجارية العظيمة خلال ق 10م تمد نفوذها على معظمِ ما بين المحيط غربا و نهرِ النيجر شرقا وجنوبا وهضبة آدرار شمالا[2].

ويذكر البكري أن عدد المساجد بمدينة كمبي صالح في عهد

---

(1) توجد في المنطقة الشرقية مواضع كثيرة تبدأ بكلمة كمبي مثل كمبي جوي وكمبي سعاده، وكمب أخرى قرب إن فريه وكمبي طلي التي وردت في قول الشاعر الشعبي سيد أحمد ولد آوليل يمدح الأمير المباركي عثمان ولد بوسيف (ت: 1268هـ- 1851م):

سياست انجوع اعرْب لمزيريف | اظهر لـ گان اَلْكيهيدي
لْكنب ء طلٌ و ام امفيريف | امنٌ الناسء من اَغْبيدي
عثمان بن هنون بن بسيف | ول احمل الهنٌون لعبيدي

ولد سيد ابراهيم (محمدن): تهذيب الأفكار في أدب الشعر الحساني المختار. الجزء الثاني، المطبعة الجديدة سبتمبر 1993م، ص: 105.

ويذكر الكاتب الصحفي والسياسي محمد يحظيه ولد بريد الليل في مقال بالفرنسية إبريل 2008م نشر في عدة مواقع وصحف موريتانية بعنوان نهاية عهد، (la fin d'une époque) أن كمبي تحريف لكلمة القبة.

(2) أكسيل (كابو): مصدر سبق ذكره. ص: 180- 185.

التونكا (الملك) منّينْ الذي عاصره سنة 460هـ - 1067م يقدر باثني عشر مسجدا وأن بجنب قصره مسجدا لأعوان الملك من المسلمين[1]. أما الأمير شكيب أرسلان في كتابه «الدعوة الإسلامية في إفريقيا» فذكر أن الفرنسي أنْدْري آرسينه André Arcin في كتابه «غينيا الفرنسية» المطبوع سنة 1907م يرى في ذلك مبالغة.[2] ولكننا لا نرى مبالغة في هذا فالروايات تجمع على اتساع المدينة ثم إن طبيعة المكان تسمح للناس بالانسياح في الأرض كما يشاؤون فلا جبال ولا أنهار تحدهم. وهناك جانب آخر متعلق بالبنية الاجتماعية لأهل المدينة ذاتها وهي بنية متنوعة عرقيا وقبليا ولغويا. وحتى في فضاء ثقافي أقل تنوعا كما هو حال المدن العربية الأولى كانت المساجد بعدد القبائل وأحيانا البطون. إذن، لربما يكون هذا العدد المرتفع نسبيا عائدا إلى تلك العوامل مجتمعة. ولدى زيارتي لآثار هذه المدينة لاحظت اتساع الأرض حول ما كشف عنه من آثار مما يجعل ما يذكر عن اتساع المدينة منطقيا جدا من وجهة نظرنا.

ويذهب المؤرخ عبد الله باتيلي إلى أن الازدهار الذي عرفته غانه أدى إلى استقطاب كبير لسكان المناطق الأخرى كما دفع إلى التقري شعوبا وقبائل ظلت حتى ذلك العهد رحلا، مما شكل ضغطا كبيرا على موارد البلاد. كما أن اختلال الأمن في شمال إفريقيا بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وبداية عهد ملوك الطوائف مطلع ق 5هـ- 11م، أضعف إلى حد كبير النشاط التجاري العابر للصحراء. ثم إن اتساع الرقعة أطمع كثيرا من الولاة في الخروج عن سيطرة السلطة المركزية فضعفت الدولة وظل

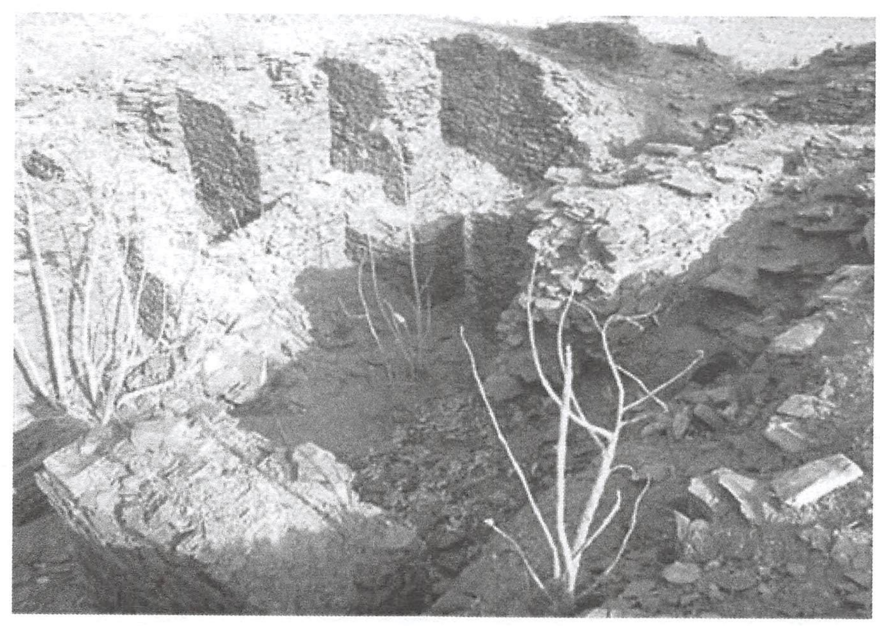
(1) البكري: ص 175 ود. محمد مصباح، ص: 222 .

(2) تعليقات الأمير شكيب أرسلان الدعوة الإسلامية في إفريقيا ص ص: 1 - 54 ضمن كتاب: حاضر العالم الإسلامي للمؤلف الأمريكي لوثروب استيدوارد. دار الفكر الجزء 3- 4.

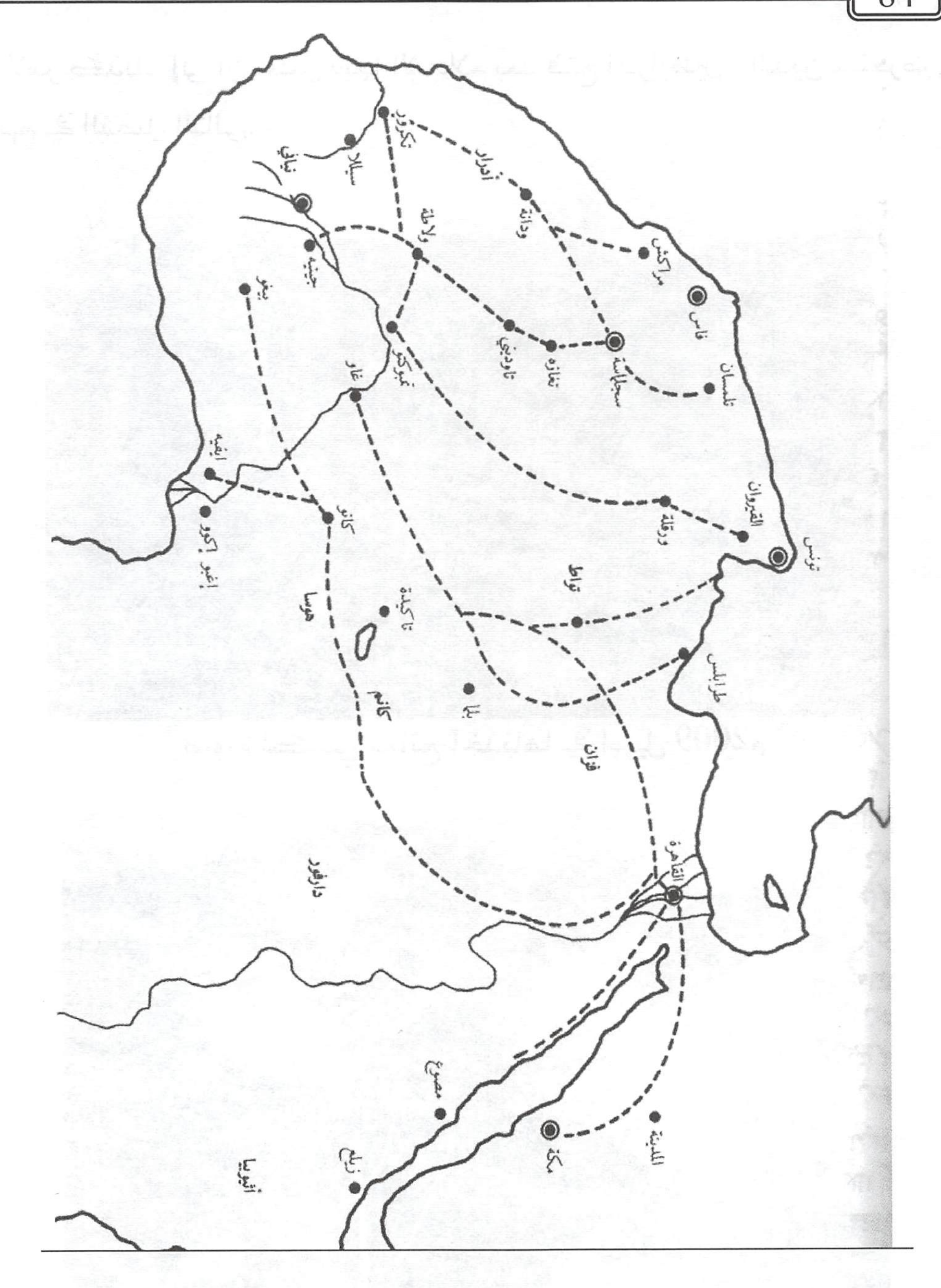
الأمر كذلك إلى أن تغلغل فيها الإسلام بعد فتح المرابطين، الذين سنعرض لهم في الفصل التالي.



صورة لكمبي صالح أخذناها في ابريل 2009م



واجهة أخرى لكمبي صالح



الطرق عابرة الصحراء في ق 14 م

خريطة مأخوذة من موسوعة إفريقيا العامة المجلد الرابع ص 164.

5-المرابطون:

ينتمي المرابطون إلى قبائل الملثمين الصنهاجية وهي إحدى المجموعات البشرية الكبرى في غرب إفريقيا وشمالها، ولم تزل ذاكرة صنهاجة الجمعية تختزن على مر العصور وتوالي الأحقاب انتسابهم إلى قبائل حمير العربية، إليها يعتزون في مجالسهم ومراسلاتهم وبها يفتخرون ويمدحون في أشعارهم. هذا المختار ولد بون يقول مفتخرًا:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذ العصر قدرا دون أدنانا
ننمى لحمير والأحوال شاهدة أسلافنا الغر من أبناء قحطانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة فيها نبين دين الله تبيانا

واشتهرت هذه النسبة واستقرت حتى كاد ينعقد عليها الإجماع لدى نسابة العرب. ولم يخالف فيها من الأقدمين إلا ابن حزم القرطبي ومن المتأخرين غير ابن خلدون على تردد واضطراب في قوله. ويعتقد بعض الباحثين أن الشكوك التي وجهت إلى نسب صنهاجة وحميريتها تندرج تاريخيا في سياق الصراع السياسي الذي شهدته الأندلس بين القيسية والمضرية وما تلاه من فتن وحروب أهلية أدت في نهاية المطاف إلى انفراط عقد الدولة الإسلامية وتشتتها إلى دول ومماليك، فلم يكن المضرية ليرضوا بأن ترجح كفة خصومهم اليمانية بانتساب صنهاجة إليهم باعتبار الحجم الديمغرافي والقوة العسكرية والاجتماعية التي تمثلها في الخريطة البشرية والسياسية للغرب الإسلامي.

ولذا لا نستغرب موقف الإمام أبي محمد علي بن حزم الرافض لحميرية صنهاجة إذا تذكرنا أنه من أسرة عريقة كان جدها مولى لبني أمية وهو نفسه كان وزيرا للمستظهر بالله عبد الرحمن ابن هشام الأموي سنة 414هـ - 1023م. وما كان ابن حزم ليسلم بانتساب أقوى قوة بشرية في شمال افريقيا والأندلس إلى حمير لأن ذلك معناه تعزيز قوة اليمانية في خلافاتها مع

المضرية[1] وهو خلاف تفاقم بعد ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي سنة 399هـ على الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ثالث العامريين المتغلبين على الخليفة هشام بن الحكم منذ والده المنصور محمد بن أبي عامر (ت392هـ) وأخيه المظفر (ت399هـ).

والمنصور هو من أدخل «البربر» من المغرب بأعداد كبيرة وكانوا خاصة جنده وقوام جيشه. وعلى ذلك استمر ابنه وخليفته الحاجب المظفر عبد الملك. وقد أثار هذا التقوي بصنهاجة حنق الأندلسيين وجرت بين الفريقين حروب طاحنة بعد سقوط الدولة العامرية.

ولا شك أن كسر حلف اليمانية وصنهاجة كان غرضا من أغراض من نفي حميرية هذه. ولو ذهبنا أبعد من هذا لقلنا إن كسر حلف صنهاجة وكتامة واليمانية متصل بالتنافس بين البيت الأموي السني المتحالف تاريخيا مع زناته وبين الشيعة العبيدية وصنهاجة وكتامة حملة دولتهم في المغرب.

وفي ضوء هذا البعد السياسي للمسألة نفهم كذلك حرص المعتمد بن عباد وهو اليماني المعتز بيمانيته وعروبته على إبراز هذا النسب الحميري ليوسف بن تاشفين في رسالته إليه حيث كتب «وأنت أيدك الله سيد حمير وملكها الأكبر»[2].

وكان ملوك الدولة المرابطية يمدحون بحميريتهم فمن ذلك قول الكاتب أبي محمد بن حامد المذكور أنفا:

قوم لهم شرف العلى من حمير وإن انتموا لمتونة فهمُ همُ[3]

الخ....

---

(1) ناقش الدكتور الناني ولد الحسين هذا الموضوع، ص: 73. مصدر سبق ذكره.

(2) ابن الخطيب (لسان الدين) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. مطبعة التقدم الاسلامية تونس، ص: 28- 29 . وهذا الكتاب يذكر بعض المؤرخين كالدكتور أحمد مختار العبادي وغيره أنه لمؤلف مجهول.

(3) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 88.

وقد نقل بن أبى زرع عن الزبير بن بكار[1] أن صنهاج أبو صنهاجة هو صنهاج ابن حمير ابن سبأ ولد حمير ابن سبأ لصلبه. وهو ما يؤكده الشاعر أبو فارس عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته «نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك»[2]

مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
وقد رأيت في كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب
وأن صنهاج أبوه حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح فقله لا تخف من التصريح
وعدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور

وهو أمر لا يخامرهم فيه شك وأنهم جاءوا مع الملك أفريقش إلى القارة التي أخذت اسمه[3] وفى هجرات بعد انهيار سد مأرب.

وظل علماء موريتانيا متمسكين بعروبة صنهاجة فالعالم اللغوي محمدو السالم ولد عبد الله ولد الشين (ت1387هـ -1967م) يذكر أنه دكودي حميري[4] والدكوديون قبيلة توجد في القبلة وتنتمي إلى لمتونة.

وتتقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة[5] من أهمها في موريتانيا وما جاورها لمتونة واجدالة ومسوفة. وهم يقطنون هذا المجال منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها[6] وكانت ديارهم ....

(1) الزبير بن بكار حفيد الزبير بن العوام، الصحابي القرشي (ت 869) نسابة وراوية ولي قضاء مكة. المنجد في اللغة والأعلام. الطبعة الخامسة عشرة. دار المشرق، ص: 278.

(2) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 75.

(3) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 75.

(4) ولد محمد المختار ولد بيّه (محمد المحجوب): أتذكّر. ذكريات وخواطر. انواكشوط. 2004م. ص: 43.

(5) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 75.

(6) ابن خلدون (عبد الرحمن): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من =

تختلط بديار السودان[1] وفي كل فرقة وقبيلة بطون وأفخاذ وقبائل كثيرة. وأقام الملثمون دولا عرفت الكثير من الازدهار المادي والروحي واتخذوا مدينة أوداغست عاصمة لهم. وتعاقب على دولهم عدة ملوك جاهدوا من أجل نشر الإسلام في بلاد الملثمين وبين أمم السودان منذ ق 2هـ- 8م. ويذكر أن الجد الجامع لهؤلاء الملوك هو منصور ابن مصالة ابن أمية بن وانمالي اللمتوني الصنهاجي. والجد الذي تتفرع منه أفخاذهم هو حفيده ترجوت ابن ورتسان ابن منصور.... ولترجوت ثلاثة أولاد محمد وحميد وابراهيم. ومن هؤلاء تفرعت بطون كثيرة[2]. واختلف في ترتيب ملوك الملثمين الصنهاجيين إلا أن المؤرخ المختار ولد حامد يذكر ترتيبا هو الأقرب عندنا للصواب حسب مقاربتنا لما رأيناه في مراجع عدة.[3]

أولا ترجوت ابن ورتاسن ابن منصور الذي يرجح أنه أول ملك لصنهاجة عند ظهور الإسلام، ثانيا ابراهيم ابن ترجوت ابن ورتاسن الذي خلف أباه في الملك. ثالثا تلاكاكين وورتكا أوراكن بن وارتنطق.[4] وذكر البكري وابن الخطيب وابن خلدون أن تلاكاكين جد ليحي وأبي بكر أبني عمر.[5] ويعتقد أنه حكم خلال النصف الأول من ق 2هـ- 8م. رابعا تيولوتان ابن تلاكاكين الذي تولى السلطة سنة 157هـ- 773م.[6] ودان له أزيد من =

ذوي الشأن الأكبر. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. 1431هـ، ج6. ص: 241.

(1) عبد الله محمد النقيرة (محمد عبد الله): التأثير الإسلامي في السودان الغربي (غرب إفريقية)، ص: 106.

(2) المراكشي (ابن عذاري): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الرابع. تحقيق: د . إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ، 1418- 1998م، ص: 17.

(3) ولد حامد (المختار): الجزء السياسي. ص: 23- 24.

(4) أورده ابن خلدون هكذا. مصدر سبق ذكره ج6 ص: 241.

(5) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره ج6 ص: 241.

(6) ولد الحسين (الناني): مصدر سبق ذكره ص: 194.

عشرين ملكا من ملوك السودان وكانت سلطته تمتد على مسافة ثلاثة أشهر في مثلها كلها عامرة[1]. وكان يركب في مائة ألف نجيب وكان معاصرا لعبد الرحمن ابن معاوية الداخل بالأندلس وامتدت مدة حكمه خمسا وستين سنة. وتوفي سنة 222هـ- 837م، خامسا الأثير بن بطين بن تيولوتان[2]، واستمر حتى توفي سنة 237هـ- 851م ويسميه ابن خلدون «يلتان» ويذكر أنه توفي سنة 287هـ- 900م[3]. سادسا تميم بن الأثير بن بطين بن تيولوتان واستمر في الملك حتى قام عليه أشياخ قبائل صنهاجة سنة 306هـ - 918م فقتلوه. وترتب على مقتله تفككهم وعاشوا حقبة من الفوضى لا تعرف مدتها ولو أن ابن أبي زرع يقدرها بـ 120 سنة[4].

وفي غياب جواب شاف في حول الدوافع التي جعلت صنهاجة يقتلون ملكهم، فإن لنا أن نتصور أن السبب هو خلافات داخلية يحركها شيوخ القبائل وأمراء المناطق للاستفادة أكثر من مصادر الثروة الواقعة تحت أيديهم كسباخ الملح والضرائب على القوافل وما يجبى من أمراء السودان التابعين لأوداغست. كما يمكن أن يكون ما حدث هو تنافس على الحكم تقوده مجموعة من الأمراء يريد كل منها الاستقلال عن الحكم المركزي لنفس الأغراض المذكورة.

ولعل وجود هؤلاء الأمراء هو ما جعل بعض المؤرخين يرى أن ملك صنهاجة لم ينته نهائيا مع قتل تميم ابن الأثير. إلا أنهم ظلوا منقسمين إلى أن برز فيهم رجل قوي التف الملثمون حول قيادته فلم شملهم وهو الملك تين يروتان ابن ويسنو ابن نزار[5] الذي ذكره ابن حوقل والبكري وابن خلدون.

---

(1) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 79.

(2) وقد ورد في الأنيس المطرب «الأثر» ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 75.

(3) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره. ج6 ص: 241.

(4) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص 76.

(5) البكري، مصدر سبق ذكره، ص: 159.

وينسب إليه من سعة الملك والقوة ما نسب إلى تيولوتان ابن تلاكاكين سابق الذكر، حيث يقول البكري: «إنه قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدي إليه الجزية...».[1] وانتقل الملك من بني تيلوتان ابن تلاكاكين إلى ذرية تين يروتان، إلا أنهم لم يحسنوا الحكم فخلعوا. ويذكر ابن خلدون أن «أبناء هذا الملك افترق أمرهم من بعهده وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا»[2].

وفقدت صنهاجه السيطرة على تجارة القوافل لصالح زناته غريمها التقليدي كما فقدت المراعي الشمالية في منطقة وادي درعه لصالح مغراوة. ولتلافي هذه الانتكاسات ومواجهة الأخطار المختلفة، تعاهدت قبائل صنهاجة على الاتحاد وتداول الحكم على أن يكون قائما على دعائم الدين الإسلامي وهدفه إقامة دولة سنية واختارت على رأسها الأمير أبا عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بلقبه تارشنا اللمتوني الذي درس العلم وجاهد وتبع مذهب السنة على أيدي علماء قبيلة انييرزگ (بني وارث) الصنهاجية التي دخلت الإسلام على يدي عقبة ابن نافع نفسه.[3] واجتمع الملثمون تحت قيادة هذا الزعيم الذي كان من أهل الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد فقام بأمرهم أميرا لمدة ثلاثة أعوام إلى أن استشهد في غزوة له بموضع يقال له قنقارة سنة 428هـ - 1036م[4]. ويذكر البكري أنهم قبائل من السودان كانوا على دين اليهودية يسكنون غرب مدينة بانكلابين التي تسكن بالقرب منها قبيلة بنى وارث الصنهاجية.[5] ويعتقد

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص: 159.
(2) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره ج6، ص: 242.
(3) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 76.
(4) البكري: مصدر سبق ذكره، ص: 164.
(5) المصدر نفسه، ص: 164.

أن بانكلابين تقع في منطقة تگانت الموريتانية[1] وكان ذلك الجهاد من المقدمات الأولى لقيام المرابطين.

ولما توفي أبو عبد الله محمد ابن تيفاوت اللمتوني أحيلت خلافة الملثمين، نظرا لمقتضيات الحلف، بطريقة سلسة إلى رجل عظيم من أقدالة هو يحي بن ابراهيم الذى هو في نفس الوقت صهر لأبي عبد الله محمد ابن تيفاوت. وهنا بدأت المرحلة التأسيسية الفعلية لدولة المرابطين.

والمرابطون اسم علم لحركة إسلامية إصلاحية جهادية ودولة كانت تطورًا موضوعيًا لحلف أقامته مجموعة الاتحاديات القبلية الصنهاجية اقدالة ومسوفة ولمتونة لمواجهة أطماع امبراطورية غانة التي احتلت أواخر ق 10م (حوالي 990م) أودغست عاصمتهم منذ ق 7م[2] ولتطهير الإسلام من البدع ونشر الدين شمالا وجنوبا.

وبعد فترة من الحكم والجهاد استخلف الأمير يحي ابنه ابراهيم على الاتحاد الصنهاجي ومواصلة الجهاد سنة 427هـ. وتوجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول محمد ﷺ[3] وتذكر المصادر أن الأمير يحيى بن ابراهيم القدالي[4] مرَّ بالقيروان في طريق عودته من تأدية فريضة الحج وكان مصحوبا بالعالم الجوهر بن سقم اللمتوني. ولا نجد اتفاقا على

(1) ولد الحسين (الناني): مصدر سبق ذكره، ص: 96.

(2) ولد الحسين (الناني): المصدر السابق، ص: 200.

(3) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 77.

(4) يبدو أن وظيفة الأمير العام للاتحادية الصنهاجية تقارب في مضمونها وظيفة شيخ العامة التي كانت معروفة لدى بعض القبائل الموريتانية في القرون المتأخرة وهي وظيفة وإن اختلفت باختلاف الأمير وقوة شخصيته إلا أنها كثيرا ما تقتصر على تسيير العلاقات الخارجية والدفاع وحل النزاعات الناشبة بين أجزاء الاتحادية وتحديد مناطق الرعي المخصة لكل فرع منها. وأكثر تعامل شيخ العامة إنما يكون مع شيوخ البطون والقبائل المنضوية تحت لواء الاتحادية.

تاريخ هذا المرور بالقيروان ولكن الأرجح أنه كان سنة 430 هـ- 1038م. التقى الأمير بعلماء البلد وفي مقدمتهم أبو عمران الفاسي المقيم هناك (توفي آخر تلك السنة)[1] فشرح له أمر بلاده وما عليه قومه من رغبة في الخير والدين وما هم فيه من جهل واحتياج إلى من يعلمهم أمور دينهم. ويقول البكري إن أبا عمران سأله عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشيء..[2] كما يقول ابن أبى زرع إن اباعمران سأل الأمير عن موجبات دينه فلم يجده يعرف من دينه شيئا لا من الكتاب ولا من السنة..[3].

ويلاحظ أن هذه الرواية المتداولة عن قلة معرفة الأمير يحي بن إبراهيم بأمور دينه لا تقوم للنقد عند إمعان النظر فيها لما فيها من الغرابة والمبالغة. إذ كيف بأمير بلاد دخل أهلها الإسلام منذ حوالي أربعة قرون وجاهد أجداده من أجل نشره كما فعل هو نفسه قبل أن يستخلف ويحج (كان يجاهد مع الأمير أبي عبدالله محمد بن تفاوت تارشنى الموسوم بالعقل والدين والحج والجهاد) أن يكون بهذه الدرجة من الجهل بأمور دينه!؟ ثم إن وفد الأمير يحي بن إبراهيم إلى الحج يضم كوكبة من الأفاضل كالعالم اللمتونى الجوهر ابن سكّم الذى سنرى لاحقا أنه اختلف مع عبد الله بن ياسين. ولوأن الأمير يحي كان بهذه الدرجة من عدم معرفة القواعد الأساسية لدينه لما جاهد من أجل تطهير بلاده من البدع والمذاهب الضالة والشاذة ومن أدعياء العلم ولما عمل لفرض السنة مذهبا عقديا والفقه المالكي تمذهبا في التشريع. ونرجح أن هذه المبالغات في ما نقل عن الأمير إنما هي من إفك

(1) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 77.

(2) البكرى مصدر سبق ذكره، ص: 165.

(3) ابن ابى زرع مصدر سبق ذكره، ص: 77.

الرواة ومن تشنيع أهل الحواضر على أهل البوادي وأهل المراكز على أهل الأطراف.

وتذكر المصادر أن أبا عمران الفاسي لم يجد من يرسله مع الأمير الصنهاجي لبعد الشقة فأعطاه رسالة إلى أحد علماء بلاد السوس بالمغرب الأقصى اسمه وجاج بن زلو اللمطي أو وقاق بالجيم الصنهاجية[1]. ولما وصل الأمير يحي بن إبراهيم إلى وجاج جمع تلاميذه وعرض عليهم الأمر وانتدبهم له وحثهم عليه فتقدم إليه الفقيه عبد الله بن ياسين قابلا للمهمة راغبا فيها فمضى مع الأمير إلى البلاد الموريتانية الحالية. ولعل تقدم عبد الله بن ياسين للذهاب مع الأمير الصنهاجي جنوبا من باب ما يضرب له المثل «شرع وافق هوى» فعبد الله بن ياسين جزولي صنهاجي «أمه من قرية تماماناوت في أطراف صحراء مدينة غانه»[2] أي في الصحراء المحاذية لمدينة كمبي صالح وهي في الجنوب الشرقي الموريتاني كما تقدم.

أحسن الناس استقبال الفقيه الجديد الذي جاءهم به أميرهم ولكنهم لم يلبثوا أن ضاقوا به وبما هو فيه من الصرامة في إقامة الأحكام فكادوا يطردونه. وبعد موت يحي بن ابراهيم القدالي هم عبد الله بالخروج عنهم إلى ما قرب من بلاد السودان الذين كانوا قد أسلموا كمملكة التكرور على ضفتي نهر السنغال. وكاد عبد الله ينتقل لولا أن منعه أمير الحق يحي بن عمر اللمتوني وقال له إنما أتينا بك للانتفاع بعلمك في خاصة نفوسنا وأشار عليه بأن يعتزلا ومن أطاعهما في جزيرة في البحر. استحسن الفقيه هذا الرأي وخرجا ومعهم أبو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني وانزووا

(1) لمزيد من التفاصيل انظر ابن عذاري المراكشي. مصدر سبق ذكره. ص: 7 وما بعدها.
وانظر: ولد الحسين (الناني): مصدر سبق ذكره، ص: 208 .
(2) البكري. مصدر سبق ذكره، ص: 165.

وأنصارهم قبيل 443هـ - 1051م في مكان قصي سموه رباطا، يعدون فيه أنصارهم، علميا وعسكريا واقتصاديا، للجهاد[1].

ورغم أن الناصري يذكر في الجزء الثاني من الاستقصا (ص 8) أن الذي قال له الكلام السالف وأشار عليه بالانعزال في جزيرة بالبحر هو يحي بن ابراهيم الڤدالي فإن الأرجح ما ذهبنا إليه. وبه قال ابن خلدون. ثم إننا نعتقد أن من الصعب أن تتمرد القبائل وخاصة اڤداله على تعاليم الداعية عبد الله بن ياسين خلال حياة الأمير يحيى بن إبراهيم.

أما عن موقع الرباط ففيه خلاف هو الآخر. وهذه أشهر الروايات في ذلك:

1. هناك من يقول إنه عند مصب نهر السنغال[2] في المحيط الأطلسي عند جزيرة اندَرْ المدينة السنغالية[3] التي أطلق عليها الاستعمار اسم Saint Louis. وحسب الأستاذ المختار ولد حامد فإن هذا هو اعتقاد الولف ويدعمونه بأن عائلات ولفية كثيرة أصلها مرابطون[4].

2. وأما المجموعة التكرورية فتقول إن الرباط كان في جزيرة قريبة من مدينة أبودورPodor الحالية على الجانب السنغالي من النهر. وهذا الرأي يدعمه وصف ابن خلدون للمكان حيث يقول إن البحر المذكور وهو بحر النيل - أي نهر السنغال- يحيط بالجزيرة من الجهات الأربع ويكون ضحضاحا في الصيف يخاض بالأقدام وغمرا في الشتاء يعبر بالزوارق[5].

---

(1) Desiré Vuillemin (Geneviève): Histoire de la Mauritanie. Des origines à l'indépendance. P. 155.

(2) ابن عذاري: مصدر سبق ذكره. ص: 10.

(3) اندر ربما تكون مشتقة، حسب البعض، من لفظ الدار أو من فعل ندر أي ارتفع.

(4) ولد حامد (المختار): موسوعة موريتانيا. الجزء السياسي. ص: 45 .

(5) الناصري (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد): كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب =

3. وهناك من يقول إن موقع الرباط ليس بعيدا شمال غرب العاصمة انواكشوط عند مكان اجْرَيْدَه.

4. وكذلك من يقول إن الرباط كان أبعد شمالا وأنه كان بجزيرة التِّيدْرَه المقابلة لشاطئ المحيط بين انواكشوط وانواذيبو(1).

وعلى كل حال، فإن كل الأماكن المحتملة لانطلاق دولة المرابطين تقع في نفس الاقليم الجغرافي مما يجعل كل السكان من تخوم البلاد الشمالية إلى ضفاف النهر يتأثرون دينيا وسياسيا واجتماعيا بهذه الدولة وينتسبون لها حضاريا وتاريخيا بل ويتنافسون كما رأينا على تقريب مكان الرباط الذي انطلقت منه، إلى أماكن وجودهم المختلفة.

وإذا استثنيا الرأي القائل إن مكان الرباط كان انْدَرْ أو في بودور على الضفة السنغالية من النهر، فإن كل الروايات الأخرى مجمعة على أن مكانه هو البلاد الموريتانية.

ولذلك فلا خلاف أن الدولة المرابطية دولة موريتانية في الأصل رغم انتقال ثقلها ومركزها لاحقا إلى شمال افريقيا واسبانيا لأسباب متعددة.

وقد بدأ أمراء المرابطين دعوتهم بالحسنى داخل قبائلهم ثم جردوا سيوفهم للجهاد حتى انقادت القبائل أجمعها لأحكام الشرع وإقامة الحدود.

= الأقصى. الدولتان المرابطية والموحدية. الجزء الثاني. تحقيق وتعليق ولدي المؤلف الأستاذ جعفر الناصري – الأستاذ محمد الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء. 1954. ص 8. والمختار ولد حامد : الجزء السياسي. ص 47 . وكذلك:

Dieng Amadou Tidiane: Formation et evolution de la principauté de Dekle au Fouta-Tooro 1718-1776. Memoire de maîtrise. Sous la direction de: GnokaneAdama. Année universitaire 1989-1990. Université de nouakchott, departement d'Histoire, p. 15

(1) القلاوي (احمد فال سيدي): دعوة المرابطين في صحراء شنقيط حتى قيام دولتهم في المغرب. الطبعة الاولى. ص: 137.

ولما وحد المرابطون القبائل تحت راية الدعوة، اتجهوا صوب عاصمة مملكة صنهاجه القديمة أوداغست أو النوداش[1] سنة 445هـ - 1053م فحرروها من امبراطورية غانة الوثنية التي كانت قد احتلتها سنة 990م.

بث المرابطون الإسلام في القبائل الإفريقية المجاورة لهم بالتحالف مع من أسلم من زعمائها ثم خرجوا إلى بلاد السوس من جنوب المغرب يدعون أهلها إلى الطاعة وإخراج الزكوات فتم لهم من ذلك قدر صالح ورأى الناس قوتهم وما هم عليه من استقامة وحسن دين ثم انكفأوا إلى بلادهم.

طار صيت المرابطين في الآفاق وشاعت لهم ضربات تقد الفارس كما قال ابن عذاري[2] وضرب المثل بدرقهم وكبروا في أعين الناس فأرسل إليهم علماء سجلماسة يخبرونهم بما حل ببلادهم جراء تغلب بني خزرون المغراويين «وما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين، من الذل والصغار مع أميرهم»[3]. وربما كان وجاج بن زلو هو الذي كتب إليهم بطلب من أهل سجلماسة.

شد المرابطون الرحال إلى سجلماسة سنة 447هـ- 1055م[4] بقيادة

---

(1) CORNEVIN R. et M., «Histoire de l'Afrique, des origines à la 2ème guerre mondiale», Petite Bibliothèque Payot, 4ème édition mise à jour. 1974 p 145.

ويذكر ولد محمد الهادي (اسلم): في كتابه «موريتانيا عبر العصور» أن تحرير أوداغست سنة 446 هـ 1054م. ص: 113. 120. مطبعة الأطلس.

(2) المراكشي (ابن عذاري): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الرابع. تحقيق: د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت، 1418- 1998م.

(3) الناصري: الجزء الثاني، ص: 12. وانظر ابن عذارى المراكشي: الجزء الرابع، ص: 18-20. وكذلك مقدمة ابن خلدون، وانظر يحي ابن محمدن (موريتانيا قبل الف سنة) سلسلة مقالات في جريدة الشعب سنة: 1989م.

(4) الناصري: مصدر سبق ذكره، ص: 13.

القائد الزاهد المجاهد أبي بكر بن عمر بن ابراهيم ومعه ابن عمه يوسف ابن تاشفين بن ابراهيم(1) وعالمهم الداعية عبد الله بن ياسين.

وأثناء وجود الجيش المرابطي في الشمال، وصلته أخبار استشهاد أمير الحق يحي بن عمر اللمتوني ومعه خلق كثير من لمتونه وهم يقاتلون متمردي اقداله عند موضع تبفريلي(2) الواقعة بين تاليون وجبل لمتونه سنة 448هـ - 1056م. وتقول الحكاية الشعبية التي أوردها البكري إن الأذان يسمع في ذلك الموضع عند أوقات الصلاة وهذا ما يذكر بما يقال عن بلاط الشهداء. وكان رئيس مملكة منا التكرورية لبي بن وارجابي أو وارا جابي إلى جانب الأمير يحي بن عمر يوم استشهاده. ولعل ذلك الإسهام في الفتوح المرابطية هو ما جعل اسم مملكة مَنَّا يظل إلى عهد قريب قرين الالتزام الديني، في

---

(1) يذهب بعض الباحثين إلى أن يوسف بن تاشفين ابن أخت الأمير أبي بكر بن عمر وإنما قدمه وورثه، على العادة الصنهاجية الأصيلة في توريث أبناء الأخوات. انظر:

Naïmi (Mustapha): La dynamique des alliances ouest-sahariennes. Ed : La maison des Sciences de l'Homme. Paris. 2004. P. 79.

(2) هكذا ورد لدى البكري، تبفرلي بالباء، والأرجح أنه تصحيف. ولا نستبعد أن تكون تنفرلي، لأن المواضع باللغة الصنهاجية عادة ما تأتي على هذا النحو، مثل تنبكتو وتنبدغه وتنويش وتن اسويلم، وتن يرگ الخ. ويذكر الدكتور الناني ولد الحسين أن بعض الباحثين يرون أن تبفريلي قد تكون تحريفا لاسم قرية توجد أنقاضها قرب وادان في موريتانيا تعرف بـ«تفرله». ويذكر المصطفى ولد كتاب إمام مسجد وادان في كتابه المنهاج من بعض سير إدولحاج أنه توجد قرية لمسوفة خربت وبني بقربها وادان تسمى التفتيل بكسرتين.

ويرى البعض أن الأمير استشهد في موضع سمي وكشض على بعد 36 كلم جنوب مدينة أوجفت. وعثر سنة 1985م على صخر منقوش عليه اسمه ولقبه والضريح محاط ببقايا حائط يصل ارتفاعه حوالي متر ونصف وطوله ثلاثة أمتار وعرضه مترين وبجانبه مصلى وكان السكان يرعون هذا الضريح ويتبركون به ولا يعرفون أكثر من أنه لأحد قادة المرابطين إلى أن اكتشفت أسراره في التاريخ المذكور. انظر الناني ولد الحسين، مصدر سبق ذكره، ص: 236-237.

أذهـان إفـلان. وبعـد استـشهاد أمـير الحـق يحـي ابـن عمـر، عـين المرابطـون بمباركة الإمام عبد الله ابن ياسين، أخاه أبا بكر ابن عمر أميرا خلفا له.

وخلال وجود المرابطين في الشمال، استشهد عبد الله بن ياسين غدرا على أيدي برغواطة الذين نقضوا عهدهم وغدروا بالفقيه وهو في قلة من أصحابه سنة 451هـ- 1059م. وقد أخذ المرابطون بثأر عالمهم بالقضاء المبرم على سلطان برغواطة. وكان ضمن القواد المرابطين في هزيمة برغواطة، احمد بن آمَدُو جَنُّو ملك سلي الذي ساهم في فتح مدينة درعه تحت راية أبي بكر بن عمر[1].

اختار المرابطون أثناء جهادهم في المغرب الأقصى مكانا لعاصمتهم يلائم بيئتهم الصحراوية وهو موقع مراكش الحالي، في الثالث والعشرين من رجب سنة 462هـ- 1069م. وقد اختار أبو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني وقواد الجيش اللمتوني ومشايخ المصامدة من أهل المنطقة موقع مراكش بعد الكثير من التروي والدراسة والنقاش والخلافات بين قبائل المنطقة التي كانت كل واحدة منها تريد أن تحوز لنفسها شرف بناء العاصمة الجديدة على أرضها كهيلانة وهزميرة. وأشرف الأمير أبو بكر على تأسيس المباني الأولى لهذه المدينة[2].

وأعطت المصادر التاريخية الكثير من العناية لبناء مراكش وإن اختلفت في تعريف من أسسها وتاريخ ذلك التأسيس. فابن عذاري المراكشي وهو ابن البلد يذكر أن مؤسس المدينة هو الأمير أبوبكر بن عمر[3]، بينما يقول

---

(1) البكري: ص 167 – 168. ويذكر الناصري أنه استشهد 447هـ ووُلّيَ مكانه أخوه أبو بكر بن عمر 448هـ. ج 2 ص: 13.

(2) ابن الخطيب (لسان الدين) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. مصدر سبق ذكره ص: 5 – 6.

(3) المراكشي (ابن عذاري): ص: 19- 20. ج الرابع. مصدر سبق ذكره.

احمد بن خالد الناصري في الاستقصاء إن يوسف ابن تاشفين هو الذي بنى مراكش سنة 454هـ[1].

أما البكري الذي عاصر عهد المرابطين فذكر أبا بكر بن عمر وجهاده وانتهى عند سنة 460هـ- 1067م ولم يتطرق لتأسيس مراكش ولا إلى يوسف بن تاشفين لأنه لم يكن بعد معروفا. ولا يمكن أن يفوت البكري تأسيس مراكش لو كان قد تم قبل 460هـ سواء من طرف أبي بكر أو ابن عمه يوسف. ويؤكد العبادي أن الذي أسس مراكش هو الأمير أبوبكر وتوصل إلى هذه النتيجة بعد بحث مستفيض وشاق ومقارنات مطولة بين المراجع واعتمد على ابن عذاري وصاحب الحلل الموشية وقال إن روايتهما هي الأصح وخطّأ صاحب روض القرطاس قائلا إنه كثيرا ما استسلم لخياله وملأ كتابه بالأخطاء التاريخية والجغرافية وإن ابن خلدون والسلاوي إنما نقلا عنه[2].

ولعل استمرار ملك بني يوسف بعده في مراكش وتقرب المؤرخين إليهم وما تتطلبه دواعي السياسة و«آداب» صحبة الملوك من الثناء عليهم وعلى أسلافهم بالحق والباطل، مما صرف الرواية ببناء المدينة عن ابن العم الذي غيبته البلاد الموريتانية الواسعة هو وذريته، إلى يوسف رحمه الله. ولا نخال هذه الرواية ظهرت إلا بعد يوسف رحمه الله فهو من هو عفة وورعا وتقشفا قد علم ذلك من أمره القاصي والداني. وكفاك برجل خاض البحر مجاهدا إلى الأندلس وهزم الفونسو في الزلاقة «فلما حصلت الغنائم عف عنها»[3].

---

(1) الناصري: الاستقصا. ص 24. ج 2. مصدر سبق ذكره.

(2) العبادي (الدكتور أحمد مختار): تاريخ المغرب والأندلس. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. بدون تاريخ. ص ص: 298- 302.

(3) المراكشي (ابن عذاري).

والذي يبدو لنا من تقصي جوانب هذه القضية أن واضع حجر أساس مراكش هو الأمير أبو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني أما الذي شيدها وعمرها إلى أن بلغت ما بلغت من ازدهار وارتفاع صيت فهو ابن عمه وخليفته أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

لم يلبث أبو بكر كثيرا وهو يبني مراكش حتى جاءه خبر اضطراب الأحوال في جنوب دولة المرابطين فعظم ذلك عنده وعز عليه أن يتقاتل قومه. ومما يحكى في هذا الموضع أن امرأة اشتكت وقد تعدى سفهاء على إبل لها فقالت: ضيعنا أبوبكر أي أنه ذهب عنهم بنفسه وبوجوههم ومقاتلتهم وتركهم دون قوة من سلطان أو جيش؛ فبلغه ذلك فجمع رجالات لمتونة ووجوه دولته وأعلمهم بما استقر عليه رأيه من الرجوع بنفسه وببعض الجيش إلى الديار. ثم استخلف عليهم ابن عمه يوسف وأوصاه خيرا وقال له إنه مفارق زوجته زينب بنت اسحق النفزاوية وأشار عليه بالزواج منها لما خبره من عقلها وسداد رأيها[1]. ومضى من حينه[2]. ولا نملك معلومات عن ما فعله أبو بكر في هذه الكرة إلى البلاد الموريتانية ولكن الظاهر من أمره أنه حقق ما رجع من أجله من ضبط للبلاد وقمع للفتن خلال سنتين من الجهاد. ولما تم له ذلك كر راجعا إلى دولته في الشمال فبلغ الخبر ابن عمه يوسف ابن تاشفين فضاق بذلك ذرعا وحار في أمره. وتخبرنا الروايات التاريخية أن يوسف كاد يسلم الدولة إلى أبي بكر لولا الحيلة التي أشارت عليه بها

---

(1) المراكشي (ابن عذارى): مصدر سبق ذكره. ص: 21.

(2) انظر الاستقصا للناصري، ج2، ص 21 - 22 يقول إن العجوز ذهبت لها ناقة في غزاة فبكت وقالت ضيعنا أبوبكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب .

وانظر رواية أخرى مفصلة مختلفة في ابن عذاري ج 4 ص: 20 حيث ذكر أن رجلا مسنا أتى أبا بكر وهو جالس على حائط يراقب بناء مدينة مراكش فقال له إن اكداله هجمت على لمتونة فقرر الأمير العودة إلى وطنه الأصلي.

زينب حيث قالت له: إني لأعرف ابن عمر ولهو أشد ورعا وزهدا من أن يهريق قطرة دم مسلم من أجل الحكم فإذا هو قرب فأرسل له ولجيشه من المؤن وأنواع الطرف ما أمكنك ثم استقبله في جيش عظيم وسلم عليه راكبا ولا تترجل بين يديه فإنه سيفهم قصدك وينزل لك عن الأمر. فقال لها يوسف: هذا والله الرأي. ولما لقي الأمير أبو بكر يوسف على الصفة السالفة الذكر فهم ما في نفسه فقال له: انزل يا ابن أخي فنزل ونزل أبو بكر وجلسا تحت شجرة وتحاورا في ما فيه صلاح المسلمين ثم أملى أبو بكر وصيته المشهورة: «إني قد وليتك هذا الأمر وإني مسؤول عنه فاتق الله تعالى في المسلمين وأعتقني وأعتق نفسك من النار ولا تضيع من أمور رعيتك شيئا فإنك مسؤول عنه والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم»(1). وأشهد وجوه الناس وقادة الجيش على تسليمه الأمر إلى ابن عمه يوسف سنة 465هـ- 1072م. ثم تلوم أياما وقفل إلى البلاد الموريتانية حيث استمر ينشر الدين ويقيم العدل حتى توفاه الله شهيدا سنة 480 هـ- 1087م(2).

ورغم الروايات التاريخية التي يكرر بعضها عن بعض هذا التصوير لما حدث إلا أن هذا اللقاء وإن أجمعت المراجع على حدوثه وكانت نتيجته معروفة بتسليم الحكم الى يوسف، فإن تفاصيل ما جرى فيه بين الرجلين تظل غير معروفة. وهناك أمور تثير تساؤلات منها: أنه لو كان ما جرى مجرد انقلاب لما ظل يوسف يرسل الهدايا لأميره السابق. ولما خلت علاقات الطرفين

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج2، ص: 22.

(2) كما ذكر ابن أبي زرع في كتابه: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينه فاس، وكذلك الناصري في كتاب الاستقصا؛ أما ابن عذاري المراكشي فذكر أن وفاته: 468هـ أي سنة: 1075م. والخلاف بين هذه المراجع الأم أدى إلى خلاف كثير بين المراجع الحديثة.

مـن الخلافـات بعـد تلـك اللحظـة عكـسا لمـا حـدث فقـد ظلـت الـصلات الاجتماعية والتجارية والثقافية مستمرة بين جنوب دولة المرابطين وشمالها. ولو كان الأمر انقلابا لما عاد بعض من أبناء يوسف إلى موريتانيا مع ابن عمهم الأمير أبي بكر[1]. ولو كان الأمر فتنة وصراعا على الدنيا لما ظل يوسف يسك العملة باسم الأمير أبى بكر حتى استشهاده. وفي غياب أجوبة على هذه التساؤلات الحائرة بإمكاننا أن نتصور أن ما جرى بين الأمير أبي بكر وابن عمه يوسف ليس بالبساطة المتناقلة، بل لعل الرجلين وضعا خططا لنشر الإسلام وتوطيده وتعزيز المذهب السني ووزعا المهام بينهما كل حسب مؤهلاته وميوله، على ضوء الوضع الجغرافي والبشري للمنطقة وذلك بأن يواصل يوسف قيادة المرابطين في الشمال وأن يواصل أبوبكر قيادتهم في الجنوب مع احترام رمزية الأخير كابن عم أكبر سنا وكقائد أعلى سابق.

وعلى هذا فالراجح ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن المرابطين رغم ما أولوه من أهمية لرفع الحيف عن شعوب شمال إفريقيا وتطهيرها من المذاهب الشاذة وتوحيدها تحت راية الإسلام السني فإن مصالحهم الوطنية في موريتانيا وما أنجزوه من نشر للإسلام في غرب إفريقيا وما أقاموه من علاقات مع الممالك الإسلامية التي جاهد ملوكها معهم، أمور جعلتهم ينتهجون سياسية تقربهم من هذه الممالك التي تعلق عليهم آمالا كبرى في متابعة الجهاد بهم ومعهم من أجل الانتصار على أوكار الوثنية المتمثلة أساسا في قلعتها العتيدة مملكة غانة.

ولا غرابة أن راودت هذه الأفكار السياسية الجهادية، التي تدل عليها قرائن عديدة، الرجلين منذ وضع أبي بكر قواعد مدينة مراكش وما

---

(1) وفي هذا المقام يقول محمد امبارك اللمتوني:

ونسلة ابن تاشفين التحقت   بعمها ومنها الأرض عمرت

صاحب استعداده للرجوع إلى موريتانيا ليصلح أحوالها ويتابع جهاد الكفرة من السودان[1]. ولعل استخلافه يوسف ونصيحته له بالزواج من زينب التي طلقها طلاق من لا يفكر في الإياب ورمزية هذا الزواج بل التزويج دلائل أخرى على ما بين الرجلين من ثقة عميقة والتقاء على أمور دينية ودنيوية لا يدركها سواهما. ولقد كان ذلك التعاون أفضل وسيلة لتنفيذ مشروعهما السياسي الجهادي الشامل المتمثل في: «النداء بضرورة توحيد المغرب الإسلامي لمنازلة المسيحية والنداء لفتح الممالك السودانية بهدف القضاء على الوثنية».

ومنذ اليوم الذي تنازل فيه أبوبكر عن الحكم لصالح يوسف بن تاشفين أصبحت دولة المرابطين قسمين واحد في الشمال وآخر في الجنوب. ولقرب الأول من مراكز الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس والمشرق ومن الحضارة الغربية اهتم به المؤرخون وكتبوا عنه الكثير حتى أصبح البعض يظن أنه هو الأصل والمنطلق وأن الجنوب امتداد له مع أنّ يوسف بن تاشفين ظل حتى استشهاد أبي بكر بن عمر سنة 480هـ- 1087م يسك الدينار المرابطي باسم ابن عمه الأمير أبي بكر اعترافا به رئيسا للامبراطورية المرابطية.[2] والعجيب أنه لم يضرب دنانيره باسم الخليفة في بغداد رغم اعترافه بولايته الدينية وقبوله كتاب التولية منه.

أما القسم الجنوبي الموجود في موريتانيا وامتداداتها فلا يعرف عنه

---

(1) انظر: ابن أبي زرع. مصدر سبق ذكره ص: 86.

(1) ولد عبد الله (ددود): دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب افريقيا حتى نهاية ق: 18 للميلاد. حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة نواكشوط العدد الأول 1989م. ص: 18، وما بعدها.

(2) موسوعة تاريخ إفريقيا العام، منشورات اليونيسكو 1997م، المجلد الثالث، ص: 386. مصدر سبق ذكره.

البـاحثون إلا القليـل حتـى أن الـبعض حـاول إعطـاء دور الأمـير والقائـد العـسكري للفقيـه عبـد الله بـن ياسـين الـذي لم يكـن إلا عالمـا سياسـيا مجاهدا ومرشدا كبيرا ، احتضنته واستعانت بعلمه وتوجيهاته الدينية، دولـة اقـداله و مـسوفه و لمتونـة الـتي تطـورت إلى دولـة المـرابطين. ولم يتلقـب رحمه الله بلقب الإمـارة ولا القيـادة وإنمـا كانـت الإمـارة وقيـادة الجيوش في أهلـها مـن اقداله ولمتونة ومسوفة أهل البلاد وذوي العصبية.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن استشهاد هـذا الفقيـه رحمه الله سـنة: 451هـ - 1059م لم يؤثر في مسيرة المرابطين المظفرة، عسكريا أو سياسيا أو دينيـا، بل إن الأمير أبـا بكـر شتت قبائل برغواطـه المنحرفة وأخـذ بثـأر إمامـه ابـن ياسين[1] ثم اتخذ عالما جليلا آخر مفتيا ومستشارا هـو سليمان بن عـدو ومـا لبـث أن استشهد خـلال الجهـاد ضـد برغواطـة[2] واتخـذ مـن بعـده الأمير أبـو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني مستشارا آخر هو الفقيه أبو بكـر محمـد بن الحسن المرادي الحضرمي.

ونجـد بعـض المؤرخين قـد فطنـوا إلى هـذا الغـبن الـذي لـيس لـه سـند مـن تـاريخ أو علـم وصـدعوا برفعـه. هـذا محمـد بـن عبـد العـالي احمـد والـدكتور محمد سعيد القشاط يؤكدان أن المـرابطين في الجنـوب هـم الأصـل والمنطلـق وهم الذين تحملوا أعباء الفتوحات في غرب إفريقيا لنشر الإسلام وتوطيده[3] حتى أصبح القـرآن الكـريم يرتـل فيهـا بفـضلهم وبفـضل الحركـات الناتجـة عنهم والمتأثرة بهم وأحكامه نافذة ومآذن المساجد تشرئب أعناقها والمحـاظر

---

(1) للمزيد انظر: الناصري: الاستقصا. مصدر سبق ذكره. ج 2 ص: 19.

(2) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره ج6. ص: 244.

(3) احمـد (محمـد عبـد العـال): الإسـلام في غـرب القـارة الإفريقيـة: جـذوره الأولى ووسـائل انتشاره. نشرة البحوث والدراسات الأفريقية. رقم 23. معهد البحوث والدراسات الافريقية. جامعة القاهرة. بدون تاريخ.

منتشرة في السنغال وغينيا ومالي والنيجر ونيجيريا وقسم كبير من بوركينا فاسو وبنين وساحل العاج وجنوب ليبيا وشمال اتشاد[1].

ولما رجع أمير المرابطين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم اللمتوني إلى موريتانيا بعد أن حسم مسألة الشرعية في الشمال، رجع ومعه أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي القيرواني ثم الأندلسي الذي ألف له كتاب «الإشارة في تدبير الإمارة» وتولى القضاء بمدينة أزوقي قرب مدينة أطار بموريتانيا حيث مازال ضريحه قبلة الزوار وهو ثاني أو ثالث ضريح معروف لشخصية مرابطية بعد ضريح الأمير أبي بكر نفسه رحمهما الله.

وواصلت دولة المرابطين الموريتانية الجهاد في الجنوب متعاونة مع أمراء القبائل والإمارات السودانية المسلمة وخاصة مملكة التكرور التي كانت من موقعها في حوض نهر السنغال تشكل ضغطا مستنزفا على إمبراطورية غانه. وفتحت الدولة المرابطية دونما قتال، امبراطورية غانه الوثنية سنة 469هـ - 1075م[2].

انتشر الإسلام بين ملوك غانه وتدفقت تعاليمه بين صفوف رعايا المملكة الذين كان أغلبهم من قبائل الماندق المنتشرين في السودان الغربي والذين نشروا الإسلام بين من جاورهم من الشعوب الوثنية. وبالجملة، فقد ازدهرت الدولة المرابطية في الجنوب وواصلت نشر رسالتها الأولى؛ رسالة الدين وأسست على فترات المراكز العلمية كأزوقي وتنبكتو. ولا نظن الدولة المرابطية الجنوبية كانت دون الدولة المرابطية الشمالية خدمة للإسلام ولا نشرا للدين والثقافة. فإذا كانت هذه قد صدت الفرنجة في

---

(1) القشاط (محمد سعيد): الطوارق: عرب الصحراء الكبرى. مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء. مطابع اديتار. دون تحديد مكان النشر.الطبعة الثانية. 1989م، ص: 67.

(2) موسوعة تاريخ إفريقيا العام، منشورات اليونيسكو 1997م المجلد الثالث، ص: 96- 97.

الزلاقة وحاولت جمع ما تشتت في الأندلس وأعطت للمنطقة وجهها السني المالكي الراسخ حتى اليوم فإن ما ترسخ من دين الإسلام في غرب إفريقيا كله وما ازدهر فيها من مدائن العلم وحواضن المعرفة لهو الدليل على عظمة الجهاد المرابطي البكري الجنوبي في مرحلة ما بعد انفصال الدولتين. ومن خواص هذه الدولة المرابطية التي رأينا كيف انفصل شمالها عن جنوبها دون حرب وبلا شغب، أن شطريها لم يتنازعا قط سلطانا ولا تواجهت لهما جيوش ولا انقطعت بينهما سابلة.

وفيها يقول لسان الدين ابن الخطيب مادحا:

وطلعت بمغرب لمتونه ... دولتهم مصونة ميمونة
تضم دينا وعفافا لكرم ... لم يدر قدر فضلها حتى انصرم
فأذعنت لحربها الطوائف ... وظهرت من قومها خلائف
منهم أبوبكر حليف الدين ... ويوسف وهو ابن تاشفين[1]

رزئت دولة المرابطين في الجنوب باستشهاد الأمير أبي بكر بن عمر بن إبراهيم اللمتوني بسهم مسموم خلال المعارك.[2]وخلفه حكام ضعاف. وحسب تواتر الروايات الشفهية فإن ضريحه موجود في الموقع المسمى مقسم بن عامر في تگانت[3].

وتتفق المصادر على أن وضع المرابطين في موريتانيا بعد استشهاد الأمير

---

(1) ابن الخطيب (لسان الدين): رقم الحلل في نظم الدول. تونس: 1316- 1898م، ص: 51. وما بعدها.

(2) ابن أبي زرع مصدر سبق ذكره، ص: 87.

(3) وربما أطلق عليه بعض الناس أسماء أخرى. وزرت هذا الموقع سنة: 1983م فوجدت بالقرب منه مخيما من قبيلة إيدوعيش بادية على أهله رغم قساوة الحياة مسحة نبل لا تخفى على الزائر. وكانت أغلبية أهله نساء فارعات القامة. وذكر لي وجود أضرحة الكثير من اللمتونيين لا سيما من قبيلة مسومه.

أبـي بكـر ابـن عمـر أسـدلت عليـه سـتائر مـن الظلمـات فـلا تتـوفر معلومـات كافيـة عمـا جـرى فيـه. ويـستمد أغلبيـة المـؤرخين الموريتـانيين معلومـاتهم عـن هذه الفترة مما ورد في «نظم في الدولـة اللمتونيـة» لمحمـد امبـارك اللمتـوني[1]. فالمرحوم المختار ولد حامد والدكتور النـاني ولـد الحسين رجعا إليه في ذكـر وترتيب أسماء الأمراء الذين تعاقبوا على الحكم بعد استشهاد أبى بكـر بـن عمر وهم: أحمد ، الذى ذكـر اللمتونى أنه أخو أبي بكـر[2] ثم بويـع الخظير بن يوسف الذى دام ملكه أربعين سنة. ثم بويع بعد موتـه ابـن ابنـه عتبـة الـذى استمر حكمه ستين سنة ، ثـم تـلاه ابنـه بشار فحكـم لمدة ثلاثـين سـنة ، ثـم تلاه ابنه الملقب «أنـه». وإذا اسـتذكرنا تـاريخ تلك الفترة يترجـح لـدينا أنـه في عهد هذا الأخير أو والده تم احتلال كمبي صالح من طـرف قبائـل الـصوصو الوثنية 1225 ، ثم خلـف الأمـير أنـه ابنـه أعمـر الـذي دام ملكـه سـتا وأربعـين سـنة. ثـم تمـت البيعـة لمحمـد البنـبري اللمتـوني فملـك عـشرين سـنة. واضـطر بـسبب الخلافـات والحـروب الداخليـة إلى التخلـي عـن الحكـم ممـا أدى إلى

---

(1) انظر ما ورد في نظم اللمتوني حول الموضوع الملحق الأول. نرجح أن هذا النظم المعزو للعالم ابن العالم والذي تعد قبيلته ركنا أساسيا في هـذا البلـد ولهـا امتداداتها الواسـعة في كل الاتجاهات، قد أدخل فيه كثير من غير أصله. من ذلك التشهير ببعض المجموعـات وورود أسماء يزعم أنها لأمراء قتلوا منها مثلا: اسم الخظ وهي كلمة عربية. ومنها أسماء عديدة مثل سيلبابي وأسماء حديثة لم تكـن معروفة في عهد المؤلف ككـوت ديفـوار وكـوتونـو وغيرهـا. وهـذه كلها أمـور تـدل علـى أن أيـادي خارجيـة أدخلت مـا تـشاء إلى هـذا الـنص لسهولة قافيته. والعبث بالأنظام والتآليف ليس جديدا فهي عادة معروفة في التراث المنظـوم والمكتوب. وقد أدركنا من أسلافنا من يقول: «عفا الله عنـا وعنـه» لامتعاضهم مـن بعـض ما ورد في هذا النص من خوض في أنساب الناس.

(2) أحمـد الـذي ورد في الـنظم كـأول أمـير لم يـذكره المختـار ولـد حامـد. بـل ذكـر مكـانـه محمـد ابـن أبـي بكـر. ولعـل المقـصود هـو محمـد ابـن يحـي ابـن عمـر الـذي تـذكر بعـض الروايـات أنـه خلـف عمـه أبـوبكـر. ولـد حامـد (المختـار): الجـزء الـسياسـي. مرجـع سـابق، ص: 57.

انقسام الدولة المرابطية الصحراوية.

ويرجح أن الذي خلف الأمير أبا بكر بن عمر هو ابنه إبراهيم. ذلك أن هذا الأمير يملك تجربة في الحكم بعدما كان في عهد والده واليا على سجلماسة. وبلغ فيها من السمعة والقوة ما مكنه من ضرب دنانير باسمه. بالإضافة إلى أنه تطلع بعد استشهاد أبيه إلى استعادة حكم المرابطين في الشمال من ابن عمه يوسف ابن تاشفين. الأمر الذي تخلى عنه بسبب النصائح التي وجهها إليه ابن عمه الأمير مزدلي بن تلكان أوتيجكان اللمتوني[1].

وبعد هؤلاء الأمراء انقسمت الدولة المرابطية على أربعة أمراء يذكرهم محمد امبارك اللمتوني وهم: بيلگ الأسد وأحمد ابن محمد واعمر بن بادي (البنبريان)، ولمرابط أشفغا الهاشمي العلوي الحسني حفيد لمتونة)[2].

وفي غياب معلومات واضحة عن هذه الفترة يجوز لنا الافتراض بأن هؤلاء الزعماء كانوا هم رؤساء المعسكرات الموجودة في مناطق عدة من دولة المرابطين منذ أواخر ق 7هـ. وشكلت هذه المعسكرات ما عرف بالمحلات التي أصبحت بدورها الأساس لقيام سلطات كسلطة ابدوكل في الساقية الحمراء ووادي الذهب وسلطة إديشل في آدرار وسلطة الأنباط الممتدة من تگانت إلى نهر صنهاجة «السنغال» مرورا بلعصابة. وسلطة انيرزگ في المنطقة الغربية الجنوبية على المحيط الأطلسي. وسلطة بيلكة اللمتونية في منطقة لبراكنه الحالية[3]. أما بقية أرض المرابطين من شرق البلاد وجنوبها وحتى المحيط فأصبحت تحت نفوذ مملكة مالي التي تكونت في تلك الفترة 7هـ-

---

(1) انظر ابن عذاري المراكشي: مصدر سبق ذكره ج4 ص: 29. وانظر تتبع الدكتور النـاني ولد الحسين لهذه المسألة: ولد الحسين (الناني) مصدر سبق ذكره، ص: 242.

(2) انظر الملحق رقم 1.

(3) ولد حامد (المختار): الجزء السياسي، مرجع سابق، ص: 79.

13م[1] وهذه الإمارات كما يذكر اللمتوني، كان ينخر الفساد جسمها وتعمها الخلافات.

ولم يزل خلافهم يزداد ويكثر الفساد والعناد

ولم يكد المرابطون في الجنوب يلتقطون أنفاسهم من آثار محنة المرابطين في الشمال على يد الموحدين حتى وقعوا تحت ضغوط خارجية قوية. فمن الجهة الغربية بدأ التقدم الأوروبي على الشواطئ. ومن الشرق والجنوب وقعوا تحت نفوذ مملكة مالي. وقد جعلت هذه العوامل أوضاع إمارات الطوائف المرابطية في الصحراء تزداد سوءا في جميع المجالات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية. ولم تجد هذه المرة، من بين صفوفها من ينقذها. لا على أساس العصبية كما كان حال الصنهاجيين بعد تفككهم سنة 306هـ- 918 محين أنقذهم تين يوروتان بن ويسنو سنة 319هـ- 931م ولا على أساس العصبية والدين كما حدث مع قيام دولة المرابطين لاحقا.

وخلاصة القول عن حركة المرابطين ما أوضحه كثير من الباحثين وهو أن لها دورا إيديولوجيا مؤسسا لعبته في المخيلة الجماعية الموريتانية، بكل مكوناتها العرقية، «كمعين للمشروعية الاجتماعية ومرجع أعلى لتفسير وتقنين حالات التمايز ومستويات التراتب الاجتماعي والسياسي»[2]. ولقد اضطلعت الدولة المرابطية بأعباء الانتصار للعقيدة السنية والمذهب المالكي فطهرت المنطقة بأجمعها من كل الملل والنحل المخالفة الشاذة كالخوارج والبرغواطية والبافورية وبعض التوجهات الشيعية التي كانت قد انتشرت ثم تعززت بتأثير من الدولة الفاطمية. وقد تواصلت هذه الجهود في

---

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره. ج6 ص: 263.

(2) ولد أحمدو (محمد سعيد) :موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي. دراسة في إشكالية الهوية السياسية: 1960-1993م. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت: 2003م، ص: 82.

سبيل تقوية وحدة المجال التداولي الثقافي الإسلامي في المنطقة على يد العلماء الكبار من تلامذة الداعية عبد الله بن ياسين، مثل لمتاد بن نفير اللمتوني المعاصر لعبد الله بن ياسين والذي اشتهر بالحكم بقتل مسعود الزناتي صاحب سجلماسة لخيانته عهد المرابطين. وكانت الأمثال تضرب بفتاويه.[1] وقد لعب تلامذة القاضي عياض الذين لجأوا إلى المنطقة فارين من بطش الدولة الموحدية المغربية دورا كبيرا هو امتداد لتلك الملحمة العقدية المرابطية السنية.

6-امبراطورية مالي:

لما تداعت سلطة المرابطين في غانه في أوائل ق 13م وانتقض أكثر ملكهم بها جراء هجمات مملكة الصوصو الوثنية، أخذ أهل كل ولاية نائية يخرجون عن طاعة السلطة المركزية بكمبي صالح فكان من أول الخارجين شعب الماندنق. والماندنق كلمة فلانية تعني بنباره وسوننكه والمالنكه الناطقين بلغة الماندي. وهم كذلك «المالي» كما يسميهم الفلان. ويسكن الماندنق منطقة جبال وأودية يستخرج منها الذهب وتقع بين جمهوريتي مالي وغينيا الحاليتين.

تصدرت قبيلة كيتا مجتمع الماندنغ وكان وثنيا يعبد الدكاكير وهي الأصنام. ويذكر ابن خلدون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه برماندانا Bérémandana وهو أول من حج من ملوكهم فأصبح الحج تقليدا ملكيا من بعده[2]. لاقت مملكة الماندنق صعوبات كثيرة وحاولت قبائل الصوصو الوثنية التي أسقطت مملكة غانه أن تقضي عليها ولكن الملك الشجاع سون دياتا كيتا[3] Soun Dyata keita أو كما يسميه المؤرخون العرب ماري

(1) ولد الحسين (النانى) مصدرسبق ذكره، ص: 155.

(2) ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره ج6. ص: 266.

(3) سون اسم أمه وجاتا اسمه هو وكيتا اسم عائلته.

جاط (الأمير الأسد)، قلب الموازين وأسقط دولة الصوصو سنة 633هـ- 1235م، وقتل ملكهم سُمَانْقورو Soumangourou واحتل كمبي صالح أو على الأصح ما تبقى منها. وما يزال ذكر سون دياتا كيتا على ألسنة إيڤاون[1] أسرة آل كيتا يمجدونه ويضربون به الأمثال في الشجاعة. ولقد اختلف في إسلامه على أن لا خلاف في أن ذريته أسلمت وكانت تحب العرب وتستقبل برحابة صدر علماءهم وتجارهم[2].

بلغت امبراطورية مالي أوج مجدها في ق 14 في عهد منصا كَانكو موسى Mansa Kanko Moussa وهو رجل صالح وملك عظيم امتد ملكه من مصب نهر السنغال غربا إلى أواسط النيجر شرقا فشمل أجزاء من السنغال ومالي وموريتانيا وغينيا ونيجيريا[3]...

وبلغت شهرة منصا كانكو موسى – ومعناها ملك الملوك –[4] ذروتها خلال رحلة حجه سنة 724هـ- 1324م- 1325م[5] حيث بهر معاصريه ممن مر بهم بكثرة أتباعه وغناه وكرمه. واشتهر بما وزع من أحمال الذهب في الحجاز وما أعطى منه في القاهرة لطلبة العلم وشيوخ الأزهر ولكل من تعرض لمعروفه حتى ليذكر أن أسعار الذهب هوت لذلك فترة من الزمن. وفي هذه الرحلة التقى بالعلماء والملوك. وكان ذلك إبان حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون لمصر والشام. ويذكر المؤرخون أن المنصا موسى كان

---

(1) الشعراء الشعبيون.

(2) ابراهيم حسن (حسن): انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى. جامعة الدول العربية. معهد الدراسات العربية العالمية. القاهرة. 1957م، ص: 59.

(3) ولد حامد (المختار): مصدر سبق ذكره. ص: 68.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى. ج5. من ص: 279 إلى 300. وكانوا في الشرق الاسلامي يطلقون على الملك اقتداء بالفرس شَاهِنشَاهْ أي ملك الملوك ويروى أن رسول الله ﷺ نهى عن هذه الألقاب.

(5) ابن خلدون: ج6، ص: 267.

مالكيا ورعا يجيد العربية[1]. ومن طرائف رحلته المعبرة عن حسن إسلامه واتباعه السنة تردده فى الصعود إلى قلعة السلطان للسلام عليه وقوله إنه لا يريد أن يخلط بحجه شيئا من أمور الدنيا. ورفضه كذلك السجود للسلطان والسجود سلامهم آنذاك على سلاطينهم واستغرب أن يسجد مسلم إلا لله أو يطلب السجود إلا له....[2]

وعندما عاد المَنْصَا مُوسَى إلى بلده أتى معه بطائفة من العلماء والأدباء: من بينهم أبو إسحاق الساحلي الغرناطي الملقب بطويجن الذي تذكر المراجع الأندلسية[3] أنه كان أديبا كاتبا وله في الهندسة اليد الطولى وأنه شيد للملك بنايات متميزة في مدنه. ولعله هو الذي بنى الجامع القديم بتنبكتو فإن بناءه يرجع إلى ذلك العصر. وبذلك قال پول مارتي Paul Marty. وحسب تاريخ ابن خلدون فالساحلي دفين ولاته وله بها ذرية[4].

ولئن كان سوندياتا كيتا قد جعل من ولاية مالي دولة مترامية الأطراف فإن المنصا موسى قد أكمل عمل سلفه وكون الشخصية الإسلامية للامبراطورية وأعطاها شهرتها العالمية[5].

---

(1) Monteil (Vincent): L'Islam Noir. Une réligion à la conquete de l'Afrique. Seuil. Paris. 1987. P.90.

(2) احمد بن يحي بن فضل الله العمري (شهاب الدين) ت: 749هـ «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» السفر الرابع: ممالك اليمن والغرب الاسلامي وقبائل العرب. تحقيق: احمد عباس (حمزة).

(3) ابن خلدون: ج 6. ص: 267.

(4) ويذكر أنه توفي في عام 1346م انظر: عبد الرحمن (زكي): الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا. مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة. ص: 35 و36 (لم يذكر تاريخ الطبع).

(5) امطير (سعد غيث): التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين ق 14 – 16 . دار الرواد.1996. ص: 63.

ويعد ذلك بفترة قصيرة زار بلاد مالي الرحالة الكبير ابن بطوطة سنة 754هـ- 1353م. وكان ذلك في ولاية المنصا سليمان ووصفه بالبخل وإن استحسن سياسته فقال: «فمن أفعالهم الحسنة [أي السودان]، قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب»(1). وذكر من أحوال السودان أمورا مستحسنة وأخرى تنم عن بقايا التقاليد الوثنية. وفي الوقت الذي عرفت فيه العاصمة الأولى للدولة، كمبي صالح انحطاطا واندثارا، أصبحت العاصمة الجديدة «انياني» مدينة تجارية مزدهرة. واتسعت مدينة تنبكتو وبلغ سكانها في ق 16 مائة ألف نسمة وزاد عدد طلاب جامعتها على 2500 طالبًا. كما ازدهرت مدينة جِنّه وكان عدد طلاب جامعتها لا يقل عن العدد السابق(2) وأصبحت دولة مالي الإسلامية تضاهي مملكة البرتغال مكانة وربطتهما علاقات دبلوماسية وجرت بينهما مفاوضات(3) تدل على علو المكانة التي تبوأتها في دول ذلك الزمن.

بدأ التصدع في الامبراطورية بصراعات الأبناء على الإرث ثم بنزوع حكام الولايات الطرفية إلى الاستقلال كانفصال قبائل ريماغجن الطوارق في أزواد أو أزواق: 857هـ - 1453م. و أزواد منطقة تقع في الشمال المالي ومن أهم مدنها تنبكتو وقاوه وأروان ولأهلها علاقات بشرية واجتماعية وثقافية واقتصادية وثيقة بالقبائل الممتدة داخل موريتانيا وخاصة منها القبائل الصنهاجية(4).

---

(1) رحلة ابن بطوطة. دار صادر بيروت. ص: 690.

(2) Sow (Aliuo Amadou): Mauritanie, mon pays natal. l'Harmattan. Paris, P 25.

(3) كابو: مصدر سابق. ص: 185.

(4) أبي بكر البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة علماء وأعيان التكرور. دار الغرب =

وفي عهد ماري جاطا Mari Djata المعروف بسوندياتا كايتا الثاني، ازداد الحال سوءا فلقد كان مبذرا، سيئ السياسة وأصيب في آخر عمره بمرض النوم. ومع أن خلفاءه حاولوا أن يمنعوا انهيار الامبراطورية إلا أن ذلك كان مستحيلا فاستمر تفكك الدولة ليتوج سنة 873هـ- 1468م بتكوين سُني علي بر مملكة صونغاي على أنقاضها[1].

ورغم تهاوي ملك امبراطورية مالي ظل حال أهلها في مرتبة عالية من الثقافة والحضارة فوصفهم الحسن بن محمد الوزان المعروف بلِيون الافريقي سنة 1511م بأن لهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرّسون في هذه المساجد وأنهم الأكثر تحضرا وذكاء واعتبارا من بين جميع السودان[2].

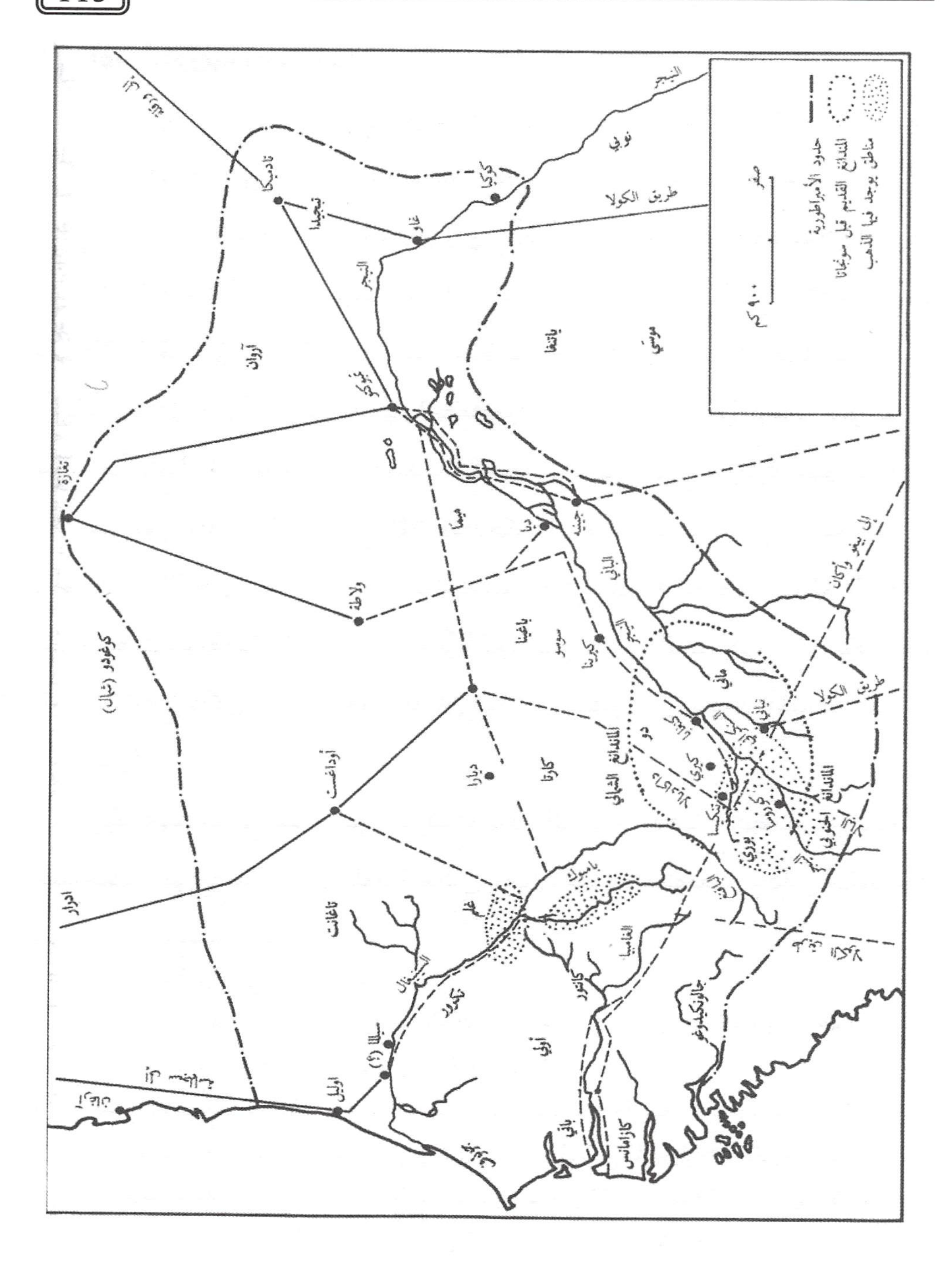
=

الاسلامي. بيروت. 1981م.

(1) لا تزال ذكرى مالي وغانه من قبلها قائمة في أذهان السوننكي وإلى حد ما في أذهان الفلان. أما البيضان فقد اختفت هذه الذكرى لديهم إلا من خلال الثقافة العالمة ولعل الإشارة الوحيدة إلى مالي هي إطلاق البيضان على قبيلة جاوارا المجاورة لهم اسم «آيت مالي». كما أن في هذا الإسم استخداما نادرا لعبارة «آيت» الذي اختفى في الحسانية إلا لدى بعض القبائل الشمالية كتِكنه، ولعل من هذا الباب أيضا أيتگوهار وهو اسم موضع مشهور في الحوض الشرقي. انظر:

El-Chennafi (Mohammed): Sur les Traces d'Awdagust: Les Tagdawst et leur ancienne cité. In: TEGDAOUST I. Recherches sur Aoudaghost. Acheve d, imprimer sur les presses de la S.R.I.P à Etampes (Essonne); en mars 1970 P. 97.

(2) ليون الافريقي (الحسن بن محمد الوزان الفاسي): وصف إفريقيا. دار الغرب الاسلامي. بيروت 1983. ص: 164.



خريطة مملكة مالي

من موسوعة تاريخ إفريقيا العام منشورات اليونسكو المجلد الرابع ص 162.

7- امبراطورية صونغاي:

كانت دولة الصونغاي اقليما مستقلا بنفسه، عاصمته الاقتصادية والثقافية قاوه، إلى أن غزاه السلطان منصا كانكو موسى وأدخله مملكة مالي سنة 1325م. واستمر الحال إلى 1433م حين أصبح الصونغاي أقوياء وقاموا بثورات أدت إلى قيام امبراطورية جديدة في 873هـ - 1468م. في مناطق الطوارق وإفلان والهوصا متخذة من قاوه مركزها وعاصمة ملكها. وأول من أعلن عن هويتها كامبراطورية بعد حروب دامية هو سُنّي عالي برْ Soni Ali Ber[1] وامتدت في حياته على جميع مجرى نهر النيجر من كانو Kano إلى موبتي Mopti كما وصلت شمالا إلى ولاته وتغازة وغربا إلى البحر المحيط[2]. واحتلت صونغاي مدينة تنبكتو سنة 1469م فأصبحت مركزا ثقافيًا وتجاريًا لجميع غرب الصحراء واستقطبت الجاليات من كل الأنحاء حتى كان بها حي كبير راق لتجار المدينة الليبية غدامس.[3]

وفي عهد سنّي علي بر، عرفت هذه الدولة ازدهارا عظيما واتسعت مساحتها على امتداد امبراطورية مالي. ومن أحشاء صونغاي وعلى أنقاضها

---

(1) بر بكلام الصنغاي تعني الكبير.

(2) بوفيل تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة د. الهادي أبو لقمة ود. محمد عزيز. بنغازي، منشورات جامعة قار يونس. 1988م ص: 310.

(3) مصباح الأحمد (امحمد): ص 162. مصدر سبق ذكره. وانظر: ممكلة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من ق 13 - 15م. الهادي المبروك الدالي.مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا صفحات من تاريخ العلاقات العربية الافريقية، بيروت ، لبنان الطبعة الاولى. دار الملتقى. (لم يذكر تاريخ النشر ولكن يفهم من التقديم أنه 1993م).

لحسن موقع هذا الحي واستراتيجيته اختارته الحملة السَّعديَّة لإقامة قصبة الحكم فيه عند غزوها البلد كما سنرى في الفصل التالي.

قام حكم الأسكيا.

وآل آسكيا أسرة ملكية بدأت مع اساكيا محمد بعد أن ثار على خليفة سُنِّي عالي بَر لما سلك سياسة وثنية أغضبت الجيش. وآل آسكيا حسب ما نقله الأمير شكيب أرسلان عن كتاب «نصيحة أهل السودان» للإمام التكروري[1]، ينتمون إلى صنهاجه[2]، وأما محمود كعت في تاريخ الفتاش والسعدي في تاريخ السودان فيقولان إن أصلهم من السيلا أو التوري[3].

دامت مملكة الأسكيا قرنا وامتد ملك مؤسسها اساكيا الحاج محمد الأول من سنة 898 إلى 935هـ الموافق 1492م- 1528م وأسلم في عهده الكثير من أمراء الوثنية وحملوا راية الدعوة الإسلامية إلى إفريقيا. وكان ذلك هو العصر الذهبي لهذه الامبراطورية التي تمتعت بنظام سياسي «ديمقراطي» وتنظيم إداري محكم استحق إعجاب المؤرخين. ومما تميز به نظام هذه الدولة:

(1) لعله عثمان دان فودي مؤسس دولة السكوتو في شمال نيجيريا.

(2) لوثرب ستودارد الأمريكي: حاضر العالم الإسلامي. تعريب الأستاذ عجاج نويهض. تعليق الأمير شكيب أرسلان. المجلد لثاني. الجزء الثالث. دار الفكر والطبعة الرابعة. 1394هـ - 1974. ص 35،

Kane (Oumaré2004): La première hégémonie peule. Karthala. Paris . P 69.

(3) وعلى كل حال فهذا ليس متناقضا لأن إمارة سيلا أو سلي والتكرور عرفتا تمازجا مع بداية الإسلام مع صنهاجة العرب. وتعاظم مع المرابطين وما بعدهم. ويعتقد المؤرخ الفرنسي «هوداس» أن سيلا المذكورة في نص الفتاش قبيلة من السوننكي وهو أمر محتمل ويحتمل أيضا أن تكون المدينة المشهورة الواقعة على ضفتي نهر السنغال، لاسيما أن الفتاش ينص على أن السيلا في منطقة التورو . ولا يستبعد أن تكون قبيلة السيلاً أصلها من مدينة السيلاً.

1. أن كل مواطن له الحق في الوصول إلى المراكز العليا في الدولة بغض النظر عن أصله وانتمائه العرقي.

2. أن أعضاء الحكومة لا بد أن يكونوا أشخاصا مشهود لهم بالكفاءة العلمية وبالأمانة.

3. أن كل قطاع في الدولة يحمل أهله علامة تميزهم عن من سواهم.

4. وجود وزير مكلف بالمراسم، يشارك في القرار السياسي.

5. نظام إداري لا مركزي مرن دقيق مكن من حكم امبراطورية تعادل مساحتها موريتانيا مرتين وفرنسا أربع مرات. وكانت المدن الواقعة على الحدود مع دول أخرى تتمتع باستقلال إداري. وقد أدى هذا التنظيم المرن إلى ازدهار هذه الامبراطورية.

ومما اهتم به من كتب عن هذه الامبراطورية، بشكل خاص رحلة الحج التي قام بها آساكيا محمد الأول بن أبي بكر توري السلأنكي عام 902هـ - 1496م[1]. وذكر سينيكي مودي سيسيكو أنها جرت بين سنتي 1496م و1497م[2].

وذكر تاريخ الفتاش[3] أن الأمير اصطحب الكثير من أعيان العلماء من

---

(1) الفع محمود كعت بن الحاج المتوكل التنبكتي،، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس نشر دلافوس مدرس اللغات السودانيات، باريس. 1981م مصدر سبق ذكره. ص: 36. وانظر السعدي : تاريخ السودان ص: 72، وأطلس تاريخ الاسلام ص: 375 ويذكر المختار ولد حامد في كتابه موسوعة موريتانيا التاريخ السياسي ص: 73 أن محمد أساكيا حج عام 920 هـ ولعله خطأ مطبعي لأن المؤلف ذكر أنه اطلع على تاريخ الفتاش لمحمود كعت، وتاريخ السودان للسعدي، والمصنفان هما المصدران الأساسيان لتاريخ الصونغاي والسودان الغربي في الفترة التي نتحدث عنها.

(2) سينيكي مودي سيسوكو: موسوعة تاريخ إفريقيا العام من ق 12 - 16 المجلد الرابع. منشورات اليونيسكو 1997م ص: 206.

(3) تاريخ الفتاش، مصدر سبق ذكره.

بينهم مؤلف الكتاب نفسه محمود كعت والكثير من أمراء النواحي والولاة منهم ابنه وخليفته آسكيا موسى وثمانمائة من الخدم. ويذكر السعدي أن عدد جنده في هذه الرحلة كان حوالي 1500 جندي. ويذكر أنه تصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبا واشترى بمثلها جنانا وبيوتا وحبسها على الفقراء والعلماء. وأعطاه شريف مكة مولاي العباس بركات الثاني[1] سيفا وجعل على رأسه قلنسوة خضراء ولقبه خليفة أرض التكرور[2] وهي أشياء أصبحت تستخدم فيما بعد كرموز عند تصيب ملوك صنغاي. وطلب الأسكيا محمد من مولاي العباس أن يرسل معه أحد الشرفاء فأرسل إليه بعد ثلاث وعشرين سنة تقريبا ابن أخيه مولاي أحمد الصقلي وذلك سنة 925هـ - 1519م. واستطرد محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش أمورا غريبة عن حياة هذا الشريف ورحلة اساكيا محمد الأول إلى الحج[3]. ويذكر أن هذا الملك الصالح الحاج محمد أسكيا حصل على شعرة من شعر رسول الله ﷺ فابتلعها[4]. ولقد التقى بالكثير من العلماء وأخذ عنهم العلم والدعوة الإسلامية وعلى رأسهم العلامة عبد الرحمن السيوطي. كما اقتنى الأسكيا محمد كثيرا من الكتب ووطّد علاقاته بدول المشرق[5].

---

(1) هو بركات بن محمد بن بركات الحسني من أسرة بني قتادة التي كانت تحكم الحجاز ما بين ق 12 - 17، وقد اشتهر بركات بالعلم والفضل وطالت مدة حكمه ما بين 1495 إلى 1524م . انظر : جيرالد دي غوري : حكام مكة. ترجمة محمد شهاب. مكتبة مدبولي.القاهرة . 1420هـ 2000م. ص/ 127.

(2) كعت (محمود) : تاريخ الفتاش ص ص: 12 وص 36 مصدر سبق ذكره.

(3) نفس المصدرص 17 إلى ص23 والسعدي : تاريخ السودان ص 72 مصدر سبق ذكره

(4) ولد حامد (المختار): الجزء السياسي. ص 73.

(5) ولعل ذلك من أسباب كثرة الكتب والمخطوطات التي تحدث عنها أحمد باب التمبكتي حيث ذكر أنه نهب من مكتبته 500 كتاب أثناء تهجيره إلى المغرب وأنه كان من أقل قومه كتبا. انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج. ص: 15.

وجرت بينه والشيخ محمد بن عبد الكريم المَغيلي الجزائري[1] مراسلات كثيرة يستفتيه فيها عن مسائل من أمور الحكم[2]. ولقد اطلعت على بعض تلك الرسائل عندما عرضها موقع الكونغرس الأمريكي في شهر مارس 2006م.

ويقول بعض الاجتماعيين الموريتانيين إن تعبير «أسك» الذي يستعمل كثيرا في اللهجتين العربية الحسانية والبلارية، للتفخيم والتعجب والإعجاب، مشتق من أسكيا أي الشخص الذي عليه علامات الأبهة والفضل[3].

وبعد أن شاخ أسكيا محمد، تصارع أبناؤه على الملك وضعفت الدولة فتعاقب بعده على الحكم ستة ملوك خلال الفترة ما بين 1528م و1591م وكان أولهم أسكيا موسى 1528م- 1531م وأفضلهم آسكيا داوود 1540م- 1582م الذي عرفت معه الدولة استقرارا وازدهارا عظيمين.

وكان كاغو إسحاق الثاني بن داوود آخر ملوك امبراطورية أسكيا وجرت في عصره حروب داخلية كثيرة أنهكت ملكه أهمها حروبه مع الطوارق. وكانت شهرة دولة الأسكيات وبلادها بالغنى قد طبقت الآفاق

(1) من كبار علماء ق 9هـ في المغرب العربي. لعب دورًا كبيرًا في التجديد الديني في هذه المنطقة. ارتحل إلى بلدة كاغوي فبلاد التكرور وأصبح مستشارًا مقربًا من سلطانها أسكيا محمد الحاج. توفي سنة: 909هـ- 1503م. انظر ترجمته بشيء من التفصيل في: التنبكتي (احمد باب): نيل الابتهاج بتطريز الديباج. إشراف وتقديم: عبد الله الهرامة (عبد الحميد). وضع هوامشه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. 1989. ص: 576.

(2) توجد لدينا نسخة مصورة من رسالة مطولة من الشيخ المغيلي إلى الأسكيا يبين له فيها وجهة نظر الشرع في بعض المسائل. انظر الملحق الثاني.

(3) يطلق المجتمع الموريتاني تعابير تصنيفية على الأفراد فالشخص المسالم الملم يبعض المعارف الدينية (المرابط) والمقدام (مغفري) وصاحب المظهر الجميل (بطريق) والقوي الذي لا يعبأ بشيء (فرعون) و(الفتى) من يفهم الموسيقى ويقرض الشعر.

فلما ضعفت اغتنم المنصور الذهبي المولي احمد سلطان السعديين في المغرب الفرصة وبدأ يتجهز لغزوها. ومما رغبه في ذلك ما وصله من هدايا ملكها الثمينة كالعبيد والطرف السودانية باختلاف أنواعها. كانت بادرة هذا الغزو أن طلب من كاغو إسحاق الثاني أن يضع على معدن الملح في تغازة ضريبة تكون غلة له. وهو ما لم يكن الأسكيا ليقبله لما فيه من التدخل في شوؤن حكمه ومن إضرار بتجارة مملكته.

اجتمع المولي أحمد سلطان السعديين بادئ الأمر بالعلماء لاستشارتهم فلم يوافقوه في ما يروم إليه من غزو الأسكيا، إلا أنه ألزمهم رأيه وفرضه عليهم.(1) ويدل هذا كما يقول الأستاذ أندرى ميكل A. Miquel على أن هذه الحملة لم تكن لها دوافع دينية بل كانت على الأرجح داخلة في نطاق ردة الفعل المغربي على الوجود البرتغالي في المحيط والذي استقطب جزءا كبيرا من ذهب إفريقيا تجاه الشواطئ(2). جهَّز الملك السعدي جيشا قوامه اثنان وعشرون ألف جندي بقيادة خادمه ذي الأصل الاسباني الباشا جوادرْ (جؤذر) فوصل بعد رحلة طويلة مشارف تنبكتو حيث دارت معارك رجحت في نهايتها كفة الجيش المغربي لتفوق سلاحه. وبعد قتال شرس أبدى فيه جيش الصونغاي شجاعة وصبرا بطوليا، انتصر الباشا جؤذر وجنده وأثخنوا في الصنغاي قتلا حتى كان الصونغاي ينادونهم نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين(3).

---

(1) الاستقصا للناصري ج 5 ص: 112 - 134 وانظر الدعوة الاسلامية في إفريقيا للأمير شكيب فصل ضمن كتاب: «حاضر العالم الاسلامي» تأليف لوثروب استودارد الامريكي المجلد الثاني الجزء الثالث ص: 39 - 44 مصدران سبق ذكرهما.

(2) ميكيل (أندريه): الإسلام وحضارته. ترجمة زينب عبد العزيز. منشورات المكتبة العصرية. صيدا-بيروت. 1981. ص: 382.

(3) الناصري: الجزء الخامس. ص 122. والأمير شكيب: مصدر سبق ذكره. ص: 39-44. وانظر التفاصيل في تاريخ السودان للسعدي مصدر سبق ذكره، الباب 21.

وبعد ذلك، بعث الأمير كاغو إسحاق إلى الباشا جودار أنه يريد الصلح معه على مائة ألف ذهبا وألف خديم يعطيها للمنصور، على أن يرجع الجيش إلى مراكش فرد عليه أنه عبد مأمور لا تصرف له إلا بأمر مولاه السلطان...

ولما كتب الباشا جودار لسلطانه بخبر الصلح وميله إليه استشاط غضبا وعزله من حينه وعين مكانه أخاه الباشا محمود بن زرقون[1] وأمده بجيش جديد وولاه القيادة العامة وأمره أن ينهي حكم الأساكيا في الصونغاي فتم ذلك بهزيمة الجيش وطرد الأمير إسحاق بن داوود.

وكان من ضمن ما غنم جيش المنصور أربعون حملا من التِّبر وأربعة سروج ذهبا خالصا. ولأجل هذا سمي ملك المغرب بالمنصور الذهبي حسب الناصري[2].

ويأسف أغلب المؤرخين لما حدث لملكة صونغاي المسلمة العظيمة ولا يرون له سببا من دين ولا شرع. ويتحدث الأمير شكيب أرسلان عنه بمرارة، معتمدا أساسا على كلام الناصري عن هذا الغزو الذي نتجت عنه مجازر رهيبة وانهارت من جرائه امبراطورية إسلامية عظيمة. ويرى هذا الباحث أنه يجب عدم تصديق المنصور بأنه حارب من أجل الإسلام[3]. إلا أن هوداس Octave Houdas يقول إن من غير المنصف إنكار أن احتلال المغرب للسودان كانت له في بعض الفترات تأثيرات إيجابية رغم آثار مؤلمة. وذكر من تلك الآثار الإيجابية التقليل من الاستعباد تطبيقا للقاعدة الإسلامية القائلة بأن من ولد مسلما حرا فلا يجوز استرقاقه[4].

---

(1) السعدي: مصدر سبق ذكره. الباب 21 ص 141، وص 144.

(2) الناصري: مصدر سبق ذكره. ص 125. والأمير شكيب: مصدر سبق ذكره. ص: 35- 43. ولد حامد (المختار): موسوعة موريتانيا. الجزء السياسي. مصدر سبق ذكره، ص: 74.

(3) انظر أرسلان (شكيب): مصدر سبق ذكره. هامش، ص: 42.

(4) انظر مقدمة هوداس Octave houdas لكتاب تذكرة النسيان في أخبار ملوك وأعيان =

كما يعتبر الباحث السفير الدكتور محمود عبد الزبير المدير السابق لمركز أحمد باب في تنبكتو أن محنة اعتقال احمد باب التمبكتي والذهاب به إلى المغرب كان لها أثر إيجابي كبير لأنها عرفت بهذه المنطقة وعلمائها وأخرجتهم من العزلة التي عاشوا فيها على مدى قرون عديدة؛ إذ لم يصل إلينا من أخبار علمائها قبل ذلك إلا القليل[1].

ويذكر السعدي أن أرض السودان كانت من أعظم أرض الله تعالى نعمة ورفاهية وأمنا وعافية في كل مكانٍ وذلك «ببركة ولاية الأسعد المبارك أمير المؤمنين آساكيا الحاج محمد الأول بن أبي بكر»[2]. إلا أن الأمور تغيرت بعده وانتشرت المعاصي بين الأمراء والحكام وهو ما أدى إلى أنِ «انتقم الله سبحانه منهم بهذه المحنة المنصورية فرماهم بها من مسافة بعيدة ومكابدة شديدة فاجتثت عروقهم من أصلها ولحقوا بأصحاب العبرة وأهلها»[3]. وهذا التعليل يذكرنا-مع مراعاة الفوارق- بقول الشاعر الأندلسي الفقيه الزاهد ابن العسال بعد سقوط بعض المدن الأندلسية :

لَوْلاَ ذُنُوب المسلمين كَبَائِرٌ ظُلْمًا أَتَوْهَا ما لَهُنَّ خَفَاءُ
ما كان يُنْصَرُ للنَّصارَى صَارِخٌ أَبَداً عَلَيْهُم فالذُّنوبُ الدَّاءُ

وفي تاريخ السودان للسعدي أن الأمير إسحاق بن داوود لجأ إلى كفار كُرْمَه، الذين كان يقاتلهم قبل ذلك بعام وأنهم قتلوه وابنه وجميع من معهم «فماتوا شهداء رحمهم الله وعفا عنهم. ومن أخلاقه الكرم والتصدق

= السودان لمؤلف مجهول من ص 9.

(1) Mahmoud A. Zouber: Ahmed Baba De Tombouctou (1556-1627), Sa vie et son Œuvre. G.-P. Maisonneuve et Larose. Paris. 1977. p24 et suivantes.

(2) السعدي: مصدر سبق ذكره. الباب 21. ص: 142 – 144.

(3) السعدي: نفس الصفحة.

بـالأموال الـكثيرة وطلـب الـدعاء مـن العلمـاء والفقـراء... وكـان موتـه -والله أعلـم- في جمـادى الثانيـة في العـام المكمـل للألـف»(1) أي سـنة 1000هـ - 1591م.

وتوجد قبيلة تسمى «أَرْمَهْ» في الحُدود الجنوبية الشرقية لموريتانيا مع مالي يعتقد أن اسمها تحريف لكلمة الرماة وأنهم من ذرية جيش السعديين(2). وقد كانت هذه القبيلة تقوم بحملات التغريم في كل المناطق الشرقية في فترة ما.

وورد في مجموع ولد انبوجه في فتوى للشريف محمد بن فاضل التيشيتي تعود إلى النصف الأول من ق 18، ما نصه: «الباشا أتى لولاته ليلا في ثمانين جعبة فخافت القرية وهرب أهلها بمواشيهم في تلك الليلة، فهرب بعضهم للسودان وهرب بعضهم لتيشيت وتوارى بعضهم في الديار»(3). وفي الأخير دفعوا غرامة كبيرة من الذهب لينجوا من سطوة هذا الباشا.

8-التكرور:

أ- منطقة التكرور:

التكرور اسم يطلق على منطقة أو مدينة على نهر السنغال غربا وبها قامت أهم مملكة على ضفاف هذا النهر عند مصبه. ويذكر جوزيف كي زيربو Ki Zerbo في كتابه تاريخ إفريقيا(4) (ص ص 178- 177) أن هذه

---

(1) السعدي: مصدر سبق ذكره. الباب 21، ص: 149.

(2) Faidherbe : L'avenir du Sahara et du Soudan.. Revue maritime et coloniale. (Tome.8) 1863 paris. Pp 221 - 227.

(3) ولد السعد (محمد المختار): الفتاوى والتاريخ. دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل. دار الغرب الإسلامي، بيروت. 2000م. ص: 148.

(4) كي زوربو (جوزيف) تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة د. عقيل الشيخ حسين، سلسلة دراسات افريقية، ليبيا الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان 2001.

المملكة ربما تأسست في ق 1 المسيحي على أيدي الفلان. وقد ازدهرت هذه المملكة بعد ذلك وأصبحت منتهى الطرق التجارية الصحراوية القادمة من الشمال مرورًا بسجلماسة ومن الشرق مرورا بولاته ومن الغرب عبر آوليل[1]. ومن الباحثين من يرى أن آوليل كانت عاصمة هذه المملكة.

والحق أن اسم التكرور مبهم كما يقول فينسان مونتي Vincent Monteil؛ يستخدمه المؤرخون العرب قديما من غير تحديد لمدلوله، إلا أن استقراء النصوص يبين أنه أحيانا يدل على المملكة الواقعة في حوض السنغال وهي التي تعنينا هنا. وقد تقصد به من باب التعميم، بلاد السودان المسلمة كما فعل صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور[2]. وفي رأينا أن هذا اللبس يرفعه ما لاحظه الفرنسي هنري غادن Gaden Henry من أن كلمة التكرور إنما أخذت شهرتها من رحلات الحج التي كان يقوم بها علماء من هذه المنطقة حيث أصبح أهل المشرق من جراء ذلك يطلقون هذا الإسم على كل قادم من غرب إفريقيا. كما أن بالقاهرة حيا يدعى بولاق التكرور ذكر المقريزي في الخطط أنه ينسب إلى يوسف بن عبد الله التكروري الذي كان الناس يعتقدون فيه الصلاح والفضل وهو معاصر للخليفة الفاطمي العزيز بن المعز الذي عاش في الربع

---

(1) ذكر البكري أن آوليل سبخة في أرض اگداله على المحيط. وأضاف الإدريسي أن الملح ينقل منها بحرا إلى نهر «النيل» الواقع على مسافة يوم. ويعتقد Gaden في بحث له في الموضوع، معتمدا على معلومات أعطاه إياها العلامة الأديب محمد ولد أحمد يوره أن آوليل هي سبخة انتررت في ولاية اترارزه جنوب انواكشوط على بعد 15 كم غربي تگند الجديدة. انظر:

Gaden (Commandant Henri): Les Salines d'Aoulil. In: Revue du Monde Musulman. Sept.-déc. 1910 (4e année / Tome XII / N 09-

وانظر : ولد احمد يوره (محمد): إخبار الأحبار بأخبار الآبار. مصدر سبق ذكره. ص 36.

(2) Monteil (Vincent): Opcit pp86-87.

الأخير من ق 10م. ونظير هذا كما يقول غادن Gaden ما حظيت به شنقيط من شهرة لتوارد الحجاج والعلماء القادمين منها حتى أصبحت علما على كل الموريتانيين بل وحتى على السنغاليين في بلاد المشرق الإسلامي[1].

ب- لمحة عن شعب الفلان:

يجدر بنا قبل التحدث عن تاريخ ممالك التكرور أن نقف ولو قليلا للتعريف بشعب الفلان الذي أسس هذه الدولة الإسلامية.

تناول المؤلفون تاريخ الفلان المعقد بإسهاب وتفصيل معتمدين في الغالب على الروايات الشعبية المتداولة لدى الفلان أنفسهم وهي روايات وإن اختلطت فيها الأحداث التاريخية بالخرافات وتأثرت في سردها بالمكان والزمان، إلا أنها على تلك العلات تظل مفيدة جدا لفهم الذاكرة الجمعية لهؤلاء.

يتميز الفلان عن من حولهم من الشعوب السودانية بالقامة الفارعة واللون الفاتح والجسم النحيف. وقد دفعت هذه السمات السائدة، كثيرا من الدارسين إلى التساؤل عن أصلهم لتميزهم عن من جاورهم. وقد لجأ الباحثون إلى الروايات الشعبية الفلانية واستنطقوها. وهي روايات شديدة التضارب، تختلف اختلافا بينا من منطقة لأخرى إلا أنها تكاد تجمع على أن الفلان عنصر سامي.

ومن تلك الروايات المتداولة في المجال الثقافي البولاري أن صحابيا يدعى عقبة بن نافع قدم إلى بلاد ماسينا بعد الفتح الإسلامي لمصر وتزوج ببنت ملك الماسينا ورزق منها بأولاد أربعة هم:

- روربيا، ويعرف بلقبه باه واختار الزراعة كمهنة.
- واني ويعرف بلقبه صو واختار تربية الأبقار.
- بوطوال ويعرف بلقبه جلو واشتغل بالعلم.

---

(1) Gaden(commandant): Opcit p 438.

• داتو ويعرف بلقبه بيري واشتغل بالملك[1].

ويضيف العلامة محمد بلّو سلطان مملكة سكوتو في كتابه: «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور: «إن هؤلاء الأولاد تكلموا لغة لم تكن معروفة من قبل وهي لغة الفلان الحالية»[2]. وتذكر رواية أخرى أن والدهم قال للناس عندما استغربوا هذه اللغة إن النبي ﷺ أخبر أنها ستكون لغة قوم ينشرون الإسلام.

وهكذا بدأ أبناء عقبة من ابنة الملك وإخوتهم من صفية بنت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب عقبة، الذين منهم عقبة بن عامر التميمي وعقبة الجهيني وعقبة الهندي وغيرهم، رحلتهم في الجهاد والدعوة إلى الإسلام. ومن هنا أصبح الفلان شعبا واحدا تعود أنسابه إلى ثلاثة أصول هي:

• الفلان الأصليون أبناء عقبة بن نافع وأمهم بنت ملك غانة الملك برمندانا

• الفلان بنو العرب وهم أخلاط من ذرية المجاهدين النوبه والعرب والزنوج

• الفلان الجعفريون كما يسميهم السلطان محمد بلّو في كتابه المذكور آنفا ومحمد السامبو الكلوي المتوفى سنة 1820م في كتابه: «كنز الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد»، وهم فلان التروبي انتسابا إلى جدتهم صفية بنت جعفر بن أبي طالب[3].

ويذكر محمد السامبو الكلوي أيضا أن افلان ينحدرون من قبيلتي

---

(1) عثمان ابرايما باري الفصل السابع من كتاب جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي دار الأمين القاهرة مصدر سبق ذكره . ص 318.

(2) محمد بلو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط المغرب، 1996، ص 330.

(3) انظر التفاصيل في عثمان برايما باري: مصدر سبق ذكره، ص: 319.

جهينة وتميم العربيتين اللتين هاجرتا قبل الإسلام من الجزيرة العربية إلى إفريقيا عن طريق الشام وسيناء وعن طريق اليمن حتى وصلتا إلى منطقة ليبيا ومن هناك واصلت جهينة طريقها إلى الجنوب وواصلت قبيلة تميم رحلتها غربا حتى بلغت أوداغست وعاشت في المنطقة ما بين مالي والجزائر و موريتانيا.

ونجد من مجموع هذه الروايات أن الفلان كانوا يحسون بنوع من الغربة في محيطهم وهو ما ترمز إليه غرابة لغتهم التي هي ليست لغة أبيهم السامي ولا لغة أمهم السودانية. كما يتضح من هذه الروايات أن الفلان كانوا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن تبليغ الإسلام وأن هذا الدور الذي اضطلعوا به على مر التاريخ - كما رأينا آنفا- كان هو الأساس الأول لوجودهم حيث أنهم يعتقدون أن ارتباطهم بالإسلام والدعوة إليه ارتباط عضوي لا مجرد ارتباط وظيفي.

ويمكن أن نخرج بتصور عام مفاده أن الفلان ينحدرون من شعوب سامية نزحت طلبا للمرعى في العصور القديمة إلى جنوب الصحراء وامتزجت بالشعوب السودانية مما أدى إلى تكون أجناس بشرية جديدة، كالتكرور الذين يمارسون الزراعة والصيد[1]، بينما بقي الفلان الأصليون منمين يعتبرون البقرة رمزا لهويتهم (بولاڤو Pulaagu)، كما يتضح من أناشيدهم وأساطيرهم. وفي بعض رواياتهم أن أباهم طرده إخوته فخرج هائما على وجه فظهر له كائن روحاني أخرج له من الأرض ماء أمره أن يغترف منه ويسقى كافة حيوانات البر، فسقى الفلاني البقرة واتخذها شعارا له ورفيقا.[2] بل

(1) فيج - جي - دي: تاريخ غرب إفريقيا. ترجمة وتقديم وتعليق د. السيد يوسف نصر ومراجعة د. بهجت رياض صليب. دار المعارف - القاهرة. 1982، ص: 80.

(2) عثمان ابرايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي مصدر سبق ذكره، ص: 317.

وتذهب بعض الدراسات إلى القول أن الفلان هم الذين أدخلوا جنس الزِّبو Zébu ذي السنام الذروة إلى القارة الإفريقية.

ويستنتج مما سبق ومن المصادر والمراجع المختلفة أن هذا الشعب المهم جدا تربطه روابط تاريخية ضاربة الجذور مع العرب والبربر وهي روابط تعززت بشكل وثيق ثقافيا وعرقيا مع انتشار الإسلام مما ولد نوعا من مشاعر القربى والعطف بينهم. ويقول عثمان ابراهيما باري: «إن افلان هم الجنس-الجسر الوحيد الذي يربط بين أجناس العرب والبربر والزنج من سكان الشمال الإفريقي وصحراء إفريقيا الكبرى»[1].

ولئن كان الجميع يعترف للرحالة والمؤرخين العرب بالفضل لأنهم أول من طرح الأسس لكتابة تاريخ الشعوب والممالك الإفريقية، إلا أن تقصيرا وقع بعد ذلك في تتبع العلاقات مع هذه الشعوب وخاصة الناطقين بالفلانية (هال بولاري) والذين لعبوا دورا نشطا لا مراء فيه في الدعوة إلى الإسلام في إفريقيا. ومن أسباب هذا التقصير الحواجز التي وضعها الاستعمار بين أجزاء شعوب المنطقة وتحول اهتمام العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد المسلمين في آسيا بل والانجذاب إلى أنوار أوروبا بدلا من التغلغل في التخوم الجنوبية في إفريقيا. كما أن من أسبابه أن أكثرية المثقفين البلاريين أصبح اطلاعهم على كتابات الباحثين الغربيين وما يقولونه ويروجونه عن تاريخ المنطقة أكثر وتأثرهم به أكبر من اطلاعهم على تراثهم الإسلامي وجذورهم العربية السامية الإسلامية. ولم يبق من متمسك بهذا إلا قلة معرية يحد من فعلها وفاعليتها ضيق ذات اليد وغياب الدعم اللازم للبحث في هذا التراث المشترك والتعريف به وحمل الأجيال البولارية الجديدة على استبطانه والعمل بمقتضاه[2].

---

(1) المصدر السابق، ص: 314.

(2) للتوسع في موضوع افلان انظر: عثمان ابرايما باري جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الافريقي الفصل السابع ص 113 إلى 330 دار الأمين القاهرة. 2000م. وانظر: فيج - =

ج- الممالك التي تعاقبت في بلاد التكرور:

حكمت مملكة التكرور في حدود ق 3هـ - 9م سلالة جاأوغو Jaoogo الفلانية القادمة حسب كي زوريو من بلاد الحوض أو فوتا كوندي عبر منطقة تقانت الموريتانية(1).

ويذكر الإدريسي أن ملك التكرور في عهده ق 6هـ مشهور بالفضل والعدالة وأن مملكته كانت تستورد من الشمال الإفريقي الصوف والجلود والنحاس واللؤلؤ وتصدر الذهب والرقيق وعاصمتها پودور وهي قرية سنغالية تقع بضع كيلومترات جنوب النهر.

ويذكر أن أول ملك تكروري معروف اعتنق الإسلام هو وارا جابي Wara Diabie المشهور بابن رابيس الذي جاهد لنشر الإسلام بين رعيته وتوفي رحمه الله سنة: 432هـ - 1040م(2). ومع ذلك فلا يستبعد أن يكون بعض سكان التكرور أسلموا قبل هذا التاريخ.

ويذكر الدكتور محمد بن مولود في أطروحته عن تاريخ مدينة تيشيت أن الرواية الشعبية المحلية تؤكد أن الشريف عبد المومن مؤسس المدينة في ق 6هـ - 12م وجد بها سودانًا يسكنون أخصاصًا وأن رئيس أولئك السودان يسمى وَارًا. ومما يؤكد أن وارا إنما هو لقب ملكي أن رئيس مدينة ديا Dia في الماسينا شمال مالي وشيخ الجماعة بها يلقب وارا؛ فلعل وارا جابي تعني شيخ قبيلة جابي، وهي قبيلة من السوننكيه ما يزال لها ذكر ومقام

=

جي - دي كتاب تاريخ غرب إفريقيا. الفصل الثالث ظهور الشعب الفلاني ونشأته ص: 78 - 99 ترجمة وتقديم وتعليق د. السيد يوسف نصر، مراجعة د. بهجت رياض، دار المعارف القاهرة: 1982م.

(1) كي زوريو (جوزيف) ص: 177 .178 p مصدر سبق ذكره. وانظر: Monteil ص 103 مصدر سبق ذكره.

(2) كي زريو (جوزيف) ص: 178 مصدر سبق ذكره.

في منطقة جنَّه حسب ما تفيده بحوث الفرنسي CharlesMonteil[1].

وكان ملوك التكرور، من سلالة منا المنتمية إلى قبيلة اديارا السوننكية مسلمين. بل وانضموا إلى المرابطين في جهادهم فشاركوا في أكثر أيامه كمعركة تنفريلي بقيادة يحي بن عمر سنة 448هـ- 1056م ضد قبيلة اقداله الخارجة عن الطاعة[2]. وأخذوا معهم كذلك مدينة كمبي صالح سنة 469هـ- 1076م. وذكر ابن عذاري أن وحدة من جيش يوسف بن تاشفين كانت مكونة من السودان أنها هي التي حسمت معركة الزلاقة[3].

وانتهت مملكة منا السوننكية في نهاية ق 13 لما ضمتها امبراطورية مالي بواسطة ملوك جاوارا Idyawara.

وفي ملتقى القرنين الميلاديين 14- 15. وقع تطور مهم جدا هو وصول قبائل بدوية من إفلان إلى ضفاف نهر السنغال[4]. ويقول الدكتور امحمد

---

(1) انظر أطروحة دكتوراه لمحمد بن مولود ص: 196.

Ould Mouloud (Mohamed): Tichit avant le declin. These de doctorat à Paris I. 1998.

وانظر كذلك بحثا مختصرا للفرنسيَّيْن دلافوص Delafosse و كادن Gaden حول هذه المسألة:

Chronique du Fouta Senegalais. In: Revue du monde musulman. Dec 1913. tome 25. Paris, pp 165-235.

(2) البكري: مصدر سبق ذكره، ص 167.

(3) انظر ملحق الجزء الرابع من البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق د.إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت، ص 117.

(4) انظر:

-Monteil (Vincent) : L'Islam noir, Une religion à la conquête de l'frique, Collection Esprit /Seuil. Paris. 1980. p 104

-Amadou Tidiane (Dieng): Formation et Evolution de la Principauté de =

مصباح الأحمد في كتابه تاريخ العلاقات العربية الإفريقية[1] (ص164) إن أصل هؤلاء الفلان يعود إلى البربر وإن لغتهم أصبحت سودانية بعد أن هاجر أسلافهم من شمال إفريقيا وتسريت قبائلهم وانتشرت في مواطنهم المعروفة حاليا في السودان. ويقال إنهم هاجروا من الشرق من مناطق الطوارق وكانوا يرعون جنوب موريتانيا وشمال السنغال.

ولعل من أسباب تقدم الفلان غربا أنهم واجهوا في الشرق غارات شديدة شنها عليهم سنّي علي برْ، سنة 1482م.

وفي بداية ق 16 قامت مجموعات من الماندنغ والفلان تحت قيادة تنغيلا Teňjella الذي ينعته صاحب تاريخ السودان بالمشؤوم بهجمات ضد ولاية ادياوارا التابعة لصونغاي واستولوا عليها. وخلال زحفهم من فوتا جالون باتجاه الشمال وبعد حروب مريرة مع مماليك المنطقة وبالذات مملكة اديولف DJOLOF الولفية، استطاعوا احتلال فوتاتورو على النهر وإقامة إمارة قوية بها قوامها العَصبي عنصر الدنيانكوبى الفلاني Dennyankoobe وبلغت أوج قوتها في عهد كولي تنغيلا.[2]

وكانت عوام التكرور تتحول شيئا فشيئا وبإرادتها إلى الإسلام الذي رأت فيه مناصرا لها ضد الاستغلال[3] فحدث تباين وشرخ عميق بين قمة جائرة تميل إلى الوثنية، طقوسا لا اعتقادا، وقاعدة غدت الوثنية في اعتبارها

=

Dekle au Fouta- Tooro 1718-1776. Memoire de Maîtrise. Sous la direction de Gnokane Adama. Université de nouakchott. Departement Histoire. Année universitaire 1989-1990 p 21.

- وانظر: مادينا لي - تال: موسوعة تاريخ إفريقيا العام من ق12 إلى ق16 المجلد الرابع. منشورات اليونيسكو 1997 ص 190، 193.

(1) تاريخ العلاقات العربية الافريقية، بيروت ، دار الملتقى للطباعة والنشر 2001 م.

(2) Monteil (Vincent): Opcit. P 104.

(3) كي زيربو (جوزيف) مصدر سبق ذكره ص 361.

من الماضي والإسلام دينها الذي تنتسب إليه. وكانت النتيجة تفجر الأوضاع والتمهيد لقيام الإمامة.

ولقد تحقق التغيير على يد طبقة التورودو Toorodo وهي طبقة مثقفة ذات انتماء ديني قوي رفضت سلطة الدنيانكوبى الجائرة وأبدلتها بدولة تقوم على أسس دينية تشاورية إسلامية هي إمامية فوته تورو[1].

9-الامامية في فوته تورو:

يعتبر فينسان مونتيي Vincent Monteil[2] أن تاريخ مماليك التكرور ينتهي مع المرحلة الثالثة والأخيرة وهي التي قامت فيها في ق 18، دولة الإمامة في فوتا تورو[3]. امتدت هذه الدولة الإسلامية على ضفتي النهر وما يقابل ذلك من الضفة الموريتانية للنهر. ما بين مدينة باكّل ومدينة دقانه في الشمال. وكانت تتقسم إداريا إلى تسع مقاطعات عاصمتها قده[4].

وكان قيام هذه الدولة الإسلامية على يد الشيخ سليمان بال الذي درس في المحاظر الموريتانية وبها غذي بالفكر الجهادي وفلسفة الحكم الإسلامي التي كانت إذاك سائدة في مجتمع الزوايا، على إثر حركة ناصر الدين. وعند عودة الشيخ سليمان إلى بلده، أخذ يراسل من يثق بهم من أهل العلم ويخطط معهم ويستغل الغضب الشعبي والحروب الداخلية التي أضعفت

(1) Kane (Oumar): 2004, La première hégémonie peule. Paris Karthala p500.

(2) فينصان مونتي باحث فرنسي مشهور ولد سنة 1913م وتوفي 27 فبراير 2005م في باريس، اعتنق الإسلام في موريتانيا سنة 1977م واتّخذ له اسم منصور، له بحوث ودراسات عن الإسلام والمجتمعات الإفريقية.

(3) يطلق الفلان على كل منطقة سكنوها اسم فوتا Fouta فمنها فوتا طورو في حوض النهر السنغال وفوتا جالون في غينيا وغير ذلك. للمزيد انظر:
Monteil (Vincent): Opcit. pp 100-105

(4) انظر خريطة فوتا تورو المأخوذة من كتاب زهور البساتين،

هيبة السلطان كحرب صمب ڤلاديو [1] وابن عمه صلي كنكو عند موقع مدينة كيهيدي الحالية ويعتبر المؤرخون هذه الحرب أول حرب استخدم فيها السلاح الناري في المنطقة إذ كان الإنجليز يوفرونه للمتحاربين.

وهكذا استطاع الشيخ سليمان بال نقض ملك الدنيانكوبى بعد أن أفسد التحالف القائم بينهم وبين قبيلة الكوليابى الذين كانوا يمثلون قوام الجيش.

وكان من أول ما قام به، أن وضع عن الناس ضريبة الحُرمة التي كانت تفرضها عليهم الإمارات المجاورة لهم كالترارزه و لبراكنه وبنباره ومملكة جلف. وقد أثار هذا الإجراء حفيظة تلك الإمارات فدخلت معه في عدة معارك حتى استشهد[2].

اختير الإمام عبد القادر كانْ خليفة فوطد الإمامة وأخذ يتوسع في بلاد الوثنيين وغيرهم وهزم بالتحالف مع لبراكنه عدوهما المشترك اعل الكوري ولد اعمر أمير اترارزه سنة 1786م في يوم المرفق. وبذلك هنأه المختار ولد بون الجكني الذي كان قد درس معه على السيدة المشهورة بالعلوم العقلية

(1) بطل فلاني معروف، ألف شعراء الفلان التقليديون ملحمة يحكون فيها قصته، ترجمت إلى الفرنسية:
Samba Gueladio (Kamara): Epopée peule du Fouta Tooro. Traduit par Issagha Correra. Initiations et études africaines. n° 36 .
وانظر: د. محمد ولد بوعليبه: مدخل إلى دراسة الشعر اللهجي الحساني، ضمن :محاضرات في الأدب والنقد. منشورات جامعة نواكشوط. 1999م. ص: 177 وما يليها حيث ذكر أهم السمات التي توجد في ملحمة صمبا جلاديو وفي الملحمة الحسانية (كملحمة حمّ ولد نفرُ على الأمير خطري ولد اعمر ولد اعلي، وملحمة سدوم ولد انجرتُ على الأمير هنون لعبيدي ولد محمد الزناكي):.

(2) Kane (Oumar): Opcit. p. 526 et suivantes.
وانظر كي زيربو (جوزيف) ص 361 وزهورالبساتين للشيخ موسى كمرا، ترجمة الشيخ سليمان بال. مصادران سبق ذكرهما.

خديجة بنت محمد العاقل[1] فقال أبياتا منها:

غـزا لمـا اعتـدى الأعـدا عليـه قـصاصا بعـد الـشهر الحـرام
وقـد علمـت بنـو دامـان لمـا غـزا أن لا اصـطبار علـى المُقـام[2]

وتوجه الإمام عبد القادر، بعد هذا النصر، إلى مملكة الكايور الوثنية لمعاقبة ملكها على تحالفه مع اعل الكوري لكن الغلبة كانت للكايور فقبضوا على الإمام ومكث في الأسر ثلاثة شهور حتى أطلقه ملك الكايور لأسباب ما تزال غامضة. وبعد رجوعه إلى دولته عاد الإمام عبد القادر إلى قتال الوثنيين من البنبارة وثوار الدنيانكبي حتى استشهد سنة 1788م[3].

وفي ذلك يقول النابغة الغلاوي في نظمه أم الطريد:

ولعبـت بالْمـامي عَبْـد القَـادر وَغَادَرَتْـهُ بَـيْنِ كُـلِّ غَـادر
وَجَيَـشت لَـهُ مِـنَ الْبَنَـابر مـن هـدَّ مـا بنـاه مـن منابـر
ومزقـت مـا عنـده مـن خزنـه وَصَـيَّرَتْ دَوْلَتَـهُ للْخَزَنَـهْ
وفَـاتَ فُوتَـهْ عَـدْلُ ذَاك الـصَّالِح وأَصْـبَحُوا مِـنْ بَعْـدُ قَـوْم صَالـح
لِـذَاكَ لَـمْ يَـصْلُحْ لَهَـا إِمَـامُ عَـوْضُ كَمـا قَـدْ قَالَـهُ أَعْـلاَمُ[4]

وفي الإمام عبد القادر، يقول العلامة حرمه ولد عبد الجليل من قصيدة:

مـا سـار سيرك في شـأو العـلا أحـد إلا سميـك عبـد القـادر الجيلـي[5]

---

(1) ولد أحمد يوره (امحمد): إخبار الأحبار بأخبار الآبار. ترجمة بول مارتي. تحقيق أحمد ولد الحسن، منشورات معهد الدراسات الإفريقية. الرباط. 1992م. ص: 28.

(2) انظر أبو بكر خالد با، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية: الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده. منشورات المعهد العالي للبحث العلمي، ص: 217.

(3) انظر: كي زيريو (جوزيف) ص 361 مصدر سبق ذكره. بينما فينصان مونتي يقول أن فترة حكم عبد القادر امتدت من 1776 إلى 1805م.

(4) عمر كان: ص 603. ومحمد المختار ولد السعد: ص 129. مصدران سبق ذكرهما.

(5) الشيخ محمد اليدالي الديماني: نصوص من التاريخ الموريتاني. تقديم وتحقيق محمدن ولد باباه. دار الحكمة. قرطاج. سنة 1990. ص: 104.

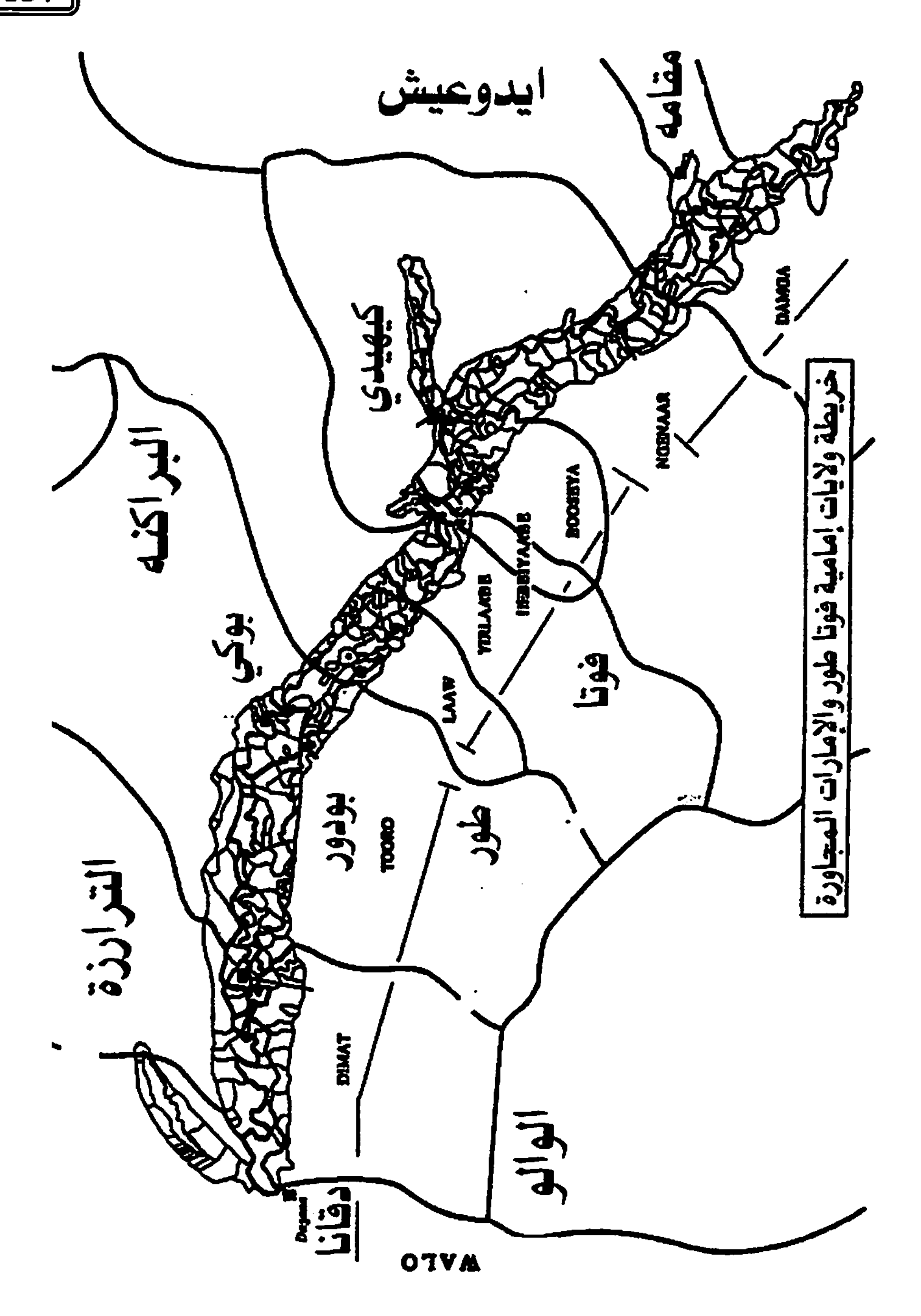
وتوالى على الإمامة من بعد عبد القادر ثلاثة وخمسون إماما في قرن وخمس سنين (1776م-1881م). وانتهت الإمامية مع استشهاد آخر إمام للفوتا وهو الإمام عبدول بوكار كان سنة 1891م[1].

وكان الإمام في هذه الدولة ينتخب وفق نظام الشورى الإسلامي من جماعة أعيان الناس وفضلائهم الذين يكونون مجلسا لا يقطع الأمير أمرا من دونه. وللانتساب لهذا المجلس شروط منها: الإسلام والإلمام بالدين. ومما يحمد لدولة الأئمة ما قامت به من إجراءات سياسية واجتماعية «تقدمية» مهمة نذكر منها تحريمها على الأسياد قتل عبيدهم ومنها منعهم سكان فوتا من بيع العبيد للكفار. وكان الإمام لا يقبل عطايا الشركات الغربية المتعلقة بتجارة العبيد ولا يقبل أن تمر خلال أرضه القوافل التي تأخذ هؤلاء إلى محطات بيعهم[2]. وكانت الإصلاحات تتطور باتجاه دولة إسلامية ديموقراطية كبرى[3] إلا أن المد الاستعماري بدأ يجتاح المنطقة وخاصة بعد سنة 1815م لما هدأ الصراع القائم بين البرتغال وبريطانيا وهولندا وفرنسا باتفاقية تعطي لهذه الأخيرة «حق» السيطرة على مراكز التجارة على النهر. ومع ذلك، لم يكن الأمر سهلا ولا الظرف مؤاتيا للمشاريع الفرنسية فالمناخ الاجتماعي والسياسي والإسلامي في فوتا امتداد طبيعي للمناخ النهضوي الإسلامي على امتداد ضفتي النهر والرافض للسيطرة الأجنبية.

(1) Monteil (Vincent): Opcit. p 104.

(2) Yatera (Samba): La Mauritanie : Immigration et Developpement dans la vallée du fleuve Sénégal. L'Harmattan. Paris. 1997. p 24.

(3) كي - زيربو (جوزيف): تاريخ إفريقيا السوداء. ترجمة د. عقيل الشيخ حسين. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان. الطبعة 2001م. ليبيا.



خريطة ولايات إمامية فوتا تورو والإمارات المجاورة

مأخوذة من كتاب زهور البساتين للشيخ موسى كامارا. ص 59،

10-بنو حسان:

مع التحولات التي طرأت في شمال إفريقيا في مطلع الألفية الميلادية الثانية وتحت ضغط التصحر والحروب نزحت قبائل بنو حسان العربية إلى موريتانيا حيث توطنت واختلطت وتمازجت مع المجموعات الأخرى[1].

ينتمي بنو حسان إلى حسان بن مختار بن محمد بن معقل جد عرب المعقل وكان وصولهم مع الهجرة الهلالية إلى شمال إفريقيا في ق 5هـ- 11م[2]. وبعد فترة من الاستقرار والازدهار في المغرب الأقصى تعرضوا لمحنة طويلة من المرينيين في عهد يعقوب بن عبد الحق 656- 685هـ- 1258- 1286م وابنه يوسف 685 - 701هـ - 1286- 1306م. وبلغت محنتهم ذروتها على يد هذا الأخير سنة 786هـ- 1384م[3] وكانت العامل الأساسي في توجههم إلى بلاد الملثمين حيث كانت علاقاتهم طيبة معهم في بداية وجودهم في ق 7هـ- 13م، مما سهل لهم التقدم والاستقرار في بلادهم. وكان انتماء بني حسان والملثمين إلى نفس المذهب السني واشتراكهم في معاداة المرينيين قد قوى روابطهم ووثق علاقاتهم.

وقد تطور الوضع لصالح بني حسان لما انهارت دعائم اقتصاد إمارة ابدوكل اللمتونية في ق 8هـ- 14م. وكان هذا الاقتصاد يعتمد على الضرائب المفروضة على القوافل القادمة من وادي درعة وبلاد السوس مقابل

---

(1) OuldCheikh: Opcit. Tome1

(2) لمزيد من التفاصيل حول بني معقل انظر ابن خلدون (عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره ج6. ص 78. وانظر: الناصري: الاستقصا. ج 2. ص: 179. مصدر سبق ذكره. وانظر ولد حامد (المختار) حياة موريتانيا الجزآن السادس والعشرون والثلاثون منشورات الزمن الرباط 2009، ص: 14، وما بعدها.

(3) من نصوص التاريخ الموريتاني «الرسالة الغلاوية» تأليف: سيدي محمد الكنتي ت 1242هـ- 1826. تحقيق ودراسة د.حماه الله ولد السالم، منشورات مؤسسة الشيخ امربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي 26، ص: 95.

حمايتها خلال ذهابها وإيابها إلى بلاد السودان. كما كان يعتمد على سباخ الملح ككدية الجل وعلى المغارم والضرائب المفروضة على سكان المدن.

وقد انهار هذا الاقتصاد لعوامل منها أن القوافل حولت طريقها شرقا إلى طريق اتوات – تنبكتو تجنبا للطرق المارة بالقبائل الحسانية خوفا من ضرائب إضافية. كما أن تحول بعض سباخ الملح إلى التبعية للمملكة مالي ساهم هو الآخر في إنضاب منابع اقتصاد إمارة ابدوكل.

ضعف اقتصاد ابدوكل فضعف الأمن وكثر النهب وتعددت الانقسامات وعم السخط والتمرد وكثرت الاحتجاجات فتشجع جيرانهم، من بنى حسان على محاربتهم والطمع في الاستيلاء على بلادهم.

ويذكر المختار ولد حامد أن حسان بدؤوا سلسلة من الحروب ضد صنهاجة ابتداء من منطقة إكيدي شمال آدرار حيث أطاحوا بحكم ابدوكل أواخر ق 8هـ – 14م[1].

ولم يكن تغلغل بني حسان داخل موريتانيا بالحروب وحدها بل ساعدتهم عدة عوامل أخرى منها تشابه نمط الحياة البدوية بين صنهاجة وبني حسان وانتماء المجموعتين إلى المذهب السني عقيدة والمذهب المالكي تشريعا. كما أن أهل البلاد سبق أن استقبلوا واحتووا في نسيجهم البشرى هجرات عربية قبل بني حسان. ثم إن لغة صنهاجة العالمة اللغة العربية وحياتهم وقيمهم تشابه إلى حد كبير نمط حياة بنى حسان.

شكل اندماج بنى حسان في البوتقة الصنهاجية العربية التي وجدوها أمامهم مددا بشريا هاما عزز مكانة المجتمع الصنهاجي العربي في علاقته مع المجموعات السودانية المجاورة له وأتاح له الاستمرار في لعب دور سياسي واجتماعي وديني رائد في المنطقة. وساهم هذا الاندماج بين حسان وصنهاجة

---

(1) المختار ولد حامد، التاريخ السياسي مرجع سابق، ص 80.

في إكمال التعريب في أغلب بلاد صنهاجة باستثناء أقصى الشمال الشرقي من منطقة مسوفة. ودفع الوضع الجديد فئات بأكملها للتفرغ لدراسة العلوم الشرعية واللغوية بشتى أصولها وفروعها. وأصبحت اللهجة الحسانية هي المتداولة بين مجتمع البيضان مما أعطى نوعا من الانسجام بين اللهجة المستعملة واللغة العالمة وإن كان يؤخذ على ذلك أنه تم بإهمال اللهجات الوطنية الأخرى حتى ماتت بما تحمله من تراث إنساني.

وقد صحبت هذه التطورات تفاعلات اقتصادية وسياسية واجتماعية وحروب أهلية يلاحظ أنها لم تكن يوما ذات طابع عرقي كما وقع بين بطون تجكانت في تينيگي وبين المغافرة وأولاد رزق يوم انتيتام بدعم من زاوية سيد أحمد لعروسي سنة 1630م وحصار احنيكات بغدادة بين المغافرة وادوعيش سنة 1778م. ورغم ما لأحداث شربية التي وقعت قبل ذلك مابين1671- 1677م بين بعض الزوايا وبعض المغافرة[1] من أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وما كان وراءها من تدخل أجنبي أوروبي وما أعطيت من أهمية، فإنها تظل كغيرها أحداثا داخلية محدودة في الزمان والمكان.

وكان من نتائج كل هذه التطورات والأحداث ظهور إمارات جديدة سماها بعض الباحثين الإمارات المغفرية والمتمغفرة. ولعله لا ضير في تسميتها بالإمارات الموريتانية الحديثة فذلك أعم.

وقد تأسست هذه الإمارات خلال ق 17 و 18 على أنقاض سلطة انيرزگ في القبلة، والأنباط في تگانت والرقيبة، وإيديشلي في آدرار، وإبدوكل في الشمال[2]. وغطت جغرافيا أغلب مناطق البلاد[3].

(1) (ولد السعد) د. محمد المختار . الإمارات والنظام الأميري الموريتاني ، النشأة والأطوار السياسية الكبرى . شركة أبوظبي للطباعة والنشر (بن دسمال) .الطبعة الأولى، نوفمبر 2007، ص: 20.

(2) المختار ولد حامد، التاريخ السياسي مرجع سابق، ص: 79- 80.

(3) لفائدة القارئ والدارس ابتعدنا عن الدخول في شعب التفاصيل مكتفين بإيراد نبذة سهلة =

11- الإمارات الموريتانية الحديثة:

أ. إمارة لبراكنة:

أسست إمارة لبراكنة سنة 1631م. وكانت حدودها في القرنين 17 و 18 تمتد من تيرس شمالا حتى نهر السنغال جنوبا إلا أنها تقلصت لصالح جاراتها في الترارزة وآدرار وتگانت لما عانته من ضعف بسبب الحروب الداخلية بين العائلات الأميرية. وقد أبرمت لبراكنه العديد من الاتفاقيات مع الأوروبيين تسمح لهم بتسهيلات تجارية في الجزء الواقع تحت نفوذها من نهر السنغال. وبعد مقاومة بطولية للاستعمار على النهر وداخل ترابها، احتلها الفرنسيون سنة 1904م ووضعوا نهاية لها. وكان آخر أمير للبراكنه هو المجاهد أحمدو الثاني ولد سيد اعل ولد أحمدو ولد سيدي اعل ولد المختار ولد آغريش الذى خلف والده 1311هـ - 1893م[1].

وقد مدح الشيخ محمد اليدالي الديماني احمد ابن هيبة البركني في قصيدة وصفه فيها بالشجاعة والكرم والعقل والحلم والصبر ومطلعها:

قضت حكمة الجبار بالفتح والنصر   لأولاد أم العز بالعز والظفر

من اختصهم رب الورى بين مغفر   ببذل الندى والعدل والحلم الصبر

وراعوا حقوق الله في كل مسلم   ضعيف ومسكين فقير ومضطر[2]

=

عن كل إمارة مدعومة بالمصادر الأساسية لمن يريد التوسع.

(1) انظر التفاصيل في مؤلف بول مارتي:

-Marty (Paul): Etude sur l'Islam et les tribus maures. Les Brakna. Paris. Ernest Leroux 1921 Delcourt (André).

-Exposé écrit de la R.I.M. Opcit. P 125 :وانظر .

(2) بن بيانه العلوي (محمد فال): «كتاب التكملة» في تاريخ إمارتي لبراكنةوالترارزة. تحقيق الأستاذ: أحمد ولد الحسن. نشر: المؤسسة الوطنية للترجمة والحقيق والدراسات (بيت الحكمة)؛ تونس 1986. ص: 30.

ب. إمارة اترارزة:

ظهرت سنة 1632م وسيطرت على المنطقة الممتدة من جزيرة آرگـين في الشمال وحتى نهر السنغال جنوبا[1] وفيها كانت المحطات التجارية التي أسستها على التوالي البرتغال وإسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا ابتداء من نهاية النصف الأول من ق 15م. ومن أشهر أمراء اترارزة بعد المؤسس هدى ولد أحمد بن دمان ابنه اعل شنظوره (1703-1727م) الذى وطد أركان الإمارة بذهابه إلى المغرب[2] يطلب العون من الملك مولاي إسماعيل الذى وضع تحت تصرفه قوات من قبائل واد نون انتصر بها على لبراكنة.

وقد أدى هذا الانتصار إلى جعل إمارة اترارزة سلطة معتبرة اعترفت بها القوى الأوروبية ووقعت معها اتفاقيات عديدة ابتداء من النصف الثاني من ق 17. وبعد مقاومة بطولية طويلة خاضتها الإمارة على شواطئ المحيط، ثم على النهر في عهد الأمير محمد لحبيب ولد اعمر ولد المختار ولد الشرقي ولد اعل شنظورة تـ (1277هـ - 1860م) وآخرون بعده، دخل المحتل الفرنسي بلاد اترارزة نهاية سنة 1902م. ومن زوايا الإمارة من قال إن أيام العدل اثنان: يوم القيامة إذ يقول الله تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[3]، ويوم ينظر المرء إلى خيام أولاد أحمد بن دمان.

ت. إمارة آدرار:

تأسست سنة 1145هـ - 1745م من طرف أولاد يحي بن عثمان. ومن أشهر أمرائها أحمد ولد سيد احمد الملقب «ولد عيدة» تـ (1277هـ-

(1) -Expose écrit de la R.I.M. surl'affaire du Sahara Occi dental. Nouakchott Mars 1975.P. 124.
- OuldCheikh (Abdel Wedoud): Opcit. Tome 1, p.p247_339.

(2) وزارة الإعلام الموريتانية (منشورات): مصدر سبق ذكره، ص 9.

(3) سورة غافر الآية: 17.

1860م)[1]، وتمتاز إمارة آدرار بما تضمه من معالم أثرية وتاريخية في أزوگى التي يعتقد أنها أول عاصمة للمرابطين وفي تنيگي المدينة العلمية المعروفة. وفي آدرار مدينتا ودان وشنقيط التاريخيتان. وجرت في آدرار ملاحم بطولية خاضتها المقاومة الوطنية بقيادة مجاهدين أبطال في مقدمتهم الأمير سيد أحمد ولد أحمد ولد امحمد ولد عيده. إلا أن القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو استطاعت بعد معارك ضارية احتلال مدينة أطار عاصمة آدرار يوم 09 يناير سنة 1909م.

ومن الحكايات الطريفة الخالدة التي تشهد بالعدالة وبتحقق الأمن في عهد أمير آدرار أحمد ولد امحمد ولد أحمد ولد عيده الملقب «أمير العافيه» - (1872- 1891م) - أنه كان يختبر مدى هيبته عند الناس بأن يأمر بذبح كبش وشيه ووضعه على حمار يتجول به داخل الواحات فترة الڤيطنة (قطف التمور) ليرى ما إذا كان أحد يستطيع أن يقترب من ذلك اللحم الطري رغم شغف الناس به وحاجتهم إليه في تلك الفترة من السنة خاصة.

ث. إمارة أولاد إمبارك:

قبل أن يستقر أولاد امبارك في الحوض مكثوا فترة في منطقتي إنشيري والقبلة، خلال ق 16، كما قضوا فترة في تگانت واستقروا في المناطق الشرقية ابتداء من ق 18. وتكونت إمارتهم من عدة مشيخات منها سلطنة أهل بهدل في منطقة باغنه بمالي حاليا وأهل هنون لعبيدي في الحوض الشرقي وأهل بوسيف ولد محمد اژناڤي المعروفين بفاته بالحوض الغربي وأولاد لغويزي بمنطقة لعصابة[2]. وتأسست إمارة أولاد امبارك في ق 17م

---

(1) (ولد السعد) د. محمد المختار. مصدر سبق ذكره، ص: 119.

(2) ابن عبد الوهاب الناصري (محمد صالح): الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية مصدر سبق ذكره. ص 87. ولد انجرتو (سدوم): ديوان الشعر الشعبي. مصدر سبق ذكره. ص: 10.

وبلغت أوج قوتها في الحوض وامتد نفوذها من أقاصيه شرقا إلى الرقيبه غربا في موريتانيا وخاي والنواره وإقليم باغنه من بلاد مالي[1]. واشتهر أولاد امبارك بالعزة والإباء والشجاعة والكبرياء. ومن أشهر سلاطينهم هنون لعبيدي ولد محمد اژناقي وذريته من ابنتي أمير ادوعيش محمد بن خونه، العالية وأختها عيشة[2]. وبلغ السلطان هنون أوج قوته بعد انتصاره في معركة كساري[3] سنة: 1124هـ - 1711م، ثأرا لابنه ديد من أخواله أولاد بوفايده المنتمين إلى أولاد داود امحمد وبتحريض من زوجته المنتمية إليهم والتي اشتهرت نياحتها على ولدها بقولها المعدود من أقدم ما حفظ من الشعر الحساني:

راحُ لرمـاقْ اهظـالِ مـن تفقـادالفـراح
كيـفَ لْ مـا جَ والـي وكثـن ديـد ماراح[4]

لعب سلاطين أولاد امبارك دورا تاريخيا في تأسيس وتطوير الموسيقى والشعر الشعبي الموريتانيين لما أبدع في عهدهم من موسيقى ومن شعر للإشادة ببطولاتهم وبقبيلتهم وأبطالها. وعانى أولاد امبارك من حروب بين فصائلهم المختلفة أنهكتهم كما أنهكتهم الحروب العديدة بينهم وقبائل أخرى وبينهم والحاج عمر تال الفوتي ولم يكن قد بقي لإمارة أولاد امبارك ولا للفروع المؤسسة لها نفوذ يذكر زمن احتلال الحوض وإخضاعه للوصاية بموجب اتفاقية وقعت بين بعض وجهائه وفرنسا بمدينة ولاته يناير سنة

(1) ولد محمد الهادي (اسلم): موريتانيا عبر العصور. مصدر سبق ذكره. ص: 149.
(2) المختار ولد حامد، التاريخ السياسي مرجع سابق، ص: 128.
(3) موضع غير بعيد من مدينة بوسطيلة بالحوض الشرقي
(4) ابن عبد الوهاب الناصري (محمد صالح): الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية مصدر سبق ذكره. ص 88. ولد انجرتو (سدوم): ديوان الشعر الشعبي. مصدر سبق ذكره. ص: 13.

1912م.

ويحكى في المناطق الشرقية عن عدالة سلاطين أولاد امبارك حكايات عديدة منها أن امرأة إفلانية تعودت على التوجه من حيها إلى القرية حاملة على رأسها قدحا من اللبن لتبيعه، فاعترضها يوما سفيه وسكبه، فأجهشت بكاء وعويلا مرددة: مات خطري خطري مات.... وكانت تلك المرأة تعني أنه لو كان حيا ما حدث ذلك، والمقصود بخطري المختار ولد أعمر ولد اعل سلطان أهل بهدل الملقب «خطري» الذي قتل يوم مد الله سنة 1257هـ-1841م. وكان قد مات ولكنها لم تكن علمت بموته بعد.

ج. إمارة تگانت:

دأب البعض على القول إدوعيش زوايا وعرب. والمقصود بالعرب منهم تلك القبائل التي حملت السلاح وحاربت وأقامت الإمارة. وتتألف إدوعيش أساسا من ثلاث مجموعات كبرى تتفرع منها قبائل كثيرة هي: الأنباط، اوديكة الذي من نسله محمد بن خونا ثم أهل اعل انتوفه. والجد الجامع لهذه القبائل هو عثمان المنحدر من سلالة أمير الحق يحي ابن عمر اللمتوني ثاني أمير للمرابطين[1]. وقد أعطى هذا النسب المرابطي لهذه الإمارة مكانة خاصة. وكان نفوذ إدوعيش يمتد من نهر السنغال جنوبا وحتى آدرار شمالا ومن الحوض في الجنوب الشرقي إلى لبراكنة غربا. تأسست الإمارة بعد كثير من التحالفات والحروب على النفوذ والريادة والسيادة. وكانت أغلب حروب إدوعيش وتحالفاتهم ضد أولاد إمبارك أو معهم فقد كانت تجمعهم الدار والمصاهرة.

أسس إدوعيش إمارتهم في ق17 وتوطدت بعد انتصارهم في حصار احنيكات بغداده[2] الذى فرضته عليهم قبائل المغافرة سنة 1778م. ومن

---

(1) (ولد السعد) د. محمد المختار. مصدر سبق ذكره، ص: 132.

(2) المضيق الشرقي للوادي الذى تقع عليه مدينة تجگجة عاصمة تگانت.

أشهر أمراء إدوعيش، أعمر ولد امحمد بن بنيوق الملقب خونة الذى شارك في معركة أم اعبانة ضد أولاد ادليم متحالفا مع أولاد إمبارك سنة 1107هـ- 1695م. ومنهم حفيده الذى وطد الإمارة في ق 18 محمد شين ولد بكار ولد أعمر (1761- 1788م) وشيخ المجاهدين الأمير بكار ولد اسويد أحمد وهو أطولهم حكما إذ امتد في الإمارة من سنة 1843م وحتى استشهاده في الأول من إبريل سنة 1905م[1].

ورغم ما عقدته إدوعيش من اتفاقيات سلام وتجارة مع الفرنسيين على النهر، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مقاومة الاستعمار بكل شجاعة لما بدأ التغلغل في البلاد. وقد سعى الأمير بكار إلى التنسيق مع إمارة لبراكنة في مقاومة المستعمر وفي العمل لتعبئة جميع المناطق وإنشاء قيادة عامة للمقاومة. ولكن الأمير استشهد في بدايات المعارك على أيدى الفرنسين مما فتح الباب أمام احتلال مدينة تجقجه عاصمة الإمارة وهجرة حليفه المجاهد الأمير احمد ولد سيد اعل أمير لبراكنة[2].

مدح أمراء إدوعيش بالعدل والرفق بالرعية وبالجود والصبر والشجاعة والتدين. وعبر عن ذلك الشاعر الشعبي الجيش ولد محمادو ولد الجيش ولد سدوم ولد انجرتو للأمير المجاهد الشهيد بكار ولد اسويد أحمد في المرثية التي مطلعها:

نفع الضيف المستغرب والجار لكبير اثقيل
والغلظ ومروة العرب ابقاوفف راص الفيل

(1) Exposé écrit de la R.I.M. Opcit. P 126

(2) للتفاصيل انظر: المختار ولد حامد، التاريخ السياسي مرجع سابق، ص ص181-199. ولد بيه (محمد المحجوب) «مساهمة في تاريخ الأدب الموريتاني منذ الغزو الاستعماري إلى اليوم» دكتوراه باريس III.ص ص: 76 - 81.

وابـــڤ الغلـــظ مـــع التنتـــاج للخلـــــق فيـــــام اَلجـــــلاج
إلـــين يكثـــر فيـــه العـــلاج وتعـــود لريـــاح اتـــج ويـــل
اعـــــود مركـــــز للجـــــاج بالمـــد تكفـــح كيـــف الـــسيل[1]

ح. إمارة مشظوف:

ينحدر مشظوف من مسوفة[2] إحدى الاتحاديات الصنهاجية الكبرى التي شكلت دعائم الدولة المرابطية وساهمت في نشر الإسلام وتجارة القوافل ويعود الفضل إليها في تأسيس معظم المدن التاريخية في موريتانيا. ويعود تكوين إمارة مشظوف إلى انقسام إمارة إدوعيش نتيجة لقانون الاتحاد والانشطار الذي حكم المدن والقبائل الكبرى في تاريخ موريتانيا. وطبقا لهذا القانون فإن عشائر ادوعيش لما ضاقت بها مواردها المحلية أصبح تأثير المراكز التجارية عليها أكبر وصارت بعض فروعها القوية تتطلع إلى الانتشار جنوبا للاقتراب من هذه المراكز والمتاجرة فيها باستقلال وحرية. وكان التجار الفرنسيون الذين يفضلون التعامل مع قوى متعددة ومتنافسة يشجعون هذا التوجه. ولعل هذا العامل الاقتصادي أهم العوامل التي أدت إلى توجه مشظوف للحوض واستقلال تغده وانقسام بقية إدوعيش إلى اشراتيت وأبكاك.

انسحب مشظوف إلى الحوض بقيادة المختار ولد امحيميد وأسسوا إمارتهم في منتصف ق19 في وقت أصبحت فيه إمارة أولاد امبارك على وشك الانهيار. وخاض مشظوف حروبا عديدة مع مسلحين من الشمال

(1) ولد بيه (محمد المحجوب): مساهمة في تاريخ الأدب الموريتاني منذ الغزوالاستعماري إلى اليوم. دكتوراه باريس III. ص: 342.

(2) ولد الشيخ سيدي (الشيخ سيدي بابه): إمارتا إدوعيشومشظوف، دراسة وتحقيق: بن محمد محمود (ازيد بيه). مصدر سبق ذكره ص: 160.

والشرق[1]ومع جيوش الحاج عمر الفوتي للسيطرة على مجالهم الجديد. وبلغت إمارة مشظوف من العظمة والقوة والثراء وكثرة الخيل العراب والإبل والأغنام حدا لم تبلغه أي إمارة أخرى. و قاد هذه الإمارة في فترات متعددة رجال مشهود لهم بالقوة والحكمة منهم أحمد محمود ولد المختار ولد امحيميد 1852- 1884م، الذي تذكر يوميات ولاته أنه «توفي رحمه الله على ما وفر للمسلمين من أمن ضد أعدائهم، في 18 يوليو 1884م»[2].

ومنهم حفيده اعل ولد محمد محمود الذي شهد يوم النيملان ضد الفرنسين. وكان رجلا شاعرا حكيما. ومن حكمه المشهورة بالحسانية عن مفهومه للرياسة والشرف أي «الدرجة» باللهجة الحسانية وأن الكل يريدها وقليل من يحملها.

الـدرجَ مخلوفـت رفٌّ يغيـر الـدرجَ ڤريـت فيـل
مـا يڤـدر حـد احـشلفٌ أُحـد افلْتـه يوڤـد ف الـسيل

ويعتبر البعض هذه الإمارة امتدادا بشريا وجغرافيا وتجاريا وثقافيا مستقلا لإمارة تگّانت لشدة ما ظل يطبع العلاقة بين الإمارتين من علاقة خاصة.[3]

وقد عززت إمارة مشظوف وحدتها بتبني قيم إيجابية كالمساواة الاجتماعية بين قبائلها، وهي قيمة أساسية خففت عندهم من حدة البحث في الأنساب والتعلق بشجرات مشكوك فيها، غالبا ما يحدث ادعاؤها خلافات تضعف القبيلة وتساهم في انشطارها. ومما اتصفت به مشظوف أنه

(1) Marty (Paul): Etude sur l'Islam et les tribus du Soudan. Editions Ernest Leroux .paris 1921, pp 125-203.

(2) Revues des études islamiques chronique du Oualata et de nema cahier iv librairie orientale Paul geuthner_Paris 1927. P537.

(3) وزارة الإعلام الموريتانية (منشورات): مصدر سبق ذكره، ص: 9.

لم يكن محظورا فيها على القبائل المتهنة لحمل السلاح طلب العلم ولا على تلك التي تطبع حياتها قيم الزوايا حمل السلاح للدفاع عن نفسها وممتلكاتها.

ومما وطد إمارة مشظوف ذلك القرار الفريد الذي اتخذه اعل ولد محمد محمود ولد امحيميد في بدايات ق 20 حيث وزع حكم مشظوف بين إخوته لينهي التناحر على السلطة واكتفى هو بالرئاسة الشرفية العامة واحتفظ تحت سلطته المباشرة بالفئات الأقل حظا في المال وحذر إخوته من أنه سيعيد إلى رئاسته المباشرة كل من يأتيه شاكيا من ظلم أحدهم.

إن مسارات كل هذه الإمارات متشابهة رغم اختلاف تواريخ قيامها فنظام الحكم تتداوله عائلة واحدة بينها حسب التقاليد دون الرجوع إى دستور متفق عليه أو قوانين مكتوبة من سلطة معينة. وغالبا ما كان يتولى الحكم أكثر الرجال قوة ومن منهم أثبت شجاعة مشهودة في الحروب داخل القبيلة أو بينها وقبيلة أخرى أو من شهد له بالرزانة والحكمة. ولقد عرفت كل هذه الإمارات فترات من الازدهار كما عرفت فترات من الانحطاط وعدم الأمن.

وكان التجار الأوروبيون قبل الاحتلال الفرنسي قد شجعوا التنافس والصراع داخل العائلات الأميرية عن طريق اتصالاتهم وبعثاتهم. كما خلقوا خلافات بين مختلف الإمارات باتباع أساليب مادية ونفسية مؤثرة، منها تقديم هدايا لهذا الأمير أكثر من ذلك لإشعاره بأهميته عندهم أو الاحتفال به بطلقات نارية أكثر منه لزرع الغيرة والخلافات والفتن بين الاثنين وجعلهما مضطرين إلى التنافس في التعامل مع هؤلاء التجار واعتبار ذلك معينا للثروة والسلاح والوجاهة لابديل له. وقد أوضحت تقارير كويولانى في خلافه مع التجار الفرنسين في اندرْ المقاصد السيئة لهؤلاء التجار في تعاملهم

مع الموريتانيين وما كانوا يسعون إليه من امتصاص خيراتهم وإشعال الحروب بينهم وتشجيعهم على تجارة الرقيق معهم ليستخدمهم هؤلاء التجار في مزارعهم وورشاتهم[1].

ساهمت هذه السياسة الاستعمارية في إضعاف الإمارات الموريتانية وفي زعزعة الأمن وانتشار الغارات والاعتداء على الممتلكات فضعف المجتمع وازدهر التباهي المفرط بالأنساب والخصوصيات حتى نادى عديد من الحكماء بضرورة مواجهة شاملة وجوهرية لجميع مظاهر الفوضى والفساد وألحوا على الاستعداد لمواجهة الغزو الاستعماري الذي يحشد قواه على الأبواب. ومن أشهر من حاولوا أن يتجاوزوا بالمجتمع النظام الأميري الذى كان لا يتعدى الحفاظ على سيادة كل إمارة على المجال الجغرافي المعترف لها به عرفيا ونادوا بضرورة إقامة كيان وطني، الشيخ محمد المامي ولد البخاري في قصيدته الدلفينية والشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا في رائيته المشهورة[2]. ومن أشهر من تصدوا للتباهي بالأنساب وما أدى إليه من ادعاءات لا أصل لها وخطيرة على النسيج الاجتماعي والروابط والتكامل بين فئات المجتمع العالم الأديب محمد فال ولد عينينا في قصيدة طويلة تعد من عيون الشعر العربي منها:

لما بحثتَ عن الأنساب مختبرا خاض الخلائقُ في الأنساب
مِنْ مُدَّعٍ شَرَفاً من غير بينة وما لدعواه إلا المينُ والكذبُ
أو جاهلٍ يدَّعي في الصالحين أباً وهُو ليس له في الصالحين أبُ
أو مُدَّعٍ نسبة يوماً إلى عرب وهُوَّ للتّرك أو للروم منتسب

(1) تقرير الكزافي كبولاني سينولي 25 يونيو 1904، نشر نصه في:
Coppolani (Xavier): Mauritanie Saharienne (Novembre 1903 à Mai 1904)
Désiré-Vuillemin(Genevieve):.l'Harmattan. Paris. 1999. P35
(2) انظر أطروحة محمد المحجوب ولد بيه. مصدر سبق ذكره ص 302 و306.

أو مُـدَّعٍ نـسباً دعـواه مـشبهة والله يعلـم مـن بَـرُّوا ومـن كَـذبوا
والحـقُّ أن الـورى في القُطْـر أجمعـه أنـسابهم ذهبـت إذ أهلـها ذهبـوا
لم يَبْـقَ إلا روايـاتٌ يُقلِّـدُها بعـضٌ وبعـضٌ لـذا التقليـد مُجْتَنِبُ

وقـد أدرك الأمـراء خـلال ق 19 مـدى خطـورة الوضـع العـام في الـبلاد وضرورة تغييره. وإن لم يدفعهم ذلك إلى وحدة إماراتهم وإقامة دولة فإن كل واحد منهم بذل جهدا مستقلا في بسط العدالة وسيادة الأمن في إمارته. كما انتهجـوا سياسـات جديـدة في جميـع المجـالات فأصـبحوا مـثلا يـساهمون في النشاط الإنتـاجي بشكل مباشـر بـدل الاعتمـاد علـى الجبايات والمغارم الـتي كـانت في أغلـب الأحيـان تؤخـذ بطـرق غير شـرعية. وفـى المجـال الاجتمـاعي والثقافي قربوا العلماء بل نصب بعضهم قضاة كما شجعوا الشعراء واحترموا التعلم والمتعلمين. كمـا كثـرت ظـاهرة التوبـة بتخلـي الكـثير مـن النـاس عـن حمل السلاح كمهنة تعطي لصاحبها ميزة تترتب عليها منـافع مادية وازدادت وتـيرة التوجـه بـدل ذلـك إلى الإنتـاج وتحـصيل العلـم. وكثـر زواج الزوايـا مـن الفئـات المتهنـة لحمـل الـسلاح بمـا فـيهم بنـات الأمـراء كمـا تـزوج هـؤلاء بـدورهم مـن جميـع الفئـات. وبـرزت المحـاظر الكـبرى الـتي أصـبحت كـالجامعات وانتشـرت الزوايـا الـصوفية الـتي شـكلت كـل منهـا حرمـا آمنـا يتوافـد النـاس إليـه مـن جميـع القبائـل والجهـات والأعـراق لينعمـوا بالـسلم ويخلدوا إلى تعمير الأرض.

ولعـل هـذه الخطـوات الإصـلاحية والرغبـة الـشاملة فيهـا عنـد الأمـراء وأصـحاب الـرأي وعامـة النـاس كانـت سـتحدث تحـولات في كافـة المجـالات تفضـى إلى شـكل جديـد مـن الحـكم أكـثر تطـورا فإمـا إمارات أفضل تنظيمـا وأقرب إلى عصرها أو نظام يوحد البلاد تحـت علـم واحـد اسـتجابة للمـصالح العامـة. ولكـن الظـاهرة الاسـتعمارية الـتي سـتؤول إلى احـتلال الـبلاد عطلـت ذلك المسار.

وهكذا يتضح من تاريخ موريتانيا أنها لم تكن يوما أرضا بورا أو برزخا أو منكبا أو بلادا سائبة فتلك مبالغات إذا نظرنا إلى الظرف الزمني والمحيط الذي تقع فيه نجد أنها أضرت بها كثيرا في الداخل والخارج حيث شككت بعض أهلها في تاريخهم وفتحت الباب أمام الغير ليشكك في إمكانية قيام قائمة بها. بل كانت موريتانيا أرضا يزخر تاريخها بالأحداث والتحولات العظيمة، نشطة مؤثرة في محيطها أيما تأثير. وكانت هذه البلاد كلما ضعفت وشاخت سلطة فيها ولم تعد قادرة على توفير الأمن حلت مكانها أخرى.

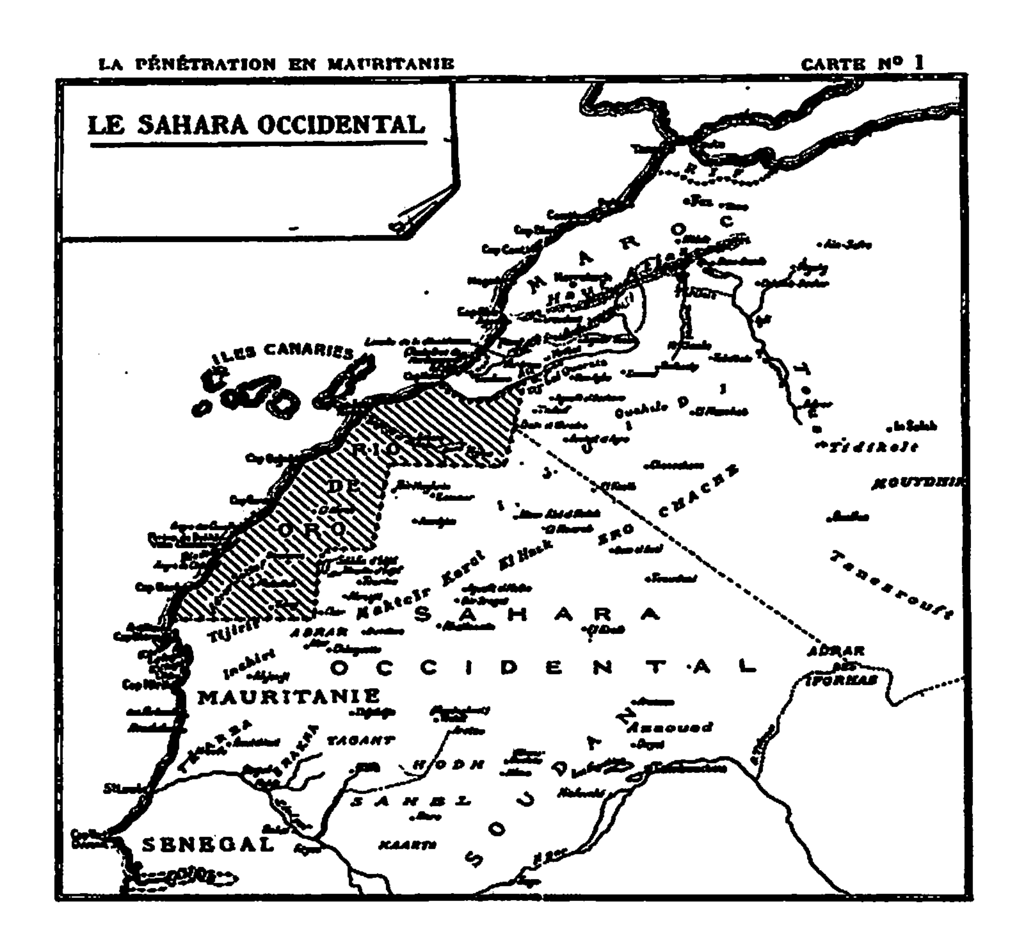
وقد عرف المجتمع الموريتاني خلال مسيرته الطويلة تحولات سببتها عوامل عديدة منها الجوار والنجعة والتجارة والحروب والاتفاقيات أدت إلى التقارب بين مكوناته واندماجها ببعضها على مر القرون. وذلك حال قبائل صنهاجة وزناته والبافور وعرب الفتح ومن معهم خلال الفترة المرابطية. وقد انصهر الجميع لاحقا مع القبائل العربية الحسانية ليتكون رويدا رويدا مجتمع البيضان بخصائصه الثقافية الراهنة. وكما اختلطت هذه الدماء بالشعوب السودانية منذ القدم فقد شجع الإسلام بما يدعو إليه من المساواة وحسن الجوار والعيش المشترك هذا الاتجاه. بل ويذكر بعض المؤرخين أن الكثير من الناطقين بالبولارية والسوننكية والوولفية إنما هم خلاصة ذلك الامتزاج. إلا أن هذا المجتمع بإماراته سيعرف عهدا جديدا تماما لم يشهد مثله من قبل طيلة مسيرته التاريخية.

الجزء الثالث

أوروبا على الشواطئ الموريتانية

نهاية عهد وبداية عهد

الصحراء الغربية



خريطة موريتانيا وما جاورها من مستعمرات فرنسية في مطلع ق 20:

Commandant Breveté Gillier : La pénétration en Mauritanie.

اعتنى الباحثون بدراسة الاستعمار وفصلوا أحداثه تفصيلا دقيقا إلا أن أغلبهم قلما تناول أسباب ظاهرة الاستعمار ذاتها بما تستحقه من بحث(1).

---

(1) لا تشكل أعمالنا الأكاديمية السابقة عن المقاومة استثناء.

وسعيا لسد بعض هذا النقص الذي قد يعرض للقارئ نبدأ هذا الفصل ببحث موجز نعرض فيه أهم التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التي جعلت أوروبا قوة تسنى لها خلال فترة ولو قصيرة من عمر البشرية استعمار أنحاء كبيرة من العالم.

أولاً: الظاهرة الاستعمارية

إن الظاهرة الطبيعية أمر يحدث «فجأة» دون تدخل الإنسان فالطوفان و الزلازل ظواهر طبيعية تحدث بنفسها. ولو أن لها أسبابا موضوعية وراء حدوثها، ومن الصعب التصدي لها في وقتها إلا أنها تحمل في باطنها عوامل تراجعها.

أما الظاهرة الاجتماعية التاريخية كالظاهرة الاستعمارية مثلا فهي تنتج عن تفاعل عدة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية. ويمكن التعرف عليها من فهم هذه العوامل.

وترجع هذه الظاهرة في أصولها إلى استغلال الإنسان للانسان منذ القدم ابتداء من مجتمع الاسترقاق والإقطاع الذي أسست عليه ممالك وامبراطوريات. وكان له فلاسفته ومنظروه.

يؤمن كل من أفلاطون وأرسطو بمبدأ تفوق اليونان الفطري على البرابرة من الفرس والمصريين والجرمان .....إلخ. ويزعم أرسطو في نظريته عن «العبيد بالفطرة» أن هناك: «جماعات من الناس ولدت كي تصبح آلات خاضعة لمشيئة اليونان العباقرة». كما يرى اليهود أنهم شعب الله المختار[1] واستمدت الامبريالية الغربية في ق 15 فلسفة التفوق العنصري من منابعه التاريخية اليونانية والرومانية التي تستند إلى انتخاب الطبيعة، ثم اليهود الذين زعموا اختيار الله لهم. وتلك هي المنابع التي استند عليها المستعمرون

(1) الدسوقي (د/عاصم) مصدر سبق ذكره ص 134.

في تعاملهم العنصري مع الشعوب الأخرى . وحارب المتمسكون بالتمايز التاريخي والتفوق القومي من سياسيين وفلاسفة وعلماء اجتماع الثورة الفرنسية لإعلانها مبادئ الحرية والإخاء والمساواة[1].

والظاهرة الاستعمارية تعني السيطرة والهيمنة من قبل دول متفوقة على شعوب ودول لا تملك ما يمكنها من الدفاع عن نفسها وهي بالتالي تعبير عن مبدإ سيطرة القوي على الضعيف وهو مبدأ يتعارض مع مفاهيم المساواة والأخوة الإنسانية التي جاءت بها الرسالات السماوية ثم مواثيق حقوق الإنسان الدولية[2].

ويقتضي البحث في تاريخ ظاهرة الاستعمار، بغض النظر عن الطبيعة المعقدة للواقع البشري المتداخل الجوانب والمتشابك الأوجه، أن نقوم بتقسيم هذا الواقع إلى جوانب ثلاثة: فكري، سياسي، اقتصادي. وهي جوانب ملتبسة فالمسار التاريخي للأمور مسار جدلي، تتداخل فيه هذه الجوانب وتتداعى بشكل مستمر.

إننا نرى مثلا أنه لولا التطورات الخارقة للعلوم التقنية، لم يكن الاقتصاد الأوروبي ليجاوز الأطوار الوسطى وفي المقابل لولا الفكر الرأسمالي البرجوازي، لم يكن التفكير ليخرج من دهاليز المثالية ويلج مجالات البحث العلمي التقني. وعلى كل فلعل الأولى أن نعتبر الجانب الاقتصادي مقدما على غيره من الجوانب ومحددا لها.

لقد عرف الواقع الاقتصادي الأوروبي تطورا مذهلا خلال القرون الخمسة الأخيرة، وذلك بفعل نشوء طبقة جديدة ذات عقلية خاصة هي طبقة

---

(1) نفس المصدر من نفس الصفحة.

(2) سيد سليمان (د/حسن). أشكال الاستعمار: تقليدي وحديث. «الاستعمار والفراغ، مجموعة البحوث المقدمة في المؤتمر العلمي العالمي حول الاستعمار والفراغ». منشورات جامعة قاريونس - بنغازي 1991م ص: 193.

البرجوازية التي كانت تمثل في القرون الوسطى جزءا من طبقة الغارمين الواقعة في القاعدة من الهرم الاجتماعي، حيث أن الغلبة كانت لأهل القوة العسكرية المعضدة بشرعية دينية تضمن لها نوعا من القبول والديمومة. ولكن هذا التوازن جدت عليه عدة عوامل على المستوى الاقتصادي إذ بدأ بعض أرباب الأموال يميلون إلى تكديسها مما أدى إلى نُشوء رؤوس أموال عظيمة. والواقع أن مجرد توفر رؤوس الأموال القارونية لم يكن أمرا بدعا فقد عرفته البشرية منذ عصور سحيقة ولكن الجديد كان صفة استغلال هذه الأموال. لقد كان التجار من قبل يكتفون بضخ هذه الأموال من جديد في السوق لاقتناء البضائع بكميات أكثر ثم بيعها بالربح في أسواق أخرى. أما البرجوازية فإنها استغلت رؤوس أموالها في اقتناء الآلات الصناعية وتملك الورشات فبدل أن يشتري التاجر البرجوازي الثوب، مثلا، جاهزا وقد تداوله المزارع والصانع فإنه يشتري القطن من المزارع ثم يتولى هو نفسه تصنيعه في ورشاته محولا الصانع إلى عامل لديه وهكذا يقتسم معه الربح الذي كان من قبل خالصا له. وفي مَرْحَلة ثانية، أصبح البرجوازي يمتلك الأرض والمُزارع مجرَّد عامل عنده يدفع له أَجْراً. ثمّ إن البرجوازي بامتلاكه الوَرَشَات استطاع أن يزيد ساعات العمل فيها كما يشاء ويَزيد من قُدرته الإنتاجية ولو مقابل نقص طفيف في سعر البيع عند دخوله مرحلة المنافسة. وأتى التطور الأكبر وهو اختراع التقنيات الحديثة كالآلة البخارية التي أفقدت المزارع والصانع أية قيمة ذاتية أو خبرة صناعية فلم يعودا إلا مراقبين لعمل الآلة وهو عمل يقدر أن يقوم به أي أحد حتى الأطفال والنساء. وهكذا أصبح جل الربح في يد البرجوازي بل أصبحت سلسلة الإنتاج بطرفيها في يد البراجوازي وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الاقتصاد.

وفي مقابل هذا التطور الاقتصادي وفي ترابط معه، وقعت ثورة فكرية

عميقة خلال الحقبة التاريخية المعروفة بالأزمنة الحديثة الممتدة من سقوط القسطنطينية 1453م إلى قيام الثورة الفرنسية 1789م. لقد كان الفِكر في الغرب يتسم بالتقليد والنظرية والمثالية، فللماضي والأقْدَمِيَّة هيبة تقوم في النفوس مقام الحجة والدليل على الصِّحَّة والصدق، كما كانت القضايا المَلْمُوسَة المادِّية تعتبر غير جديرة باهتمام وعناية العلماء. وانتصب مفكرو النهضة لمكافحة هذه الأفكار وما شاكلها، واضعين محلّها العقلانية والتجرية والواقعية ومستفيدين في هذا الطرح الجديد من الروافد التي استمدوها من العالم الإسلامي إثر احتكاك الغرب به إبان الحروب الصليبية. ولم يكتف الفكر العلمي باكتشاف فساد بعض النظريات القديمة كنظرية بطلموس Ptolemée القائلة بدوران الكواكب حول الأرض أو نظرية الطبائع الأربع لدى أرسطو واللتان أبدلتا على التوالي بنظرية كوبَرْنيك القائلة بمركزية الشمس ونظرية الجاذبية لدى انيُوتين.[1]؛ بل إن الفكر العلمي أحدث انقلابا أساسيا في مناهج البحث عن الحقيقة. لم يعد التقليد معيار الحقيقة بل حلت محله التجرية والبداهة وأصبح العالم لا يعتبر أمرا ما حقيقة إلا بعد التجرية والنظر العقلي. وهكذا لم يعد عالم الأفكار متحكما في عالم الأشياء بل أصبح الفكر يعتمد على الواقع ويتخذ منه هدفا لذاته فكل فكرٍ جديرٍ بهذا الاسم من المنظور النهضوي إنما يرمي إلى تغيير الواقع وتحسين ظروف الناس. وقد أدى هذا من جهة أخرى إلى توسيع دائرة السؤال والمساءلة، بما أدخل فيها قضايا كانت بمنأى عن أي مطالبة أو استفهام لا سيما شرعية السلطة وصلاحية تصرفاتها. وبما أن المرجعية الدينية الكنسية لم تعد مجدية للذب عن هذه

---

(1) Ould Moulaye Ahmed (Saleh): De Thalès à Einstein. L'histoire de la Science à travers ses grands hommes. Ed : Studyrama. Paris. 2007.

السلطة وتشريع تلك التصرفات بإضفاء صبغة اللاهوت عليها، أصبح الملك يحس بالخطر الذي يتهدد سلطته، فلجأ إلى مهادنة الطبقة البرجوازية والتساهل معها.

وبما أن كل تغير يجد على العلاقات على المستوى الاقتصادي ينعكس على المستوى السياسي وأن الواقع الاقتصادي الأوروبي أصبح إلى جانب البرجوازية وكذلك اقتصاد المعرفة فإن الواقع السياسي لم يكن له مناص من أن ينفتح على هذه الطبقة التي كانت كما قلنا مهمشة ومقصاة. ولقد سهل عاملان مهمان ولوجها إلى دوائر القرار:

العامل الأول منهما هو التنافر الذي وقع في معظم الدول الأوروبية بين الملك وطبقة النبلاء لنزوع الأول إلى السلطة المطلقة والاستبداد بالرأي دون الثانية مما جعله بمعزل عن هذه الطبقة ومحتاجا إلى من يركن إليه دونها. وقد قامت البرجوازية بهذا الدور في أول أمرها دافعة إلى مزيد من التباعد بين الملك والنبلاء. وفي هذه المرحلة أصبح الملك رهنَ إرادة التجار الذين استغلوا نفوذهم لدفعه إلى تجهيز القوافل البحرية لاستكشاف المزيد من الآفاق. ولا يعني هذا أن المطامح الاستكشافية لم تسبق ق 15 فقد كانت هناك استكشافات مهمة ولكنها كانت ناتجة عن مطامح سياسية أو عسكرية محضة أو حتى نرجسية لبعض الملوك أو النبلاء. أما كل الاستكشافات التي تلت ق 15 فكانت بدوافع تجارية بحثا عن المعادن والمواد الأولية واليد العاملة إذ قد ضاقت أوروبًا أرضاً ومواردَ بأَهْلِها وعرفت صِراعَاتٍ دَامِيَةً وفتنا أهليّةً استنزفت طاقتها الإنتاجية وأصبحت لا مناص لها من البحث عن موارد جديدة وأيادي عاملةٍ رخيصةٍ من خارج القارة. كما انتشرت فيها تحت ظل هذا التوسع الاقتصادي المكبوت بالحدود الطبيعية الضيقة للقارة، فلسفة وأفكار تدعو إلى الاستيلاء على خيرات الشعوب

التي لا تستطيع الدفاع عن أرضها[1].

العامل الثاني الذي وطأ للبرجوازية أكناف السياسة هو قدرتها على استغلال الفكر لتَجْييش مشاعر العامة وإقناعها بضرورة اعتناق مبادئها الديمقراطية التي ستفك عن الإنسان قيود الطبيعة وتطلق سراحه من سجون التخلف. وهكذا وقعت مع الطبقة الكادحة حلفا في مواجهة النبلاء وحلفائهم من رجال الكنيسة. ولم ينته ق 18 حتى تمكنت البرجوازية من التوصل إلى سدة الحكم في فرنسا ثم من بعدها في جل الدول الأوروبية مفتتحة بذلك عصر الجمهوريات البرجوازية (حتى الممالك أصبحت ممالك برجوازية). وكان ذلك هو العصر التأسيسي للامبراطوريات الاستعمارية الكبرى، إذ أصبحت البرجوازية قادرة على اتخاذ القرار السياسي الذي يهيؤ لها فتح الأسواق في كل أرجاء العالم. وهو أيضا عصر الاحتكارات الكبرى كما سماه لينين في كتابه «الإمبريالية: أعلى مراحل الرأسمالية».

ثانيًا: أوروبا على الشواطئ الموريتانية

لم يعرف أهل الإقليم الممتد من وادي درعة إلى نهر صنهاجة أي نهر السنغال مهما اختلفت أسماؤهم وتعددت أي استعمار من تلك الأمم الكبرى التي تدفقت جيوشها في كل اتجاه كالفينقيين والرومان. بل إن شعوب هذه البلاد عاشت على مر العصور تتمتع بحرية التصرف في شؤونها وتتداول السلطة داخلها أو في ما بينها حسب موازين القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة. إلا ان ذلك العهد انتهى وإلى الأبد مع قدوم وافد جديد يفتش عن مصالحه حاملا معه قيمه الغربية تماما على المنطقة ألا وهو

(1) مجموعة مؤلفين: الاستعمار والفراغ: مجموعة البحوث المقدمة في المؤتمر العلمي العالمي حول الاستعمار والفراغ. أقيم في جامعة قار يونس ببنغازي من 9 إلى 12 فبراير: 1986م. منشورات جامعة قار يونس 1991. ص 124.

الاستعمار.

لقد اتجهت أوروبا إلى إفريقيا بعد أن اتجهت قبلها إلى آسيا فاكتشفت كثرة ثرواتها وسهولة الوصول إليها وقربها كما اكتشفت اتساع هذه القارة التي تبلغ مساحتها حوالي 30 مليون كلم مربع[1]. وكانت إسبانيا والبرتغال، لما عرفتاه من نهضة وحيوية السباقتين في التنافس في توجيه قوافل القراصنة إلى الشواطئ الموريتانية والإفريقية الغربية عموما للإغارة على القرى والمضارب المجاورة للشاطئ.

ويعتقد الأستاذ تيودور مونو أن بداية المغامرة الإفريقية للبحارة الأوروبيين البرتغاليين ربما كانت تجاوزهم لأول مرة كاب جيبي (رأس بوجدور) سنة 1434م ووصولهم إلى حوض آرقين سنة 1441م واحتلالهم لها سنة 1443م. وقد جذب البرتغاليين وجود الماء العذب ووجود سكان في أگادير[2] وعلى الشواطئ فأسسوا بها مركزا للتبادل التجاري وقلعة سنة 1445م[3].

يحدثنا الرحالة الإيطالي كادا مُوستُو آلفيز -Cada Mosto dè Alvised الذي قام برحلة إلى منطقة ما بين نهري السنغال وغامبيا سنة 1455- 1456م، بتمويل من ملك البرتغال، أن البرتغاليين كانوا يختطفون من صنهاجة والعرب أعدادا كبيرة رجالا ونساء لبيعهم في سوق الرقيق بالبرتغال.

---

(1) ويسلنغ (هنري): سلسلة دراسات افريقية. رقم 5. تقسيم إفريقيا 1880-1914م. أحداث مؤتمر برلين وتوابعه السياسية. ترجمة ريما اسماعيل. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان. ليبيا. ص: 21.

(2) جزيرة آرقين تسمى تاريخيا عند البيضان باسم أقادير دم. المختار ولد حامد/ التاريخ السياسي مصدر سبق ذكره، ص: 84.

(3) عن محاضرة بحوزتنا القاها الأستاذ تيودور مونو سنة 1977م بانواكشوط. حول بدايات التواجد الأوروبى على الشواطئ الموريتانية .

وكان هؤلاء المختطفون يباعون أساسا للكنيسة لخدمتها ولاعتناق الدين المسيحي. وقد أحدثت هذه السياسة مشاكل كبيرة إذ رد عليها الموريتانيون بالمثل فأصبحوا يخطفون البحارة ويسترقونهم أويقتلونهم والبحارة في ذلك الوقت ينتمون أساسًا إلى الطبقات العليا مما أحدث تذمرا في البرتغال وكانت له نتائج سلبية على التبادل التجاري. لذا قرر البرتغاليون بأمر من الملك التخلي عن هذه السياسة وطوروا أساليبهم ظنا منهم أن إسلام سكان تلك المناطق سطحي ورأوا أن من الأجدى استخدام التعايش السلمي والتعامل التجاري لعل ذلك يؤدي إلى استقطاب الناس إلى المسيحية وإلى مزيد من قبول التبادل التجاري والانفتاح. ولذا عقدوا اتفاقية مع أهل أ قادير يلتزم بموجبها هؤلاء لمدة عشر سنوات بمنع أي قوة أوروبية غير البرتغاليين من دخول الخليج للتجارة مع العرب[1].

وعلى إثر هذه الاتفاقيات ازدهرت هذه السوق ووفرت للبرتغاليين ما بين 800 إلى 1000م عبدًا سنويًا[2] فأدى ذلك إلى أن يتنافس الهولنديون والإسبان والألمان والإنجليز والفرنسيون على الشواطئ الموريتانية ومصب نهر السنغال لإقامة هذه المراكز الشاطئية كمحطات تجارية ونوافذ استراتيجية يطلون منها على أهل المنطقة سياسيا واقتصاديا ويحولونها إلى أبواب لدخولها في الظروف المناسبة.

---

(1) Voyage en afrique noire d'alivize ca da mosto(1455- 1456): relalions traduites de l'italien et présentées par Frederique Verrier. Chandeigne / unesco libairie portugaise paris edition mai 2003.p 41_44.

وانظر كذلك:

d'Avity (Pierre) : Description générale de l'Afrique. Seconde partie du monde. Avec tous ses empires, royaumes et républiques. Hachette. Paris. 1972. p 565.

(2) Ibidem.

وبعد معركة وادي المخازن بين المغرب واسبانيا والبرتغال سنة 1578م ضعفت مملكة البرتغال، مما مكن اسبانيا من السيطرة عليها وضمها (من 1580 إلى 1640م)، والإستيلاء على مستعمراتها التي كانت من بينها قلعة أ ڤادير. وقد طرد الهولنديون الإسبان من القلعة سنة 1638م وظلوا يستغلونها لصيد سمك القُد Morue الذي تمتاز الشواطئ الموريتانية بأضخم أنواعه[1]. كما اهتموا بصيد السلاحف البحرية الخضراء التي هي أحسن السلاحف[2].

وانتزع الإنجليز القلعة من سنة 1665م بعد معركة طاحنة ولكن الهولنديين عادوا سنة 1666م واسترجعوها ثم فقدوها لصالح الفرنسيين سنة 1678م. وكان مما دفع الفرنسيين إلى غزوها أن الهولنديين كانوا يشترون الصمغ العربي بأسعار مرتفعة يريدون بذلك أن تكسد تجارة الفرنسيين على النهر.

لم تركد الحرب على قلعة أگادير فعاد المهزومون سنة 1685م[3] وظلوا

(1) انقرض القد في العالم ويعمل العلماء اليوم على البحث عنه في كل مظانه للعمل على تربيته لكثرة فوائده الغذائية للإنسان.

(2)) Ould Cheikh (Abdel Wedoud): Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XIème – XIXème siècle) Opcit... Tome 1, p 89.

- Golbery; x (de) : 1972, (Fragments d'un voyage en Afrique : fait pendant les années 1785, 1786 et 1787, dans les contrées occidentales de ce continent, comprises entre le cap blanc de Barbarie et le cap de Palmes.) Paris Hachette.. P : 136-137.

(3) بعض المراجع تشير إلى استيلاء البروسيين (Prusse مملكة تضم ألمانيا والنمسا) على هذه الجزيرة في سنة 1685و الواقع أن الهولانديين الذين احتلوا الجزيرة اتخذوا شعار البروسيين للتخفّي مستغلين الحرب القائمة بين الفرنسيين والبروسيين:

Charles de Lajaille (André) : Voyage au Sénégal pendant les années 1784 =

ينافسون التجارة الفرنسية الواقعة جنوبًا عند مرسى هَدِّي[1] أو تندغة المعروف بـ Portendick[2] ويحاولون جذب التجارة إليهم إلى غاية 26 فبراير 1721م حيث استطاع اسطول (escadre) فرنسي يقوده بيري دسلفيير perèer de salfert احتلالها. ولما استعادوها خلف مكانه المدعو ديفال Duval ويساعده متمرد هولندي اسمه جان دابوث Jean de both. وبعد انتصار الفرنسيين، فضل بعض الهولنديين تحت قيادة جان واين Jean Wine الالتحاق بالبيضان والعيش معهم.

ومارس ديفال Duval ضد أهل البلاد عنفا دمويا قل مثيله خلال الصراع من أجل السيطرة على الشواطئ الموريتانية خلال القرنين 17 و 18.

وقد استدرج البيضان وأعطاهم الأمان ليعودوا إلى ديارهم ولكنهم ما إن عادوا حتى أثخن فيهم قتلا وتنكيلا فقتل من قتل وأجهز على من جرح. وقطع الجثث وعلقها في أماكن مختلفة خارج القلعة ليعطي درسا لأهل البلد لئلا يتعاملوا أبدا إلا مع الفرنسيين[3] . إلا أن ردود الفعل كانت غير ما يتصوره ديفال Duval إذ عزز الموريتانيون تحالفهم مع الهولنديين وحاصروا

---

et 1785 avec des notes par P. Labarthe. Paris : Dentu. an X (1802). p 13.

(1) هدّي ولد أحمد بن دمان مؤسس إمارة الترارزه وقائدهم في فتنة شر ببه. توفي سنة 1095هـ- 1684م.

ويعتبر الدكتور حماه الله ولد سالم أن بورتانديك تحريف لكلمة بور تندغه أي مرسى تندغه منسوب إلى هذه القبيلة المعروفة التي تقطن المناطق الساحلية منذ عدة قرون.

(2) يقع مرسى هدّي على مسافة 18 كم شمال مدينة انواكشوط الحالية، غير بعيد من اجْرَيْدَه، انظر تقرير الفرنسي Gruvel حول الساحل الموريتاني:

Société de géographie commerciale de Bordeaux. (2e sér. / 31e année / N °1-12). 15 janv.-15 déc, paris. 1908 p 154.

(3) انظر التفاصيل:

- Ould Cheikh (Abdel Wedoud): Opcit. Tome 1, p.p94.95.

الجزيرة وجوعوا الحامية الفرنسية حتى تدهورت صحة أفرادها.

وبعد ذلك فوجئ ديفال Duval وستة عشر من الفرنسيين في قارب قادم من السنغال فقتل وأغلب من معه يوم 16 أكتوبر 1721م وفي يوم 25 من نفس الشهر تغلغل الأمير أعلى شنظورة في جزيرة آرقين على رأس حوالي أربعمائة مقاتل وحاصر القلعة حتى 11 يناير 1722م مما أرغم قائدها جان دابوث Jean de both الذي حل محل ديفال Duval على مفاوضة الأمير على الانسحاب مقابل سلامة حاميته[1]. وعاد الهولنديون إلى القلعة. وحاول الفرنسيون من جديد استعادتها سنة 1723م ولما فشلوا في ذلك بدؤوا ينتقدون الهمجية التي انتهجها ديفال Duval وما خلفته من أضرار على السياسة الفرنسية واستنتجوا بعد هذه الهزائم أهمية التحالف مع البيضان فبادروا بإقامة علاقات تجارية قوية مع اعل شنظوره ولد هدي المؤسس الفعلي لإمارة اترارزه. وهكذا تسنى للفرنسيين باستمالة البيضان، أن يطردوا الهولنديين من الشواطئ الموريتانية سنة 1724م، ودخلوا معهم في مفاوضات انتهت باتفاقية لاهاي سنة 1727م التي أعطت بموجبها فرنسا تعويضات لهولندا وتخلت الأخيرة لفرنسا عن آرقين. وفي سنة 1728م انسحب الفرنسيون ليركزوا جهودهم التجارية والسياسية في منطقة النهر وتركوا القلعة لعوارض الطبيعة حتى خربت واندثرت[2].

وهكذا رأينا كيف تصارعت القوى العظمى لاحتلال هذه الشواطئ وكيف أن أيا منها لم تحاول أن تقيم رأس جسر على اليابسة بدون الاتفاق مع أهل الأرض إلا ووجهت بمقاومة بطولية مستميتة منهم.

---

(1) Ibidem.

(2) BASSET (R) : Mission au Sénégal. Tome 1. E. LEROUX, Paris 1909. pp 479-498.

ثالثًا: موريتانيا من نصيب فرنسا

يعتبر المؤرخون أن أول فرنسي وطئت قدماه أرض موريتانيا هو المدعو بول إمبير Paul Imbert الذي غرقت سفينته على شواطئ موريتانيا سنة 1630م فألقت بعض القبائل القبض عليه وعرض في تنبكتو ثم بيع في المغرب.

وفي نفس القرن، تأسست في فرنسا جمعيات تعنى بجغرافية إفريقيا على غرار جمعية لندن البريطانية. ونشطت حركة الاستكشاف في ق 18. ومن أشهر مبعوثي «الجمعيات الإفريقية» المستكشف الإنجليزي هاوتن Houghton قنصل بريطانيا في المغرب وحاكم قلعة قوريه Gorée الواقعة قرب دكار، الذي توغل سنة 1790م في إفريقيا آخذا طريق نهر غامبي فوصل إلى مدينة زارا التابعة إذاك لإمارة أولاد امبارك وبها قضى نحبه في ظروف غامضة[1]. وعلى أثر هذا المستكشف، أرسلت الجمعيات، ملتقى سنتي 1795 و1796م، بريطانيا آخر هو مونغو بارك Mungo Park الذي وصل إلى إمارة أولاد امبارك بالحوض ومكث فيها ثلاثة أشهر مسجونا. ورحلته منشورة متداولة[2].

وفي الثاني من يوليو سنة 1816م، غرقت سفينة لاميديز La Meduse على الشواطئ الموريتانية فألقت بعض القبائل القبض على رمير Rummer أحد ركابها وقدموا به إلى اندَرْ لتسليمه للفرنسيين[3]. وقد خلد الرسام

---

(1) Leyden (John) (1775-1811): Histoire complète des voyages et découvertes. Paris. pp 234 et suivantes.

(2) لم يترجم إلى العربية منها إلا فقرة قصيرة.

(3) كتب كثير من ركاب لامديز عن تجربتهم العجيبة فمن ذلك:

- Dard (Charlotte): La Chaumière africaine. 1824. Dijon
- Mollien (Gaspard-Théodore): Découverte des sources du Sénégal et

=

الفرنسي جريكو Gerricault هذه الحادثة برسمه لوحة لاموديز La Meduse المشهورة.

في سنة 1820م، وقعت حادثة مشابهة للفرنسي شارل كوشلى Charles Cochelet وهو أحد ركاب السفينة الفرنسية la Sophie التي غرقت قبالة الشواطئ الموريتانية(1).

مكث الفرنسي ريني كاييه Réné Caillé من سبتمبر 1824م إلى ابريل 1825م عند قبيلة إجيجبة في منطقة لبراكنه ودرس على محمد ولد سيدي المختار

و مكث في مخيم الأمير أحمدو ولد سيد علي شهرا وكان يتظاهر بأعتناق الإسلام وسمى نفسه عبد الله مدعيا أنه مصري الأصل وكان يدون ملاحظاته. واشتهرت قصة اندماجه في مجتمع البيضان إلى درجة أن الرواية الشفهية تذكر أنه أصبح يؤم الناس في الصلاة. وبعد أن غادر البلاد أرسل إليهم يعترف بكفره ويذكرهم بنص «خليل» القاضي ببطلان صلاة من اقتدى بكافر يظنه مسلما.(2)

في سنة 1830م، التقى الإنجليزي جون دافيدسون John Davidson بيروك ولد محمد، شيخ فخذ آيتْ مُوسى من تكْنَهْ في منطقة واد نون ثم ارتحل مع قافلة من تجكانت إلى تنبكتو لكن قطاع الطرق قتلوه قبل

=

de la Gambie en 1818 ،Paris : C. Delagrave.

- Corréard (Alexandre) et Savigny (Jean-Baptiste-Henri) (1793-1843), Naufrage de la frégate «La Méduse».: Publication de l'Institut national des langues et civilisations orientales. Paris. 1974.

(1) نشرت قصته في كتاب تحت عنوان:
Naufrage du brick français la Sophie sur la côte occidentale de l'Afrique. 2 vol. in-8. Chez Monge à Paris.

(2) بن محمذن (محمدُو): مصدر سبق ذكره. ص ص: 174. 177.

الوصول إليها. ويقول بيروك في رسالة إلى التاجر Willshire نائب قنصل إنجلترا بمدينة موغادور[1]، بتاريخ 13 فبراير 1837م، إن تجار تافلالت هم من حرض قطاع الطرق على ما قاموا به.[2]

وفي سنة 1843م قام العقيد كاي Caille بجولة سريعة في بلاد اترارزه. وفي سنة 1850م استطاع السنغالي ليوبولد بانيه Léopold Panet، منطلقا من اندَرْ، أن يصل إلى بوجدور في منطقة الساقية الحمراء، مرورا بأطار. ويلاحظ أن هذا السنغالي كان أكثر قربا لفهم المجتمع الموريتاني مما خوله تقديم مقترحات كثيرة إلى إدارته[3].

1- اترارزه والفرنسيون: تجارة، صراع واتفاقيات:

كان ق 19 بامتياز عصر التجارة والمعاهدات والحروب بين الامارات الموريتانية والفرنسيين المستقرين في السنغال. وقد اختصت إمارة اترارزة لموقعها الجغرافي بأغلب تلك المظاهر المتنوعة لعلاقة البيضان والفرنسيين. وتعد سنوات حكم الامير محمد لحبيب ولد أعمر ولد المختار الذي خلف والده (1829- 1860م) خير شاهد على ذلك.

«وفي سنة 1829م جُرِّدَتْ حملات عسكرية فرنسية عدةٌ ضد اترارزه وعُقِدَتْ اتفاقية جديدة معهم. وكان من النادر أن تمر سنة لا يوقع فيها والي مستعمرة السنغال اتفاقيات مع زعماء البيضان»[4]، ورغم أن الخلاف بين

---

(1) مدينة الصويرة حاليًا.

(2) انظر رسالة شيخ واد نون بيروك عن خبر دافدسون في مجلة :
Société de géographie (France). Bulletin de la Société de géographie. Janv.-juin 1837 (2e sér. / T. 7 / N° 37-42).Paris 1837. P :102 et suivantes.

(3) نشرت رحلته في المجلة الاستعمارية:
Revue Coloniale. Juillet/ Décembre, paris 1850.

(4) النقيب/ غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا: ق17- 1920م. (تعريب =

الطرفين كان ظاهريا حول التجارة، إلا أنه في باطنه كان صراعا على السيادة على منطقة الوالو. ولم تفتأ تلك الحقيقة أن تكشفت سنة 1833م لما استؤنفت المعارك بين الطرفين في ما عرف بحروب عرش الوالو الذي خشي الفرنسيون أن يؤول إلى اترارزة لما تزوج الأمير محمد لحبيب ملكة الوالو. وقد تخلى محمد لحبيب عن حقه في عرش الوالو بعد سنتين من العداء والمناوشات مع السلطات في اندَرْ ووقع معها اتفاقا بذلك. ولكن علاقات الطرفين ظلت على ما كانت عليه من انعدام الثقة وتحين الفرص. وفي سنة 1848م أعلن محمد لحبيب ابنه من أميرة الوالو اعلي وريثا لعرش الوالو فاندلعت الحرب من جديد. ولما تولى نابليون الثالث السلطة في السنة الموالية قرر اتباع سياسة متشددة وهجومية في مناطق النفوذ الفرنسي. لذا أصدر في سنة 1854م التوجيهات التالية: «يجب أن نملي إرادتنا على زعماء البيضان في ما يتعلق بتجارة الصمغ. يجب إلغاء المحطات واستخدام القوة إذا لم نتمكن من الحصول على ما نريده، بالإقناع. يجب إلغاء كل إتاوة ندفعها إلى دول النهر إلا ما نعطيه متى شئنا للزعماء الذين نرضى عنهم، دليلا على كرمنا. يجب أن نكون سادة النهر. يجب تحرير الْوَالُو تماما بانتزاعه من اترارزه. وبصفة أعم، علينا أن نحمي من البيضان، السكان المزارعين على الضفة اليسرى. وأخيرا يجب الشروع في هذه الخطة باقتناع وتصميم». وسيكون فيديرب اليد العسكرية التي ستطبق هذه السياسة الجديدة.

=

وتعليق) ولد محمد ولد بيه (المقدم/ محمد المختار). مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع. انواقشوط - موريتانيا، ص 46.

2) المصدر السابق، ص: 47.

2-فيديرب: سياسة العنف والتوسع:

طلب تجار اندَرْ من الحكومة الفرنسية تعيين نقيب الهندسة فيديرب واليا على السنغال لمعرفته بالمنطقة ولصيته الذي اكتسبه خلال حروبه المذكورة ضد اترارزه.

صمم فيديرب Faidherbe على تكسير «خرافة» شجاعة البيضان وعلى مواجهتهم وتقليم أظفارهم وقطع ما تعورف عليه من الضرائب على التجارة والمبادلات التجارية مع تفانت ولبراكنه واترارزه.

وضح فيديرب سياسته الإستعمارية بقوله: «إننا نهدف إلى تحرير التجارة من أية ضريبة مفروضة ... ويجب أن يعلم العالم أن النهر لنا ولسنا ملزمين بدفع أية رسوم للتنقل في أرجائه أو لاستيطانه ... كما نريد أن تغدو دول جنوب النهر مستقلة عن البيضان». ولذا أرسل إلى من هاجر من رؤساء الوالو إلى الكايور يقول «إن صممتُم على أن تظلوا متحدين مع البيضان وأن يكون إعل الكوري ولد محمد لحبيب ملككم فاعلموا أنه لا جدوى من رجوعكم إلى أرضكم إذ لن تبنوا بها أي أخصاص أو دور إلا تركتها رمادا. أقولها وأكرر إن الوالو سينفصل عن اترارزه أو سيكون خلاء»[1].

وتمثلت خطة فيديرب للوصول إلى الأهداف الاستعمارية المرسومة في نقاط ثلاث هي:

1. تعزيز الوجود الفرنسي في كافة بلاد السنغال بحيث يصبح بمنأى عن أي تهديد داخلي أو خارجي قادم من غينيا أو مالي أو من شمال النهر وبسط النفوذ الفرنسي في كل الاتجاهات كلما أتيحت الفرصة.

2. شن الحرب على أي وجود للإمارات البيضانية جنوب النهر وتفكيك

---

(1) Barry (Boubacar) : Le Royaume du Waalo, le Sénégal avant la conquete, Paris karthala. 1984, P.280-281

الحلف بين أمراء الوالو واترارزه وإرغام هؤلاء على توقيع اتفاقيات استسلام يعترفون بموجبها بالسيادة الفرنسية في الوالو ويحررون فرنسا من التزاماتها لهم بشأن المحطات التجارية.

3. إرسال المستكشفين إلى أرض البيضان لمعرفة حقيقتها وجمع المعلومات عنها(1).

لقي فيديرب في تطبيق مشروعه المذكور عقبة كأداء هي صلابة تحالف اترارزه والوالو الذي تعزز بزواج الأمير محمد لحبيب من الأميرة جنبت وهو زواج طالما أراد فيديرب نقضه. ولما عجز فيديرب عن إبطال هذا الزواج ونقض حلف الإمارتين غير من سياسته فحاول استغلال وإذكاء الصراعات الداخلية داخل اترارزه والوالو وبث الشقاق بينهما وبين جيرانهما. ولم يأل جهدا في ذلك ولا ترك سببا إلا وأخذ به. ومن ذلك خلق المنافسة بين الأمراء والأعيان على أمور بسيطة كمراسم الاستقبال في اندَرْ ومقدار ما يهدى إلى كل واحد منهم وإيثار بعضهم على بعض وما شاكل هذا مما يثير الغيرة ويشعل الفتنة.

ويجب الوقوف هنا على جانب آخر من الصراع بين المستعمر وأهل البلد وهو سعي أصحاب الفكر والرأي الدؤوب لاستنهاض الهمم إلى الجهاد. وكان في مقدمة هؤلاء الدعاة آنذاك الشيخ سيديا ولد المختار ولد الهيبه وابنه الشيخ سيدي محمد.

وقد جرت بين الشيخ سيديا الكبير و فيديرب مراسلات حادة اللهجة. منها هذا الرد للشيخ على رسالة من فيديرب يتوعده فيها(2):

«بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الملك الحق العلي العظيم والصلاة

(1) ولد عمار (محمد عبد الرحمن): مصدر سبق ذكره. ص: 97 – 98.

(2) Leriche (Albert): Bulletin de l'institut français d'Afrique noire. Tome XIV Dakar. Janvier 1952. P : 635.

والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على دينهم القويم هذا وإنه من عبد ربه الغني به سيدي بن المختار بن الهيب طهر الله منه الجيب وستر العيب وأصلح الشهادة والغيب إلى فيديرب أمير اندَرْ الذى خفي عليه كثير من حقيقة الوبر سلام على من اتبع الهدى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى أما بعد فاعلم يا فيديرب أن مكتوبك وصل إلينا وقدم به حامله علينا فنظرنا فيه فإذا هو مشتمل على أسلوب من الكلام لم يواجهنا بمثله قبلك أحد من الأنام لما فيه من الجرأة والتوعد بالانتقام إن لم نرد إليك ما نهبه أولاد أحمد من مالك ومال عيالك ... ... فاعلم أنا ندعوك إلى الاسلام ونأمرك به أمرا جازما لتنجو به من النار وتخلد به في الجنة خلودا ملازما والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وتفز بما فيه لك قرة العينين وانبذ عنك شهاب الكفر بدخانه واستضئ بضياء دين الله تعالى إسلامه وإيمانه وإحسانه تتحف بمغفرته سبحانه لجميع ما مضى من ذنوبك ورحمته ورضوانه لأن الإسلام يجب ما قبله وينشر الله به على العبد رحمته ونعمته وفضله ...اهـ».

وأما الشيخ سيدي محمد فله قصائد في الحث على الإصلاح الداخلي ومقاومة النصارى الغزاة كرائيته التي مطلعها:

رويــدك إننــي شبهــت دارا   علــى أمثالهــا تقــف المهــارى

والتي يقول فيها:

حمــاة الــدين إن الــدين صــارا   أســيرا للصــوص وللنصــارى

فــإن بــادرتموه تداركــوه   وإلا يــسبق الــسيف البــدارا

وبعد سنوات من الصراع والحروب بين فيديرب واترارزه. وقع الطرفان اتفاقية 20 مايو سنة 1858م التي عبرت عن موازين القوى المستجدة في المنطقة وشكلت بداية انحسار المد البيضاني في السنغال واقتراب الفرنسيين

من المناطق الواقعة شمال النهر. وأهم بنود هذه الاتفاقية:

- اعتراف اترارزه بالسيادة الفرنسية على منطقة الوالو
- إلغاء الامتيازات الثابتة التي كان يتلقاها الأمير من السلطات والتجار الفرنسيين مقابل تأمين التجارة.
- إلغاء المحطات التجارية الثابتة ما عدا دقانه
- منع اترارزه من عبور النهر مسلحين[1]

وفي هذه السنة، دارت معارك بين لبراكنه والفرنسيين وتفاقم التدخل الفرنسي في أمور لبراكنه. فاضطر أميرهم امحمَّد ولد سيدي في 10 يونيو 1858م إلى توقيع اتفاقيات لا تقل إجحافا عن تلك التي وقعها أمير اترارزه محمد لحبيب.

ولقد استغل فيديرب الخلافات والصراعات التي تأججت داخل إمارة اترارزه بسبب مقتل الأمير محمد لحبيب سنة 1860م وكذلك الخلافات بينها وإمارة لبراكنه ليتدخل في أمور هذه الامارات ويشرف على الاتفاقيات بينها ويضمنها كل مصالح الاستعمار الفرنسي في التقليص من نفوذ البيضان على النهر. وكان مما أطلق يد فيديرب في المنطقة أن بريطانيا تخلت لفرنسا بموجب اتفاقيات لندن الموقعة 07 مارس 1857م آخر معقل لها في المنطقة وهو ميناء هدي Portendik التي كانت منذ سنة 1814م تديره وذلك مقابل ميناء البريدا في غامبيا[2].

---

(1) ورد في منظومة ابن حجاب في تاريخ إمارة الترارزه: 1185 - 1314 هـ 1771 - 1896 تحقيق وتعليق خديجة بنت الحسن بيت الحكمة قرطاج 1991.

«وشرعه» عامُه فيه اجتمعا غزوة غَبْ وسلمنا الروم معا

وشرعه رمز لسنة 1275هـ انظر: منظومة ابن حجاب في تاريخ إمارة الترارزه: 1185- 1314/ 1771- 1896. تحقيق وتعليق خديجة بنت الحسن، بيت الحكمة قرطاج 1991م. ص: 62.

(2) A. Durand et Pedaune Lauriel ; Recueil des traités de la France. Tome VII. Paris. 1880. p 238.

ورغم كل ذلك لم تحسم الاتفاقيات الصراع بشكل نهائي بل إن طابعها المجحف ما فتئ يدفع إلى نكثها ويعيد الحرب كل مرة على أشدها.

و كانت هذه الأحداث متزامنة مع جهاد بطولي في منطقة النهر ضد المستعمر قادته ليسوا أمراء يدافعون عن نفوذهم وحدودهم وشعوبهم بل أصحاب فكر ورأي لا يلتزمون بالحدود الجغرافية ولا العرقية بل إن بعضهم رفع راية الإسلام لتشمل كل القوميات والألوان. ولا نجانب الحق إذا قلنا إن تاريخ هؤلاء المجاهدين وبطولاتهم ضد الوثنية والاستعمار إرث مشترك لشعوب منطقتنا كلها.

رابعًا: نماذج من قادة الجهاد ضد الغزو الفرنسي في ق 19 على امتداد النهر

يمكن اعتبار مقاومة المد الاستعماري الفرنسي على ضفتي النهر في االنصف الأخير من ق 19، المرحلة الثالثة من المقاومة بعد تلك التي قامت على شواطئ المحيط وفي مراكز محددة على النهر. وتتسم هذه المقاومة الأخيرة بطابع إسلامي ظاهر إذ ساهمت فيها من كل النواحي والقوميات فئات نهضت لمقاومة النصارى الغزاة والتصدي لهم، سواء في ذلك مختلف الأعراق في المنطقة من سنغالي و موريتاني و غيني و مالي... وكانت المقاومة بلسما للفروق والاختلافات القديمة بما اتَّحد تحت رايتها من القيادات السياسية والفكرية والروحية في المنطقة .

ولئن كانت هذه المقاومة جهادية ذات سمة إسلامية فإنها أيضا ذات طابع سياسي واقتصادي فهي دفاع عن مناطق النفوذ والسيادة وصراع ومغالبة على مراكز التبادل التجاري.

وفي ما يلي نقدم لمحة عن بعض قادة الجهاد في منطقة النهر من الذين جمعوا بين جهاد الوثنية وجهاد الاستعمار.

يـذكـر الـدكـتور حـسن ابـراهيم حـسن في كـتابـه: «انتـشار الإسـلام والعروبـة في مـا يلـي الـصحراء الـكبرى» أن مملكـة فوتـا الواقعـة في جنـوب السنغال الأدنى (نهر السنغال) وهو مكان مملكة التكرور القديمة، ظهـر فيهـا مجاهـدون كبـار تـأثرت المنطقـة كلها بنشاطهم ومـن أشهرهـم الحـاج عمر تال الذي استطاع توحيد المنطقة الاسلامية الممتدة من فوتا إلى تمبكـت تحت قيادته.[1]

1- الحاج عمر تال الفوتي (1212ـ1282هـ- 1797ـ1865م):

ولـد الحـاج عمـر بـن سـعيد تـال سـنة 1212هـ- 1797م بقريـة هـالوار Halwaar التابعة لمدينة پودور السنغالية مـن بـلاد التكـرور في الفوته طـورو في عصر الإمام العادل عبدالقادر الفوتي. درس مبادئ العلم من قرآن وفقه في محاظر قومه في الفوته طورو ثـم التحـق بالجامعـة الاسـلامية للعلوم الشرعية الذائعة الصيت إذاك بمدينة بيرة الواقعة بـين انـدَرْ واتـيس[2]. بعـد بيـرة سـافر إلى بلاد القبلة في موريتانيا لإكمال طلب العلم فتتلمـذ علـى الـولي الـصالح الشيخ مولود فال. ثم سـافر إلى فوتـه جـالون بغينيـا حيـث أخـذ الـورد التجـاني عـن الـشيخ عبـد الـكريم الفـوتي. بعـد غينيـا رحـل الى المـشرق للحـج سـنة 1827م ومكث فيه حتى سـنة 1836م[3] حيـث التقـى بالشيخ محمـد الغـالي وهـو أحـد كبـار تلامـذة الـشَّيخ أحمـد التجـاني فلزمـه وأخـذ عنـه وتخلـق

(1) ابـراهيم حسن (د. حسن): انتشار الإسـلام والعروبـة في مـا يلـي الـصحراء الـكبرى. نـشر: جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية. القاهرة. 1957. ص: 90.

(2) خالـد بـا (أبـوبكر) : صـور مـن كفـاح المسلمين في إفريقيـا الغربيـة: الحـاج عمـر الفـوتي حياتـه وجهـاده منـشورات المعهـد الموريتـاني للبحـث العلمـي. نواكـشوط، 1980. ص: 8، 13، 75.

(3) ترجح عندنا هذا التاريخ نظرا لكون السلطان محمد بلو توفي سنة 1837. وقد أدركه الحاج عمر حيًا ومكث معه قرابة سنة.

بأخلاقه حتى أصبح من أقرب مقربيه ومن جلّة مريديه[1]، ولما هم الحاج عمر بالرجوع إلى بلاده صدره الشيخ بدرجة خليفة الطريقة في بلاد السودان وهي أقصى درجات الترقي لدى التيجانية تحل صاحبها بمثابة الشيخ أحمد التجاني نفسه في جميع وظائفه فله أن يصدر من شاء وأن يعطي الورد لمن شاء وأن يقدم من شاء[2].

وعندما رجع الحاج عمر الفوتي إلى بلاده مر في طريقه بالشيخ محمد بلوّ بن الشيخ عثمان دَانْ فُودْيُ بالسكوتو في نيجيريا وتزوج بابنته.

ومن السوكوتو، غادر الحاج عمر قاصدا ماسنه فتلقاه صاحبها أمير مملكة دينه[3] بجفاء ولم يرحب به فسار عنه إلى فوته جالون وبها مكث ست سنين إلى أن شد الرحال قاصدا مسقط رأسه بفوتو طورو سنة 1846م.

سرعان ما اصطدم الحاج عمر في مسقط رأسه برفض أهلها لدعوته فانقلب إلى فوته جالون حيث بدأ حركته في جنقراي Dinguiray في شمال فوته جالون فربى الناس وعلمهم أمور دينهم وهذبهم خيرَ تهذيب آخذا في ذلك نهج المرابطين يحيى بن إبراهيم وعبد الله ابن ياسين وأبوبكر ابن عمر فلما تحقق من صلاحية جيشه «الذي بلغ قوامه ثلاثين ألف رجل» للجهاد واستعداده له خرج به غازيا[4].

كان أول هجوم للحاج عمر على مملكة الكارته البنباريه[5] فهزمها

---

(1) با (أبوبكر خالد) : نفس المرجع. ص: 15 – ص: 75 .

(2) Depont et Coppolani (Xavier): Les confréries religieuses musulmanes. Ed : Maisonneuve et Geuthner. Paris. 1987, P : 193.

(3) دينه مملكة إسلامية عظيمة قامت في منطقة ماسنه على يد أسرة أهل لبُّو الفلانية وكانت لها صلات وثيقة بالشيخ سيد المختار الكنتي وذريته.

(4) Faidherbe: Le Sénégal: la France dans l'Afrique Occidentale. Hachette et Cie. Paris. 1889. P. 159.

(5) تقع هذه المملكة في شمال مالي مما يلي مدينة انيورو، ومعظم أهلها من بنباره =

وتغلب على بلادها. وكان من عادته أنه إذا نزل بقرية أرسل إليها من يدعوها إلى الإسلام فإن استجابت عدل عنها إلى غيرها وإلا هاجمها. وفي هذا الأسلوب اتباع للمشهور من مذهب الامام مالك إلا أنه ربما يمكن الأعداء من الاستعداد والتهئ للقاء.

وبعد تغلبه على مملكة الكارته، بسط الحاج عمر سلطانه على مملكتي الكُنغي والجافنْو فكان بذلك مجاورا لفيدي ماغه من حيث يستمير وتصله الإمدادات من منطقة الفوتو طورو عن طريق فيدي ماغه بل إن بعض أبناء هذه المنطقة شاركوا في غزواته.

وكان الحاج عمر يلهب مشاعر المجاهدين ويمدحهم ويحثهم على الالتحاق به للجهاد ومن ذلك قوله[1]:

بنو طورُ أصحابي خيار وسادة　　وهجرتهم لله خالقنا العدل

وهم جند مولانا وحزب نبينا　　فأسعد بهم ذلك الكهل السخل

بني طور جيئوا لسعدكم　　تنالوا الذي نال قتلا من الخل[2]

وليس يعني هذا، كما يقول أبو بكر با أن فوتا طورو وحدها هي التي

=

والسوننكه وبها أيضا مجموعات من البيضان والفلان والخاصونكي. قامت بها بعد تحلل مملكة مالي، دويلات مختلفة للبنباره. احتلها الحاج عمر الفوتي فأصبحت انيورو عاصمته الشمالية. انظر:

Cornevin: «Kaarta.» in Encyclopaedia of Islam. Edited by: P. Bearman. Th. Bianquis. C.E. Bosworth. E. van Donzel and W.P. Heinrichs. Brill: 2007. Brill Online. Universite de Paris I/ Sorbonne. 30 december 2007

<http://www.encislam.brill.nl/subscriber/entry?entry=islam_SIM-3728>

(1) با خالد: ص: 79.

(2) لا يخفى أن هذه الأبيات لا تخلو من بعض الاضطراب، فليست تناسب مقام الحاج عمر في اللغة كما يتضح من كتابه الرماح ومن رسالته «بيان ما جرى» فلعل تداول الرواة أفسدها. وإنما أوردناها كشاهد تاريخي على جهاد أهل فوتا طورو.

استجابت لدعوته بل استجاب له كذلك أهل فيدي ماغه وكجاكا بموريتانيا والسنغال وجومكو في مالي وغيرها من المناطق[1].

ويذكر أنه كان من أهدافه وصل بلاد الفوتا في الغرب بالسكوتو في شمال نيجيريا، التي كانت تحت إمْرة صهره الشيخ محمد بلو وذلك لاقامة دولة إسلامية كبرى[2] إلا أن الفرنسيين قطعوا عليه السبل وحالوا بينه وبين موارده المالية والبشرية في منطقة فيدي ماغه وفوته طورو فقاتلهم سنة 1857م عند مدين Mèdine قرب خاي في مالي الحالية. لكنه بعد حصار دام قرابة الثلاثة أشهر، اضطرته المدفعية الفرنسية بقيادة فيديرب Faidherbe إلى رفعه[3]، فلما يئس من الجانب الغربي من المنطقة لوقوف المستعمر دونه ولى وجهه قبل الشرق حيث ما تزال مملكة سيقو البنبارية وثنية، فأمها بجنده وهزم ملكها المنصا علي[4] سنة 1861م وفر هذا إلى أحمد بن الشيخ أحمد ملك دينه مستجيرا به. لم يترك الحاج عمر المنصا علي بل طلبه من السلطان أحمدو ولكن هذا رفض تسليمه. وقال إن المنصا علي قد أسلم ومنع بذلك دمه، فكان من أمرهما أن تقاتلا وهزم أحمد وقتل هو وجلة من قومه رحمهم الله[5].

ودخل الحاج عمر مدينة حمدُ الله عاصمة مملكة دينه[6] ولم يحسن جيشه حسب ما ذكر معاملة أهلها فثاروا عليه وأخرجوه إلى منطقة بنجقرا

---

(1) با (أبو بكر خالد): ص: 78 - 79 مصدر سبق ذكره.

(2) نفس المرجع والصفحات.

(3)) Faidherbe. L, 1881, le Soudan français Tome 1. (Chemin de fer de Medine au Niger) , lille, imp, l , danel , pp 5 -7.

(4) أو المنسا.

(5) Mangin (Lt-Colonel) : la Force Noire. Hachette.Paris. 1910. pp 231_233.

(6) دينه كلمة فلانية تعني الدين، لأن مملكة ماسنة كانت دولة إسلامية.

الجبلية حيث احتمى في بعض الكهوف بينما كانت قواته تستولي على تنبكتو. ولم يزل جيش ماسينا من الفلان وكنته والطوارق وحلفائهم من بنباره يحاصرونه ويطلقون النار حتى اشتعلت حقائب بارود كانت بجنبه فتفجرت وتوفي وثلاثة من أبنائه مكّي و مهدي و هادي. وكان ذلك سنة 1865م[1].

ومن المعلوم أن الحاج عمر تال كانت له صلة وثيقة بقبائل البيضان إلى درجة أنه كان يناصر بعضها على بعض في الحروب الداخلية كيوم تاغطافت بين مشظوف والأغلال[2] كما دخل في مواجهة مع أهل فاته من أولاد امبارك عند تيمزين بين عيون العتروس واعوينات ازبل[3]. ولما ساعد أولاد امبارك المناطق المالية الغارمة لهم ضد احتلال الحاج عمر لبلادهم، حاربهم حتى أتى على نفوذهم في تلك المناطق. فعبر عن ذلك بحسرة أحد الشعراء بقوله:

اخْلَى عَرْب الحَاسِي وَاوادْ وَغْرَبْ لِقْلَيب وفَصَالة
واخْل يَاسر مِنْ لغْرَبْ زَادْ مَغْطَاهْ كْبِير ورَجَّالَه

إلى أن قال:

ذَاك اخْلَعَنْ كَامِلْ عَاد كَشَيْءٍ كَانَ وَزَالَ[4]

(1) أبو بكر خالد با: مرجع سبق ذكره. ص: 75.

(2) أضاة شمال مدينة تامشكط بولاية الحوض الغربي بموريتانيا. راجع: المختار ولد حامد: الجزء السياسي. ص: 201. ومع ذلك فالشيخ ابُّوه ولد حدمين ولد غلام ذكر لي أن الأغلال يرون أن الحرب كانت بين مشظوف والحاج عمر مع مناصرة أفخاذ قليلة من الأغلال للحاج عمر، في حين كان أغلب الأغلال مدركا لخطورة مشروع الحاج عمر القوتي الرامي حسب اعتقادهم إلى توسيع دولته، ولذلك لم يعينوه.

(3) المختار ولد حامد: الجزء السياسي. ص: 135.

(4) بن ببانه العلوي (محمد فال): «كتاب التكملة» في تاريخ إمارتي لبراكنة والترارزة. تحقيق الأستاذ: أحمد ولد الحسن. نشر: المؤسسة الوطنية للترجمة والحقيق والدراسات =

وما يزال بعض الفنانين التقليديين يعزفون إيقاعا يسمونه «مشي جيش الفوتي»[1].

وقد كتب عن حياة المرابط الحاج عمر تال الفوتي مؤرخون كثيرون[2]. والخلاصة أنه جاهد من أجل نشرالاسلام ونجح في إدخال معظم البنباره فيه وهو إنجاز جليل حقق للمجتمع المالي وحدة دائمة جنبته الحروب الدينية المعاصرة وساهم في إغناء الفقه الاسلامي الجهادي بفتاوي ذات قيمة عالية[3] كما ساهم في إعلاء شأن التصوف وكان بعض علماء الزّوايا يتعاطفون معه فمدحه الشيخ محمد المامي بقصيدة مطولة منها:

سلام إلى من نور مغناه فائح ... ومن نوره للشمس والبدر فاضح
ومن ضره للكفر ماحٍ وهادم ... ومن نفعه للخلق غاد ورائح
فكنا نرى للغرب عدلا يقيمه ... عليه بقرب المصطفى النور لائح
وفي عمر الحاج الموفق وسم ما ... نحاوله من ذلك الكنزِ لامح
وما كل منصور اللواء مجدد ... ولا كل ذي التجديد للأمرِ صالح
وقد حزتم الأمرين فالله ناصر ... لكم وزمان المهدوية جانح

كما مدحه سيد عبد الله بن سيد محمد إبن امبوج التيشيتيي[4] فيقول

=

(بيت الحكمة)؛ تونس 1986. ص 81.

(1) يعزف أحمد ولد بوب جد هذا الإيقاع المتسارع في مقام الشبار من فاغو الكبير من لقنيدية.

(2) من أحسنها كتاب «جهاد الحاج عمر تال» للأمريكي دافيد روبينسون
Robinson (David).: La guerre sainte d'Al hajj Umar. Ed Karthala. 2000.

(3) أبوبكر خالد با. مصدر سبق ذكره. ص 97. ولدينا نسخة من رسالة للحاج عمر يوضح فيها موقفه من الشيخ أحمدُ سلطان ماسنه والأسباب التي دفعته إلى قتاله.

(4) عالم وصوفي عاش آخر حياته مع الحاج عمر الفوتي وابنه أحمدو وتوفي بسيكو في دولة هذا الأخير، له مؤلفات كثيرة منها في التاريخ «فتح الرب الغفور في ذكر تواريخ الدهور»، انظر مقدمة تحقيق سيد أحمد ولد أحمد سالم لتاريخ ابن طوير الجنة ص: 19.

ضمن قصيدة طويلة سماها «شمس القصائد الغرر في تهنئة الحاج عمر»:

ولما استويت اشتد كاهل ديننا بساعدك المقرون باليمن والقهر
فأحييت رسما دارسا من علومه و شيدت بنيان الخلافة في قصر
وجاهدت في مولاك حق جهاده فقمت بأمر الله منشرح الصدر
فأصبحت مخصوصا بحسن سياسة تساعدها الأقدار بالفتح والنصر
قد اكتنفتها حدة عمرية تشاب بعطف مثل عطف أبي بكر

ومن نتائج جهاده أن أصبح الفرنسيون يعتبرون اَتكارير أشد الأعداء للاستعمار فيصفونهم بالمتعصبين الدينيين Fanatiques كما ورد في كثير من تقاريرهم العسكرية فبمجرد أن يكون المرء تكروريا يتعامل الفرنسيون معه بحذر وعدم اطمئنان.

وكان الحاج عمر بعد تغلبه على مملكة سيقو قد ولى ابنه الأكبر أحمدو عليها وأعلنه ولي عهده فلما توفي بويع ابنه أحمد خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين ببلاد المغرب. ويلاحظ في ذلك مدى طموح وحضور الوحدة الاسلامية في أذهانهم إذ يتكلمون عن المسلمين ولم يقولوا فوتا أو التكرور أو إفريقيا الغربية إلا أن هذه الدولة الكبرى لم يستطع أبناؤه الحفاظ عليها[1] فخمدت ولو لحين الروح الجهادية لدى التكرور فلم يقم أحد من أبنائه باستكمال جهاده ضد الفرنسيين بل اكتفوا بمناجزة ما تبقى من فلول بنبارة داخل مملكة كارته ودبت الخلافات بين أبناء الحاج عمر مما سهل سقوط عاصمتهم سَيْقُو التي كانت تحت قيادة مدني بن أحمدو بن الحاج عمر الفوتي في يد العقيد أرشنار Colonel Archinard في السادس من إبريل سنة 1890م.

أما الأمير أحمد الذي كان يومها في انيورُو فقد هاجم الفرنسيين

(1) انظر خريطة دولة الفوتي في كتاب Robinson . مصدر سبق ذكره، ص: 233.

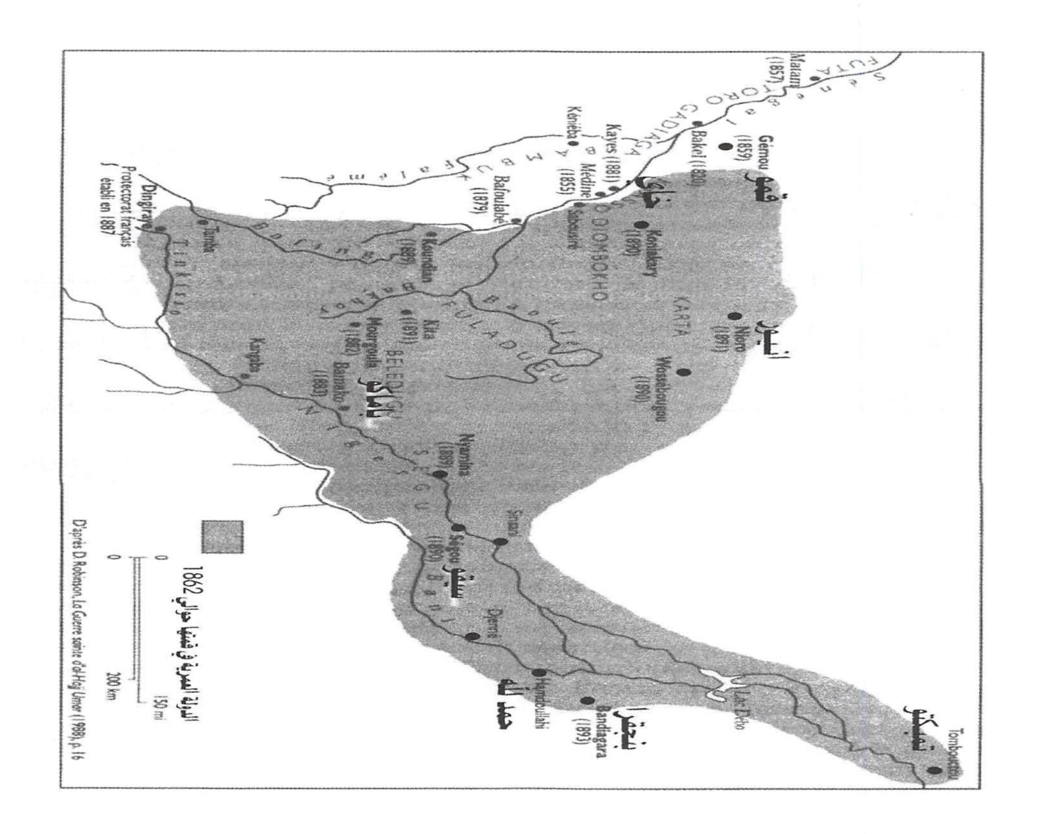
وحاصرهم في مدينة كونياكاري إلا أن المدفعية اضطرته إلى رفع الحصار فرجع إلى انيورو[1] وبعد معارك مريرة سقط معقله الأخير مدينة انيورو 1891م فتوجه إلى منطقة بنجقرا حيث ضريح والده الحاج عمر تال.

ويذكر الفرنسي بول مارتي أن مخيمات من أولاد الناصر ومشظوف كانت ترعى في منطقة انيورو هي التي وفرت لأحمدُو المأوى وساعدته على الوصول إلى مأمنه[2]. وبعد مدة أمضاها في بنجقرا ارتحل إلى السوكوتو بلاد أمه حيث شارك في جهادهم ضد الإنجليز حيث توفي رحمه الله سنة 1898م[3].

(1) Valbert: Le Sultan Ahmadou et la Campagne du Colonel Archinard dans le Soudan Français. In: Revue du monde musulman. n° Nov Dec paris 1890. pp 675– 686.

(2) مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة احتلال فرنسا المنطقة تعريب محمد محمود ولد ودادي دار السراج بيروت 2005 . ص: 94.

(3) ابو بكريا: مرجع سبق ذكره. ص 111 إلى 116.



الدولة العمرية والاحتلال الفرنسي للمنطقة

2- ممدو لَمِينْ ادْرَامَي (1840- 1887م) Mamadou Lamine Dramé

ولد ممدو الأمين ادرامى حوالي سنة 1840م في قرية ڤونديورو الواقعة على مسافة 8 كم جنوبي خاي[1]. وهي قرية تحدثنا عنها المراجع القديمة بكثير من المآثر، حيث يذكر القاضي محمود كعت التنبكتي في كتابه «تاريخ الفتَّاش»: «أن ڤونديورو بلد قاض الإقليم وعلمائه لا يدخلها جندي ولا يسكنها أحد من الظلمة إلا سلطان كياك يزور علماءها وقاضيها في شهر

(1) Bathily (Abdoulaye): Mamadou lamine Dramé et la résistance anti-impérialiste dans le Haut-Sénégal (1885-1887). In : Notes Africaines , dakar , Juin 1970. p 22.

رمضان من كلٍّ عام على عادتهم القديمة بصدقاته وهدياته ويفرقها عليهم وإذا كانت ليلة القدر[1] يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه يحملها وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيما لهم[2]».

نشأ ممدو في بيئة علمية، حيث كان والده عالما وقاضيا ودرس عليه في بداية حياته قبل أن ينتقل إلى مدينة بَكّل لإتمام دراسته حيث التقى حسب بعض الروايات بالحاج عمر عند ما مر هذا الأخير بها سنة 1847م.

وساهم ادرامي في شبابه في غزوات قام بها بعض قومه ضد مدينة كامو التي كان يقطنها بعض الوثنيين من المالنكى فقبض عليه وسجن مدة ثم أفرج عنه.

وفي 1860م خرج قاصدا الحج ولبث في الحجاز بضع سنين وبه أتم وعمق دراسته الشرعية. وقد زار في رحلته المشرقية القاهرة والقسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية[3].

وفي سنة 1878م، نزل محمّد الأمين في طريق عَوْدته من الحجّ في مدينة سَيْڤو ووقع سوء تفاهم بينه وبين السلطان أحمدٌ بن الحاج عمر فألقى عليه القبض وسجنه إلا أن الأمير مَدَنِي بن أحمدو الذي كان يتعاطف معه في السر انتهز فرصة سفر أبيه إلى انيورو وأطلق سراحه.

(1) المقصود ليلة 27 من رمضان إذ جرى العرف بين الناس في المغرب الإسلامي على اعتبارها أكثر الليالي حظا في مصادفة ليلة القدر، وهي ليلة ختم القرآن الكريم.

(2) القاضي االفغ محمود كعت بن الحاج المتوكل التنبكتي : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس نشر دلافوس مدرس اللغات السودانيات باريس 1981م. ص 179- 180.

(3) Bathily. Opcit. p. 22.

ومن ذلك التاريخ، انتدب محمد لمين ادرامى نفسه لإحياء عهد الحاج عمر وإقامة دولة على غرار الدول الإسلامية التي عرفتها المنطقة من قبل[1].

ولما وصل ممدو الأمِين ادرامى، في صحبة أهله وطلبته إلى قريته فونديورو في شهر يوليو 1885م، وجد صيته قد سبقَه ووجد الناس مستبشرين بمقدمه كما تلقاه ملك الخاصو، دُيُوخَا صَمْبَالا بالإجلالِ والتعظيم[2]. ويذكر فيديرب أن ما حظي به ممدو الامين ادرامى من الاستقبال الشعبي أثار مشاعر الريبة لدى الفرنسيين فاستدعوه وحققوا معه ولكنه تظاهر لهم بالمسالمة والموادعة حتى خلوا سبيله بضمان من صمبالا ملك الخَاصو الذي كان يحسب من بين أهم منصاريهم.[3]

وفي شهر ديسمبر 1885م، قام ممدو الأمين بجولة واسعة في منطقة بَكّل، ألب فيها السكان على الفرنسيين بشكل غير مباشر وحمسهم تأهبا لتطبيق مشاريعه الجهادية ضد الوثنيّين وضد الفرنسيين.

وفي مطلع 1886م أعلن لأنصاره المجتمعين في قرية جاورا، أنه قد قرر جهاد مملكة تندا الوثنية وفتح عاصمتها كامو. ولما كانت هذه المملكة وراء مملكة البندو المجاورة لبلاد ممدو لمين، فقد أرسل إلى ملك البندو يستأذنه في المرور من بلاده، للتوجه إلى مملكة التندا. وكانت مملكة البندو قَد فقدت لتوها في شهر ديسمبر 1885م ملكها بوبكر سعدا أحد كبار حلفاء الوجود الفرنسي في المنطقة ودخلت في صراعات دامية بين أخي الملك وابنيه المتنافسين على سدة الحكم. وبإيعاز من الفرنسيين، رفض عمر بَنْدَا أن يأذن لمدو الأمين بالمرور من بلاده.

---

(1) Bathily: Opcit. p. 22.

(2) Ibidem.

(3) Faidherbe: La France dans l'Afrique Occidentale. Paris. Hachette. 1889. p 421.

وردا على هذا الرفض الذي استهجنه أكثر سكان البندو نظرا للعداء القديم بينهم وبين مملكة التندا، أعلن ممدو الأمين ادرامى في يناير 1886م الجهاد ضد مملكة البندو وهاجم عاصمتها مدينة بولي بانه Boulébané، واضطر عمر بندا إلى الفرار إلى بَكّل حيث دخل في حمى الفرنسيين الذين ساروا إلى قنديورو قرية ادْرامي في فيدي ماغه وألقوا القبض على 34 شخصا ونقلوهم إلى خاي يوم 13 مارس 1886م[1].

بعد هزيمته لجيوش ملك البندو، نزل محمد الأمين بقرية فونقل غير بعيد من بَكّل فأرسل إليه الرائد فري Frey قوة قوامها 87 رجلاً تحت قيادة النقيب لجولي Lejoly إلا أن المترجم ألفا سَيْكا[2]، أخبره بقدومها فأوقعها في كمين عند فونقل يوم 14 مارس 1886م فلم ينج منها إلا القليل.

وكان لهذه المعركة صدا واسعا في أرجاء بلاد السوانك وما حولها وبدأ صيت ممدو لمين من جرائها يرتفع بشكل شبه أسطوري[3].

بعد هذه المعركة، حاصر محمد لمين مدينة بَكّل التي كانت حينها العاصمة الاقتصادية للوجود الفرنسي في منطقة النهر الأعلى. ورغم مناصرة جزء كبير من أهل المدينة له، لم يتمكن ممدو الأمين ادرامى من دخولها بسبب المدفعية الفرنسية التي اضطرته إلى رفع الحصار في 4 ابريل 1886م[4].

توجه محمد الأمين بعد هذا الحصار، إلى مدينة خاي حيث أتاه نبأ ما

---

(1) Bathily: p 24.

(2) Faidherbe: Opcit p 424.

(3) Cpt Etienne Péroz : Au Soudan français. Souvenirs de guerre et de mission. : Ed : Clement Lévy. Paris 1889. p65.

(4) Bathily: opcit. p 25.

قام به الرائد افْريْ Frey من أعمال نهب وحرق للقرى والمكتبات الأهلية في فيدي ماغه فما كان منه إلا أن انقض على الفرنسيين في تمبوكانة فكبَّدَهُم خسائر من دون أن يخرج بنصر بين.

بعد هذه المعركة، قرر محمد الامين ترك المواجهة مؤقتا وأبقى بعض جنده بقيادة ابنه صهيب وانطلق هو تجاه الجنوب لعله يعود منتصرا فيأخذ الفرنسيين بين جيشه جنوبا وجيش ابنه شمالا[1].

ولقد كان الفرنسيون على علم بما يخطط له فما إن خرج قاصدا مملكة البندو من جديد حتى وجد نفسه تحت وقع مدافع الفرنسيين وحلفائهم من ملوك البندو.

فقد المرابط ممدو الأمين في هذه المعركة كثيرا من قوته وغنم الفرنسيون مكتبته التي كان يحملها في أسفاره عشرة رجال[2]. فسارع إلى الجنوب وتغلب على عاصمة البندو ليحول بين الفرنسيين وبينها. لكن الفرنسيين بقيادة افْرَيْ رجعوا إلى منطقة فيدي ماغه وأخذوا يذيقون أهلها من السوننكه أشد العذاب نهبا وقتلا.[3] وأخذوا يشدون الخناق حول محمد لمين ادْرَامَى فبدأوا بإحاكة العَداوة بينه وبين أحمد بن الحاج عمر ثم تحالفوا مع الألمامي عبدول بوكار كان، ملك فوته طورو ووعدوه وعودا شفوية خدعوه بها حتى أرسل معهم ألفي مقاتل استخدموهم في نهب وحرق قرى فيدي ماغه ومكتباتها.[4] ولربما كانت إعانة الألمامي عبدول بوكار كان للفرنسيين ضد الامين ادرامى تعود إلى روابط المصاهرة بينه وبين ملك

---

(1) Bathily: ibidem.

(2) Faidherbe Opcit. p 429.

(3) يذكر فيديرب أن عدد الذين هلكوا من سكان فيدي ماغه جراء الحملات الفرنسية إبان حركة الأمين يربو على 3000 نسمة. انظر المرجع السابق، ص: 431.

(4)(Bathilly: opcit. p 26.

البندو عمر بندا[1]. وينقل باتيلي عن اَفْرَيْ كلاما يصف فيه مشهد قرية ڤانيي Gagny وهي تحترق حيث يقول: «من هذه النار المتقدة تتصاعد ألسنة اللهب ذات الألوان المختلفة تتلوى هنا وهناك، كأنما هي ثعبان من النار عظيم، في حين تنعكس تلك النار في مياه النهر بأضواء مشؤومة، بألوان الدم القاني، ومن قرية ڤانيي السوننكية الثرية، عن قريب لن يتبقى إلا جدران الأخصاص المسودة من أثر النار»[2].

أما ممدو الأمين ادْرَامَى فقد توغل إلى الجنوب في بلاد البندو محاولا في أواخر يوليو 1886م أن يعيد الاتصال بابنه صهيب إلا أنه رغم انتصاره على عمر بندا ملك البندو وقتله له لم يتمكن من القيام بذلك لوقوف الفرنسيين دونه.

أصبح محمد الأمين يسيطر في الجنوب على منطقتي البندو والدياخه بينما يسيطر ابنه على الجافنو في الشمال ولعل هذه أكبر رقعة أرض ملكها في آن واحد.

وحاول الفرنسيون بقيادة غاليني Gallieni أخذ الأمين على غرة إلا أنه أعلم بذلك فاستطاع النجاة بجيشه ورجع غاليني خائبا.

أما في ولاية الجافنو في الشمال فقد كانت الأمور تجري على غير ما يشتهيه لمين إذ اغتنم أحمدو بن الحاج عمر خلو الجو له فهاجم صهيب بن ممدو الأمين ادْرَامَى وحاصره في ڤورَيْ أربعة أشهر أو تزيد قبل أن يتمكن صهيب ونفر معه من التخلص والهروب نحو النهر. إلا أن أحمدو بن الحاج عمر الفوتي بادر فأخبر الفرنسيين

(1)) Ibrahima Abou Sall: Mauritanie du Sud. Conquêtes et administration coloniales françaises 1890-1945. Paris. KARTHALA. p 123.
(2)) Bathily: p 26.

فرصدوا له وقبضوا عليه وأعدموه.

ويروي المؤرخون الفرنسيون أنه لما سأله قاضي المحكمة العسكرية إن كان لديه ما يقوله قال: أشكر العقيد (يقصد افْري) إذ قتلني بسلاحه فلم يحرمني جنة ربي[1].

ألقى استشهاد صهيب الحزن في قلب أبيه وأضعف من شوكة المقاومة في منطقة فيدي ماغه إلا أن محمد الامين سرعان ما تماسك وعضد ملكه بإضافة بلدان إليه مثل منطقتي أعلى نهر غامبيا و سالوم وما جاورهما.

توجه محمد الأمين في هذه المرحلة إلى الملوك المسلمين مثل عَاقِبُ بن الشيخ عمر والألمامي عبدول بوكار كان لإقامة تحالف ضد الفرنسيين. كما حاول ربط علاقات مع الإنجليز في غامبيا ، لاقتناء السلاح.

لم تؤت هذه الحركة السياسية الدبلوماسية نتائج تذكر لأن الإنجليز كانوا قد اتفقوا مع الفرنسيين على عدم بيع السلاح لأعدائهم[2].

وفي 9-12-1887م استيقظ المجاهدون في توبا كوتا الواقعة جنوب نهر السنغال على صوت المدافع الفرنسية بقيادة النقيب فورتين Fortin تدكهم من أعلى الجبل فبادروا إليها في اندفاع بطولي لا نظير له حتى كادوا يزيلونها. وقد استشهد قادة الجيش الإسلامي فأوهن ذلك المجاهدين. نجا محمدُ الأمين ادرامي ونفر من بقية تلامذته على صهوات جيادهم نحو الغرب ولكن الفرنسيين ألقوا القبض عليه بمعونة بعض شيوخ القرى بعد إصابته بجرح استشهد على إثره رحمه الله يوم الحادي عشر من دجمبر 1887م[3].

---

(1) Gallieni (Joseph Simon): Deux campagnes au Soudan français, 1886-1888, Paris, Hachette, 1891. p184.

(2) Bathily: p 27.

(3) Bathily: p 28.

والخلاصة أن طموح محمَّد الأمين ادْرَامَى كان كسابقه الحاج عمر هو إقامة دولة إسلامية كبيرة إلا أن أمورا كثيرة حالت دون تحقيق مآربه:

1. يتضح من خلال القراءة التاريخية للأحداث أن إدْرَامَى لم يَكن ذي خبرة بالسياسة فلم يستطع أن يعضِّد حركته المسلحة بدبلوماسية تضمن له عون ومساعدة الممالك الإسلامية في المنطقة[1].

2. لم يعر محمدُ الأمين ادرامي الوجود الفرنسي في حساباته أي اهتمام وظل يدير سياسة ما قبل الوجود الفرنسي ولم يدرك أن فرنسا لن تسمح بوجود قوة أو نظام إسلامي معاد في بلاد تخطط لاستعمارها.

3. لم يكن ملوك المنطقة المسلمين على قدر من الوعي والفهم كافيين لإدراك السياسة الفرنسية فظنوا أن محمد الأمين ادرامي هو الخطر الأكبر وأغفلوا الخطر الحقيقي الذي كان يخطط ليأخذهم الواحد تلو الآخر. ما إن سقط ممد الأمين حتى دبر الفرنسيون سقوط الألمامي عبدول بوكار كان. وقد أتبعوا ذلك بأخذ انيورو عاصمة مملكة أحمدو بن الحاج عمر في نفس السنة 1891م.

4. يبدو أن محمد الأمين ادرامي كان ينتمي إلى الطريقة السنوسية[2] في حين أن أكثر أهل المنطقة ينتمون إما إلى القادرية وإما إلى التيجانية ولعل هذا العامل الطرقي مما حال بين اتحاد مختلف القوى المناهضة للفرنسيين حوله رحمه الله.

---

(1) Bathily: p32.

(2) أشار إلى ذلك فيديرب في المرجع السابق. ويحاول فيديرب أن يبني على هذا الانتماء وجود علاقة سياسية بين ادراميه وبين السنوسية في منطقة الصحراء الوسطى.

للتأكد من انتماء ممد لمين ادارمي للطريقة السنوسية انظر: ولدبية (محمد المحجوب): القاومة السوننكية للإستعمار فى فيدي ماغة. ستجد أن أكثر شيوخ قبيلة ادرامي من الطريقة السنوسية.

3-الساموري توري (1830- 1898م):

لم تحظ مقاومة إفريقية بما حظي به جهاد ساموري توري من اعتناء المؤرخين سواء الفرنسيين والأفارقة؛ بل إنه أصبح في الخمسينيات من ق 20 رمز المقاومة أجمعها في المنطقة. فخصصت له كتب تحدثت عن سيرته وجهاده بإسهاب. ولم تخل هذه الكتب في الغالب من أسلوب الأدلجة للاستغلال السياسي لاسمه كما فعل الرئيس الغيني سيكو توريه الذي انتسب إليه. ولعل أحسن ما كتب عنه وأوفاه يظل كتاب «الساموري توري: ثورة جولات» للباحث الفرنسي إيف برسون Yves Person الصادر سنة 1968م. وكذلك كتاب «الألمامي ساموري توري» للغيني خليل فوفانا الصادر سنة 2000م.

ولد الساموري توري سنة 1830م في أسرة من جولاة[1] وهم قبائل التجار المسلمين المتنقلين في الغرب الإفريقي، إلا أن بيئته كانت ذات طابع تقليدي غالب. عرف الساموري في شبابه بالفتوة والبسالة. وقد اختطفت قبيلة السيسى Cissé المالنكية[2] المحاربة أمه واسترقتها فتقدم لفدائها وخدم في جيش السيسات مدة سنتين. وهما سنتان يجمع المؤرخون على أنهما أثرتا كثيرا في تكوين شخصية الساموري المحاربة.

ظل الساموري بعد عودته إلى قومه يزاول حياته العسكرية بالحكمة والحنكة التي نال من مقامه مع السيسات. وبدأ نجمه يعلو حتى استطاع أن يخضع شعوبا كثيرة لسلطانه.

ولم يكن الساموري أول أمره يصدر في أفعاله عن شرعية دينية بل

---

(1) Béchet (Eugène): Cinq ans de sejour au Soudan français. Ed : Lib Plon. Paris.1889. P :180.

(2) ليست هذه الأسرة هي أسرة سيسى السوننكية التي تنتمي إلى حملة العلم.

كان نظامه قائما على العصبية والغلبة. وقد قضى في هذا النهج ردحا من الزمن حتى كان لقي الشريف صدّيقُو وهو عالم ذائع الصيت في بلاد الماندنق[1] فتعلم على يده القراءة والكتابة ومبادىء العلوم الإسلامية. وعلى يده أصبح إماما لدولة إسلامية جابهت المستعمر الفرنسي أكثر من 18 سنة مجابهة هي باعتراف الفرنسيين أقسى المقاومات وأعنفها.

وكانت أول مواجهة بين الساموري وبين الفرنسيين في فبراير سنة 1882م عندما هاجمته قوة تحت قيادة دبورنيس دبورد De Borgnis des Bordes ولكن النصر كان حليف الساموري الذي كان إذاك في قمة قوته[2]. ويحدثنا النقيب بيروز Peroz الذي زاره في تلك السنة لمفاوضته أن حدود مملكته كالتالي:

- في الغرب: جمهورية ليبريا والمستعمرة الإنجليزية سيراليون ومملكة الفوتة جالون.
- في الشمال الغربي: نهر النيجر بينه وبين بلاد الأمير عاقِبُ بن الحاج عمر تال.
- في الشمال: بلاد أحمدو بن الحاج عمر.
- في الشرق والجنوب: دولة القائد اتيبّه Thiebe[3].

كما ذكر Peroz أن جيشه مكون من 35000 من المشاة و30000 من الفرسان. أما سلاحه فلم يكن يتجاوز 6000 بندقية عندما قبض عليه

---

(1) ذريته بغينيا لها سعي وجهاد في سبيل الإسلام والعربية. انظر :

Kaba (Lansiné): Cheikh Mouhammad Chérif et son temps. Islam et société à Kankan. 1874-1955. Ed : présence africaine. paris

(2) M, BAYE GUEYE ET ALBERT ADU BOAHEN., «Histoire generale de l'Afrique volume vii u n e s c o 1987 p 148.

(3) Faidherbe: Opcit. p 455.

الفرنسيون سنة 1898م لم يكن مع الساموري أي مدافع ثقيلة. وهو نقص ظل جيش الساموري يعاني منه طيلة جهاده.

كانت تتخلل حروب الساموري ضد الفرنسيين فترات من الصلح ما يفتأ أحد الطرفين أن ينقضها متى أمكنته الفرصة. ولقد استطاع الفرنسيون أن يؤلبوا على الساموري بعض أهل بيته وأطمعوهم فيه فثاروا عليه تحت قيادة أحد أبنائه ولكن الساموري هزمهم وقتل ابنه الثائر.

وفي فترة تراجع ومفاوضات، دل بعض أصحاب الساموري الفرنسيين على غِرَّته فهجم عليه فورو وقت القيلولة في قلمّو Guelemou يوم 29 سبتمبر 1898م بينما جيشه متفرق في القرى المجاورة فقبض عليه ونفي إلى الغابون حيث استشهد مسموما حسب بعض الروايات.

وقد مثلت هزيمة الساموري وانحلال دولته العظيمة التي لقب بسبب اتساعها بنابليون إفريقيا نصرا بارزا للمستعمر الذي حاز بذلك ومن غير ما قتال حاسم ممالك ودولا كثيرة وحصد جهد الساموري وعناءه. ويرى المؤرخون أن مصدر ضعف هذا المجاهد كان قلة سلاحه عموما وافتقاره للمدفعية خصوصا. ولقد كان الإنجليز في أول الأمر يبيعون له السلاح في السيراليون قبل أن يمتنعوا من ذلك تحت الضغوط الفرنسية.

خامسًا: سياسة فرق تسد

أمام ضربات المقاومة الوطنية الإسلاميّة الإفريقيّة في غرب القارة، عمل قادة الاستعمار بكل الوسائل السياسية والثقافية على تشتيت جهود المقاومين وشق عصاهم والفت في عضدهم منتهجين سياسة «فَرِّقْ تَسُدْ» وذلك بترويج الأفكار المعادية للإسلام ورواده وزرع روح العنصرية لأول مرة في إفريقيا. إن منشأ العنصرية في إفريقيا هو الدراسات الأوروبية حول علم الأجناس والعنصر فهي كما تقول الباحثة الأنتروبولوجية مارياالاَّ فلازنت

سرفلوMariella vilasante Cervalloلم تكن معروفة قبل ذلك. وتضيف ماريالا أن أول من استخدم الألفاظ الشعبية الساخرة ضد البيضان وجمعها ونظرها ونشرها وأدخلها في علم الاجتماع العنصري الاديولوجي هو فيديرب، للتفرقة بين البيضان والولف في السنغال بغية خلق أرضية سياسية تنطلق من العنصرية ضد البيضان[1]. إن التحليل الاجتماعي القائم على الطرح العنصري والعرقي تحليل زائف يقف بين المرء وبين معالجة الأمور معالجة قويمة، فأغلب الأزمات والصراعات وإن اكتست طابعا قوميا هي عند النظر والتأمل السليم تعود إلى صراع بين طرفين ثابتين طرف المستغِلّ وطرف المستغَلّ، بغض النظر عن انتماءاتهما[2].

ولم يأل بول مارتي Paul Marty وروبير أرنو Robert Arnaud وجيل بريفيه Jules Brévié وغيرهم من إداري الاستعمار أي جهد لتفرقة صف المسلمين ومحاربة تقدم الاسلام في إفريقيا. وهكذا نجح المستعمرون في دفع بعض كتاب الحركة الزنجية إلى الزيغ بحركتهم عن توجهها الأصلي

---

(1) Villasante Cervello (Mariella): La Negritude: une forme de racisme héritée de la colonisation française. Réflexions sur l'idéologie négro-africaine en Mauritanie. In: Le Livre noir du colonialisme XVI – XXI siècle: de l'extermination à la repentance. Sous la direction de Marc Ferro. Hachette Literrature. Collection Pluriel. Ed: Robert laffont Paris. 2003 .P : 998-999.

(2) Hamid El Mauritany (Mohamed ould cheikh ould ahmed Mahmoud): «L'indépendance» ...néo-coloniale. Mauritanie, Combattre pour l'indépendance et le socialisme. Paris 1974. p128.

- ومن المفيد كذلك للاطلاع على الواقع الموريتاني في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي مراجعة كتاب الدكتور محمد ولد عبدي: ما بعد المليون شاعر، دراسة نقدية 1946-1996م. إصدارات دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة 2000م. ص ص: 150- 160.

كحركة فكرية سياسية أدبية تحررية مناهضة للاستعمار إلى التطرف العنصري حتى صار بعضهم يرى أن الاسلام كان استعمارا ثقافيا شأنه في ذلك شأن الفرنسية وغيرها من الثقافات الاستعمارية وينفي ببعض «الهستريا» أي مكانة للأفارقة في الاسلام. بل إن بعضهم ذهب إلى أكثر من ذلك، فهذه المثقفة الغينية آمنتا باري Aminata Barry تربط بين التخلُّف الاقتصادي لإفريقيا وبين ما تسميه الحركة «الوخيمة» للدعاة العرب. إن هذا الزعم مغالطة فادحة وخير دليل على بطلانه ما أتينا به في هذا الكتاب من نماذج مشرقة للمقاومة الوطنية الإسلامية وقيام المماليك الإسلامية المزدهرة والتي لم يفقد أهلها في يوم من الأيام سيادتهم ليتولاها العرب ولا أحسوا بأنهم قد فقدوا ثقافتهم بل كانت كلها نتيجة لنضوج فهم الأفارقة للاسلام. الذي يتجلى من خلال منافسة كل قبيلة منهم للأخرى في رفع رايته. ولم يكن ذلك العمل مسلحا فقط بل ألفوا كتبا كثيرة تدل على اندماجهم في هذه الحضارة وبرز منهم علماء أجلاء ومؤرخون عظماء بل وأدباء بالعربية لم ينسهم التاريخ[1]. فذاك عالم السكوتو دان عثمان فوديو ما ترك بابا إلا وكتب فيه. وهذا الشيخ موسى كمرا[2] صاحب التآليف القيمة في التاريخ والأدب. كما أن المرابط الحاج عمر الفوتي قد ألف كتبا كثيرة: منها في الدفاع عن التيجانية، كتاب الرماح، وفي الدفاع عن حربه ضد لمرابط الشيخ أحمدُ ابن أحمدُ سلطان ماسنه كتاب «بيان ما وقع». وكذلك ألف محمد الأمين ادراميه كتابا في مسألة قصر الصلاة للمجاهد. والأمثلة كثيرة يطول ذكرها. والحق أن اللغة العربية لم تكن عند مسلمي غرب إفريقيا متعلقة بعرق أو جنس بل هي في نظرهم لغة دينهم الإسلامي.

(1) أبوبكر خالد با: مصدر سبق ذكره.

(2) له ذرية معروفة في موريتانيا.

ولذا لا نستغرب حين نجد السيد جاوار صار ممثل موريتانيا في المجلس الاستشاري لغرب إفريقيا، يثمن سنة 1949م تعليم اللغة العربية في مدارس إفريقيا الغربية ويطالب البرلمان الفرنسي بدعمه والاعتناء به؛ موضحا الأسباب الدينية والوطنية التي دفعته إلى هذا الموقف. ولأهمية هذا الخطاب واستحسانا لبلاغته ارتأينا أن ننشره في الملحق رقم 6 من الكتاب مع ترجمته إلى العربية.

ولقد تسنى لكثير من لغات السودان أن تلج مجال الكتابة باستخدام الحروف العربية[1]. لكن الكثير من تلك المؤلفات ضاع لأسباب مختلفة. ومن أمثلة ما جرى لها أن الفلان وأهل ماسينة عموما لما عزم الحاج عمر الفوتي على قتالهم اخرجوا كتبهم واودعوها لدى شعب الدوغون les Dogons المجاور لهم وهو شعب وثني في أغلبيته لا يحسن الكتابة والقراءة فضاعت كل تلك الكتب، ولقد تسبب كذلك ترحيل الرائد الفرنسي Archinard لما بقي منها إلى باريس في قطع الأجيال الجديدة عن أسلافها[2]. وسبق أن ذكرنا ما فعله Frey بقرى ومكتبات ڤيدي ماغة.

ومع هذا فمن الأفارقة منصفون لم تجرفهم التيارات الاستعمارية كالبركينابي كي زوربو Ki.zorbo والكاميرونية اكسل كابو والأديب المالي الكبير أحمدو هامباتي با... بل وإن الكثير من الكتاب الغربيين أنصفوا الإسلام واعترفوا بما قدمه لإفريقيا. وقبل هؤلاء كلهم يمثل موقف الزعيم الليبيري إدوارد بليدن Blyden Edward من الإسلام قمة في الإنصاف فقد قرر تدريس العربية في المدارس والجامعات الليبيرية كما

(1) كان البلاري كبل عالي جالو رحمه الله مجاهدًا في هذا السبيل حين كان المسؤول في السبعينات عن كتابة البلارية بالحرف العربي في المعهد الموريتاني للبحث العلمي.

(2) توجد هذه الكتب في قسم أرشنار بالمكتبة الوطنية بباريس: Fond Archinard à la BNF.

استطاع إقناع جارته سيراليون بإدراج التعليم الإسلامي في مقرراتها(1).

ويقول الأنجليزي بوسورث سميث Bosworth smith إن الإسلام هو الذي أعطى للإفريقين نظام الدولة فالإمبراطور المالي نفسه وهو على رأس إقليم مستقل لم يجرأ على ادعاء رتبة ملك الملوك (المانسا) إلا باعتناقه الإسلام. ومثل هذا في الألماميات بالفوته طورو والفوته جالون والماسينا. ويلاحظ اليوم أن بلدان غرب افريقيا التي تمكن منها الاسلام تقل فيها الحروب الأهلية الهمجية بشهادة الدوائر الغربية نفسها. ويذكر المؤرخون أن من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار الاسلام في إفريقيا نشاط الدعوة الذي قامت به قبائل الفلان والهوصا والماندنغ التي امتازت بالحماس لدينها. كما أن سهولة التزاوج بين الأجناس المختلفة من الأفارقة والعرب والبربر ساعدت على نمو المجتمع الاسلامي. إلا ان ذلك الازدهار تأثر بحروب طاحنة، كحروب دويلات الطوائف في الأندلس وهي حروب جعلت كل دولة إسلامية في هذه المنطقة من إفريقيا تحاول القضاء على الأخرى مما خرب الدول كلها وسهل دخول الاستعمار الغربي لها.

وبعد تسريب الكثير من المكتشفين كما بينا آنفا إلى ضفة النهر الشمالية وعقد العديد من الاتفاقيات مع هذا الأمير أو ذاك وتشجيع الفتن بين القبائل وحتى بين أفراد العائلة الأميرية الواحدة وضرب هذا بذاك وكسب بعض كبار الوجهاء في شمال الوالو (بلاد شمامه)، بدأ الاستعمار الفرنسي يستعد لعبور النهر إلى البلاد الموريتانية لاحتلال كامل المنطقة.



(1) أورينو دالارا: نشأة التيار الأفريقاني. ترجمة هيثم اللمع. سلسلة دراسات أفريقية. ص 213-214.

الجزء الرابع

احتلال موريتانيا

أولا. الموجة الثانية من الرحالة

رغم أن فيديرب قال إنه يعتقد أن لا جدوى من احتلال شمال النهر وإن الوجود الفرنسي في شمال الصحراء وجنوبها سيؤدي إلى تلاشي المجتمع البيضاني وذوبانه شيئا فشيئا في ما جاوره من الشعوب إلا أن معرفة بلاد البيضان شمال النهر كانت من أول الأهداف التي عزم على إنجازها كما ذكرنا آنفا[1].

ولهذا، ما إن وضعت الحرب بينه وبين اترارزه أوزارها سنة 1858م حتى بدأ إرسال وتشجيع الباحثين لعبور النهر. وكانت موازين القوة بعد 1858م هي التي شجعت الفرنسيين على الدخول إلى أراضي ظلوا حتى ذلك التاريخ لا يعرفون عنها إلا القليل. وهكذا توالى الرحالة الفرنسيون على بلاد البيضان شمال نهر السنغال.

• في سنة 1859م، كلف فيديرب السيدين فلكران Fulcrand[2] و أوب Aube[3] باستكشاف منطقة آرڤين و بورتنديك (ميناء هدي أو ميناء تندغة). ورأس آمريڤ[4] Cap Timiris.

---

(1) انظر مقال فيديرب المطول:
L'Avenir du Sahara et du Soudan. In: Revue Maritime et Coloniale. (T.8). Paris : 1863

(2) نشرت رحلته في المجلة البحرية والاستعمارية:
Revue maritime et coloniale. Paris. Janv Juin 1861. p 495 et suivantes.

(3) نشر النقيب أوب معلومات عن الساحل الموريتاني في مجلة البحرية الاستعمارية
Revue maritime et coloniale. Paris. Mai à Juillet 1872. p 470 et suivantes

(4) آمريڤ مفرد إيمراڤن، وهو الصياد باللغة الصنهاجية. وفي أزوان شور يدعى آمريگ وشاهده عند بعضهم قول الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

• في سنة 1860م، توالت البعثات التالية على أرض البيضان شمال النهر.

• فى مارس سنة 1860م، قام النقيب فينصانHenri Vincent بصحبة بوالمقداد دُودُو سَكْ كاتب قاضي اندَرْ ، برحلة إلى آدرار وزار سبخة كدية الجل والمراسي القديمة على الشواطئ الموريتانية. ولما حاول دخول أطار ألقى الأمير أحمد ولد عيدّه القبض عليه بتهمة التجسس وسجنه لمدة 27 يوما ثم أطلق سراحه(1).

• فى يونيو سنة 1860م، قام ضابط البحرية بورل Bourrel برحلة إلى لبراكنه صاحبه فيها السنغالي عليون صال. وبعد رجوع بورل Bourrel إلى اندَرْ واصل عليون رحلته متجها إلى تنبكتو فزار النعمه وولاته وأروان. وفي طريق عودته، ألقى بعض أنصار الحاج عمر القبض عليه في باسكنو بالحوض الشرقي ولكن قبيلة أهل الطالب مصطف أنقذته منهم. ولا نعرف سببا لذلك ولعله ما زعمه من انتماء للإسلام وكونه كان قبل ذلك ضيفا عندهم كما ذكر مارتي. ولم تفعل هذه القبيلة ذلك ولاء لفرنسا إذ يذكر بول مارتي أنها اغتالت جنديين من جنود المستعمر في سنتي 1902 و 1903م(2).

• قام ضابط البحرية الفرنسي ماج Mage في 9 ديسمبر سنة 1860م،

---

(1) نشرت رحلته تحت:

_ Vincent (Henri): Voyage d'exploration dans l'Adrar. In: Revue Algerienne et Coloniale. Hachett, Paris, Juillet-décembre 1860.

للمزيد حول الرحلات الاستكشافية انظر:

GILLIER, Cdt b., 1926, «*La pénétration en Mauritanie,*»Paris, Geuthner.p.p 67.99.

(2) مارتي (بول) القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة. تعريب: ولد ودادي (محمد محمود) ص: 211، مرجع سبق ذكره.

بمهمة لدى أمير تفانت بكار ول اسويد أحمد.

- طلب السنغالي دودو سك الملقب بو المقداد من الحكومة الفرنسية الإذن بالحج سنة 1860م، فأذن له قصد التقوي به في مواجهة المشايخ الثائرين واستغلال هالة التقديس التي كان يتمتع بها الحاج لدى الشعوب الإفريقية المسلمة. مر بو المقداد في طريقه بالمناطق الغربية والشمالية الموريتانية، ودون ملاحظاته التي تكمل في جلها رحلته السابقة الذكر مع الفرنسي فينصان.
- وفي سنة 1879م، حاول پول سوليليه Paul Solleilet أن يمر من ألاق إلى آدرار ولكن أولاد ادليم اعتقلوه ولم يطلقوه إلا بشفاعة الشيخ سعد بوه ولد الشيخ محمد فاضل.
- وفي سنة 1887م استطاع الفرنسي كامي دولس Camille Douls أن يقنع أولاد ادليم أنه مسلم ومكث عندهم فترة، قبل أن يشكوا في أمره ويدفنوه في التراب ولكنه أصر على أنه مسلم مما جعلهم يطلقون سراحه فاستطاع بهذه الحيلة أن ينجو ويصل إلى المغرب[1].
- وفي سنة 1888م قام الفرنسي شارل سولر Charles Soller بدراسة حوض آر ڤين وداخلة انواذيبو.
- وفي سنة 1891م، قام ليون فابير Léon Fabert برحلة دراسة وتعرف إلى منطقة اترارزه[2].
- وفي سنة 1894م، كلفت وزارة المستعمرات جاستون دونيه

---

(1) نشر ملخص رحلته في:

Douls (Camille): Voyage d'exploration à travers le Sahara occidental et le Sud marocain.. Imp de Espérance Cagniard. France. Rouen 1888.

(2) نشرت رحلته في:

Bulletin de la société de géographie Paris.1892. P. 375

Gaston Donnet بـأن يتعـرف علـى منطقـة آدرار فحـصل لـه مـا حـصل لسولييه Soleillet[1] قبله في سنة 1879م.

- وفي سـنة 1900م، قـام پـول بلانـشيه Paul Blanchet بجولـة في آدرار. وعندما نزل هو وفريقه بمدينة أطار، قام عليه سـكانها وحاصـروه في مكان إقامته قرابة العشرين يوما وكادوا يقتلونه لولا تدخل الشيخ سعد بوه الذي أرسل إليهم في إخلاء سبيله ورجاله مقابل فدية دفعها بلانشيه.

وهكذا أثمر التواصل الذي تم بين البيضان والغرب الاستعماري حصيلة من المعارف كانت عونا ثمينا لاقزافي كوپولاني ومن تبعه في غزو موريتانيـا إذ وجـدوا خـرائط تحـدد أمـاكن الميـاه والمرتفعـات والـسهول وأسمـاء القبائـل وفروعها وملاحظات عن كل واحدة منها إلخ.

ثانيًا. كوبولاني ومتابعة الاحتلال

كـان الفرنـسيون قـد بـذلوا جهـدا استـشراقيا في الجزائـر منـذ ولايـة كامبّون Cambon الذي كلف كوپولاني Coppolani ودبون Depont بإعداد بحث مفصل عن الطرق الصوفية سنة 1897م.

وكوبـولاني مـن مواليـد جزيـرة كورسـيكا سـنة 1866م وقـد غادرهـا وعمره 14 سنة إلى الجزائر حيث تربى وتعلم اللغة العربيـة واختلط بـالعرب وآدابهـم وشـريعة الإسـلام ونفعـه في ذلـك ميلـه إلى البحـث والاطـلاع. وكـان كوپـولانـي بحكـم تكوينـه هـذا واهتمامـه المبكـر بالدراسـات الإسـلامية وسـعة اطلاعـه، الـشخص المؤهـل للقيـام بهـذه المهمـة. وكانـت تلـك البدايـة

---

(1) سبق لهذا الرجل أن نشر سنة 1893م مقالاً طويلاً حول ضرورة استكشاف الصحراء؛ فكأن محاولته الفاشلة كانت تطبيقا لما دعا إليه. انظر مقاله:

Sahara et Soudan, une mission française à Timbouctou. L'Algerie unie au Sénégal par Gaston Donnet, membre de la Société de Géographie. Imprimerie Joseph Kugelmann. Paris.

لدخوله تاريخ الاستعمار من بابه الواسع كفاعل أساسي. وقد استطاع كوبولاني سنة 1898م وبدعم من العقيد دَترانتينيانه De Trentinian الحاكم العام لمنطقة السودان الفرنسي أن يحصل على إذن من وزارة المستعمرات بالقيام ببحث مكمل لعمله المذكور عن الطرق الصوفية. وما كانت تلك المهمة المعلنة إلا الشجرة التي تغطي الغابة فالمهام الكبرى والأساسية لكوبولاني في الحقيقة هي ما أفصح عنه بعد هذه الرحلة بسنتين وزير المستعمرات الفرنسي في رسالة تاريخية جد هامة إلى الوالي العام لغرب إفريقيا. وهذا نصها:

باريس بتاريخ 14 نوفمبر 1900م وزارة المستعمرات

إلى

السيد الوالي العام

منذ سنوات عدة والحكومة مهتمة بتقوية العلاقات بين مستعمراتنا في إفريقيا الغربية وتلك الواقعة في إفريقيا الشمالية.

ولهذا الهدف، تم سنة 1898م تكليف السيد كوبولاني إداري البلديات المختلطة الجزائرية بمهمة سياسية في السودان من أجل:

1. إجراء اتصالات بمجموعات الطوارق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر السنغال مرورا بخط التموين: خاي – انيور – وتنبكتو.
2. الحصول على ولاء القبائل المتمردة.
3. إقامة علاقات سياسية داخل صفوف هذه القبائل.

وكانت هذه المهمة ناجحة تماما. وبموجب قرار بتاريخ 27 اكتوبر 1899م عين هذا الموظف ليقوم بتنظيم مصلحة شؤون البيضان والطوارق ضمن إدارة الشؤون الافريقية بوزارة المستعمرات.

وقد جعلتني الدرسات التي قامت بها هذه المصلحة أفكر أن الوقت حان للقيام ببداية تنظيم بلاد البيضان.

وكنت من ناحية أخرى قد دعوت سلفكم السيد شودي Mr.chaude لابداء رأيه حول هذه المهمة المنتظرة وكذلك حول الوسائل المادية التي يعتقد أنها كفيلة بإنجازها. وطلبت من ناحية أخرى من السيد وزير الخارجية، أن يدرس هذا الموضوع وأن يخبرني عما إذا كانت توجد اعتراضات تتعلق بالنتائج الدبلوماسية له. وقد أظهر السيد شودي Mr.chaude دعمه لمشروع دراسة التنظيم المنتظر رغم تعبيره عن بعض التحفظات وإشارته بالطريقة التي يجب الالتزام بها[1].

قام كوبولاني إذن سنة 1899م، بمساعدة الشيخ سيدي الخير ولد الشيخ محمد فاضل بجولة دراسية واتصالات واسعة في الحوض ومنطقة تنبكتو. وكان مصحوبا في هذه الجولة بالاداري روبير أرنو Robert Arnaud. وقد أكسبه ما سجل من انتصارات في مهامه مكانة كبرى لدى وزارة المستعمرات وفتح أمامه آفاقا واسعة كان يطمح إليها. وهكذا، كلفته الحكومة الفرنسية «بتنظيم موريتانيا الغربية» كما هو مبين في الرسالة التالية من وزير المستعمرات إلى الوالي العام لغرب إفريقيا.

30 ديسمبر 1899م **وزير المستعمرات**

السيد الوالي العام لغرب إفريقيا الفرنسية

سينلوي

الموضوع: تنظيم بلاد البيضان والطوارق

السيد الوالي العام

أتشرف بان ابعث إليكم مع هذه الرسالة نسخة من قرار بتاريخ 27 ديسمبر الجاري يتعلق بتنظيم المناطق الممتدة من الضفة اليمنى لنهر السنغال وتلك الواقعة بين خاي وتنبكتو وحتى كاب جيبي غربا أي حتى حدود

(1) انظر النص الفرنسي في الملحق الثالث.

المغرب وجنوب الجزائر شمالا «موريتانيا الغربية».

وأرجو من فضلكم أن تستوعبوا جيدا مضمون وأبعاد ما هو وارد في الوثيقة وأن تعطوا الأوامر الضرورية من الآن لاتخاذ الإجراءات الملموسة لدراسة منظمة مستقلة Autonome قائمة على الأسس الموضحة هنا.

وأرجو كذلك أن تعملوا من الآن من أجل إيجاد الاعتمادات المالية اللازمة من مواردكم المحلية لمواجهة التكاليف التي ستتطلبها هذه المنظمة الجديدة.

ولقد كلف السيد كوبولاني تحت إدارتكم السامية بتنظيم المحمية المعنية وليكون على علاقة بكم لإعداد مشروع التدخل.

أود أن تخبروني في أقرب الآجال بالاجراءات التي تم اتخاذها نتيجة هذه المراسلة.

تقبلوا .....إلى آخره

وزير المستعمرات، توقيع **ALBERT DECRAIS**

وكان كوبولاني طموحا لانجاز مهمته على امتداد الفضاء الجغرافي المحدد له. وتميز بأنه يعتبر الإسلام واحدا لا يختلف من منطقة إلى أخرى إلا بقدر ما يتأقلم مع مختلف أنماط العيش. أما آرنو Arnaud الذي اعتبر كوبولاني أباه الروحي وألف كتابا عن حياته فكانت نظرته للإسلام تخالف جوهريا نظرة أبيه الروحي إذ جعل من الفصل بين الإسلام في إفريقيا السوداء والإسلام في باقي العالم ركيزة سياسته إبان إدارته لمصلحة الشؤون الإسلامية التي عين عليها لما أنشئت في عهد الحاكم العام الفرنسي رُومْ Roume سنة 1906م. ولا غبار على أن هذا موقف استعماري جلي. يعلن صاحبه دون مواربة ما يبتغيه منه حين يقول: «إن لنا أكبر مصلحة في أن يتكون ويتطور بإفريقيا الغربية إسلام إفريقي خالص... بل من المؤمل أن لا

نظل غير مبالين بتكوين أثيوبيا مسلمة بغرب إفريقيا»[1]. وهو يشير هنا إلى دولة الحبشة النصرانية التي لا يكاد يربطها بباقي النصرانية سوى الإسم. كما يقول في موضع آخر: «بنسفنا لسلطة الأشياخ من قواعدها نخلي سبيل الشعوب ونهيئ بالتدرج المحكم التحام روح العنصرية بالتدين بمزيج من الإسلام والوثنية. وهكذا نخصص الإسلام ونميزه في المنطقة»[2]. وهذه السياسة نفسها هي التي انتهجها خلف روبر أرنو في إدارة مصلحة الشؤون الإسلامية، پول مارتي Paul Marty المشهور ببحوثه الجامعة ودراساته المستفيضة عن الإسلام في المنطقة[3]. وهي بحوث لم تخل على أهميتها، من صبغة المنظور السائد إذاك في المعاهد الاستعمارية والمنطلق من دونية المستعمرين وفوقية الذات الأوروبية المستعمرة. إن الطريقة المريدية مثلاً -وهي فرع من القادرية أسسه الشيخ أحمدُ بمبه- ليست في اعتبار مارتي إلا انحرافا إسلاميا vagabondage islamique[4].

وكتب الحاكم العام لإفرقيا الغربية كلوزيل Clauzel: «يجب أن

---

(1) كامارا (الشيخ موسى): زهور البساتين في تاريخ السوادين. ترجم الجزء الأول منه إلى الفرنسية بعنوان:

Florilège au jardin de l'histoire des noirs par cheikh Muusa Kamara Paris CNRS éditions 1998 p 49-50

(2) Gouilly (Alphonse): L'Islam dans l'Afrique Occidentale française. Ed : Larose Paris.1952. pp 246-275.

(3) كتب Paul Marty عن الكثير من قبائل المجتمع الموريتاني، وأكثرية مناطق موريتانيا مثل كنت الشرقيون وقبائل الحوض ولبراكنه. والكتابان الأولان ترجمهما السفير محمد محمود ولد ودادي.

(4) انظر بحثا مطولا لبول مارتي:

Les Mourides d'Ahmadou Bamba in Revue du monde musulman.Déc. 1913 (7e année / Tome vingt-cinquième). Paris, pp 1-165.

نراعي المجتمع الوثني فلا ندعه ينحل ويذوب بل لا بد من إعادته إلى قوته السالفة وأن نفهم القضاة الوثنيين أنهم العون الثابت لتقاليد شعوبهم وحصنها المنيع ضد التأثير الإسلامي»[1]. وفي نفس الاتجاه يقول مدير مكتب الشؤون السياسية الذي أصبح في ما بعد حاكما عاما لإفريقيا الغربية جيل بريفيه Jules Brévié في كتابه: «الإسلام ضد الديانة الطبيعية في السودان الفرنسي» ما نصه: «يجب أن نجعل من الصدام بين الوثنية المنظمة والإسلام توازنا لهيمنتنا في المنطقة»[2].

وهكذا نشأ في الدوائر الاستعمارية مصطلح الإسلام الأسود Islam noir القائم على خوف المستعمر وتذمره من الإسلام ومحاربته المكشوفة له في غرب إفريقيا. وما هذه السياسة عند النظر، إلا امتداد وثيق لما كان جري في الجزائر حيث دأب الاداريون الفرنسيون على اعتبار مجموعة القبائل الأمازيغية نصارى قدامى دخلوا الإسلام كرها لم ينلهم منه إلا لبوسه المظهري. وقياسا على ذلك فإن الأفارقة المسلمين وثنيون أكرهوا كما يقول موريس دلافوس Delafosse على الإسلام ولم يتركوا كثيرا من اعتقاداتهم وهم يَقْنَعُون من الإسلام بالجوانب الملائمة لظروف عيشهم. ويكتب الحاكم العام لإفريقيا الغربية جيل بريفيه Jules brévié معبرا عن هذه الرؤية للأمور ومتغنيا بالوثنية: «لقد ظلت ريح السموم الإسلامية تهب على السودان عشرة قرون فمااستطاعت أن تذبل غصن الإبداع الوثني

---

(1) Francois- joseph clozel. حكم ما بين 1915_1917 انظر: KAMARA, S. M, 1998, «Florilège au jardin de l'histoire des noirs «Zuhur Al-Basatin», Paris, CNRS p48.

(2) Gouilly: Opcit. Voir aussi : Quellien (Alain): La politique musulmane dans l'A.O.F. Larose, Paris.1910.

فيه»[1]. وبناء على هذه الرؤية المتعصبة، أخذ الفرنسيون في إحياء الثقافة الوثنية وإقناع الناس أن الإسلام دين غريب مستورد. وكان من أهداف هذه السياسة الاستعمارية الكبرى، القضاء على التراث الافريقي المكتوب بالعربية وإبداله بالحكايات والأساطير الشعبية ليسهل بذلك عليهم إقناع الأفارقة بحق المستعمر وفضله عليهم أو كما يقول المفتش العام للتعليم بإفرقيا الغربية جابرييل هاردي Gabriel Hardy في كتابه «الغزو الثقافي: «التعليم في إفريقيا الغربية الفرنسية»: لقد شرعنا في تعريف الشعوب الإفرقية المختلفة على رموز لاتينية جديدة ابتدعناها -ولعلها لأول مرة- لكتابة لغاتهم المحلية للتواصل معنا من دون ما وسيط ....أما أن نصمت ولا نعمل شيئا يشعر التلاميذ بشرعية ومتانة الهيمنة الفرنسية في إفريقيا فذلك الخطر الجلل»[2].

ولقد تمكن هذا الفكر الجديد الذي عمل من أجله Arnaud و Marty وغيرهما، من عقول بعض أبناء المنطقة، فلم تخل موريتانيا من مستغربي النفوس حتى بين عربها فتجدهم يفضلون استعمال اللغة الفرنسية ويحتقرون لغاتهم الأصلية[3]. إلاَّ أنَّ كثيراً من الأفارقة السود ظلُّوا رغم هذه الحرب الفكرية السياسية يكتبون لغاتهم بالحروف العربية وظل الإنتاج

---

(1) في سنة 1923م نشرجيل بريفيه Jules brévié مدير الشؤون السياسية والادارية في الحكومة العامة لافريقيا الغربية الفرنسية كتابا قدم له موريس دلافوس Delafosse بعنوان:
islamisme et naturisme au souan français : انظر «Zuhur Al-Basatin», opcit. P50.

(2) Hardy: Une conquête morale. Armand Colin ; Paris. 1917 ; p 195 -p 238 .

(3) ولد محمد خيرات (إسماعيل): التيارات السياسية في موريتانيا. أدوار لم تكتمل. المطبعة العصرية. نواكشوط.الطبعة الأولى فبراير 2007م، ص: 58.

العربي مستمرا ولو بدرجة أقل. ومن الأمثلة المضيئةعلى ذلك، كتاب الشيخ موسى كمرا: «زهور البساتين في تاريخ السوادين»[1].

كونت حصيلة دراسة الرواد الاستعماريين والباحثين الفرنسيين خزانة معلومات ضافية حول الأهمية الإستراتيجية للبلاد التي أسموها بلاد المور الممتدة إلى الجنوب على شواطئ المحيط الأطلسي وحتى مصب نهر السنغال والمنسابة شرقا حتى بلاد تنبكتو وقاوة في أرض مالي[2]، والتي تشكل جسرا بين شمال إفريقيا وبلاد السودان. وزاد من أهمية هذه البلاد ظهور مؤشرات بارزة تدل على وجود معادن الحديد والنحاس والذهب فضلا عن ما كان معروفا عن غنى شواطئها بالسَّمك الذي كان يرى فيها بالعين المجردة[3]. وكانت بها ثروة معتبرة من الصمغ العربي أو العلك الذي كان أساسيا في الصناعات قبل اكتشاف مادة الدكسترين La dextrine الّتي حلت محلّه. وكان تصدير هذه السلعة قد استعاد بعض أهميته في اقتصاد البلاد بعد أن عانت تجارته مدة طويلة من الزمن من منافسة صمغ مناطق دارفور وكردفان بالسودان الشرقي. ويرجع سبب هذا الانتعاش إلى أن جهاد المهدي محمد أحمد بن عبد الله ضد الانجليز وخاصة بعد هزيمته لجيش هيكس Hichs سنة 1883م، أنهى تصدير الصمغ السوداني فخلا السوق للعلك الموريتاني الذي أصبح يباع بأسعار غالية جدا تصل إلى خمس

---

(1) يذكر أن مجموعة من طلاب جامعة تطوان بالتعاون مع مركز الدراسات الإفريقية بالمغرب تعمل على تحقيقه ونشره ولم يصدر بعد.

(2) Taine-Cheikh (Catherine): Dictionnaire Hassaniya-Français. Introduction Hamza-Ba'. Geuthner. Dictionnaires. Paris. 1988. P. XV.

(3) Ca'da Mosto (Alvise): Voyages en Afrique Noire(1455 et 1456). Relations traduites de l'italien et présentées par Frédérique Verrier. Chandeigne/ Unesco. Paris. 2003. p40.

افرنكـات لكيلـوغرام بعـد أن كـان لا يتجـاوز الفرنـك الواحـد زمـن المنافسة[1]. كما استطاع علك الحوض والمناطق الشرقية أن يلج السوق إثر بناء السكة الحديدية الرابطة بين السنغال والنيجر إذ كانت تحمله القوافل إلى محطة مدين[2]. ومن أسباب انتعاش تجارة الصمغ أيضا أن الخلاف الشرعيّ في حكم المتاجرة به مع النَّصَارَى كان قد انحسم إلى حدٍّ مَّا لصالح حلّية هذا التبادل، كما يتضح من فتاوى بعض العلماء الموريتانيين كاحمد ولد العاقل ومحمذن فال ولد متّالي و محنض بابه ولد اعبيد وغيرهم[3].

ولعل موقف العلماء من التعامل التجاري مع الفرنسيين تأثر بالاتفاقية التي وقعها الأمير محمد لحبيب سنة 1858م معهم، إذ اعتبروهم بعدها معاهدين وبالتالي يجوز التعامل التجاري معهم كما ذكرنا سابقا. هذا مع أن البعض وقع معهم اتفاقيات تبادل قبل ذلك.

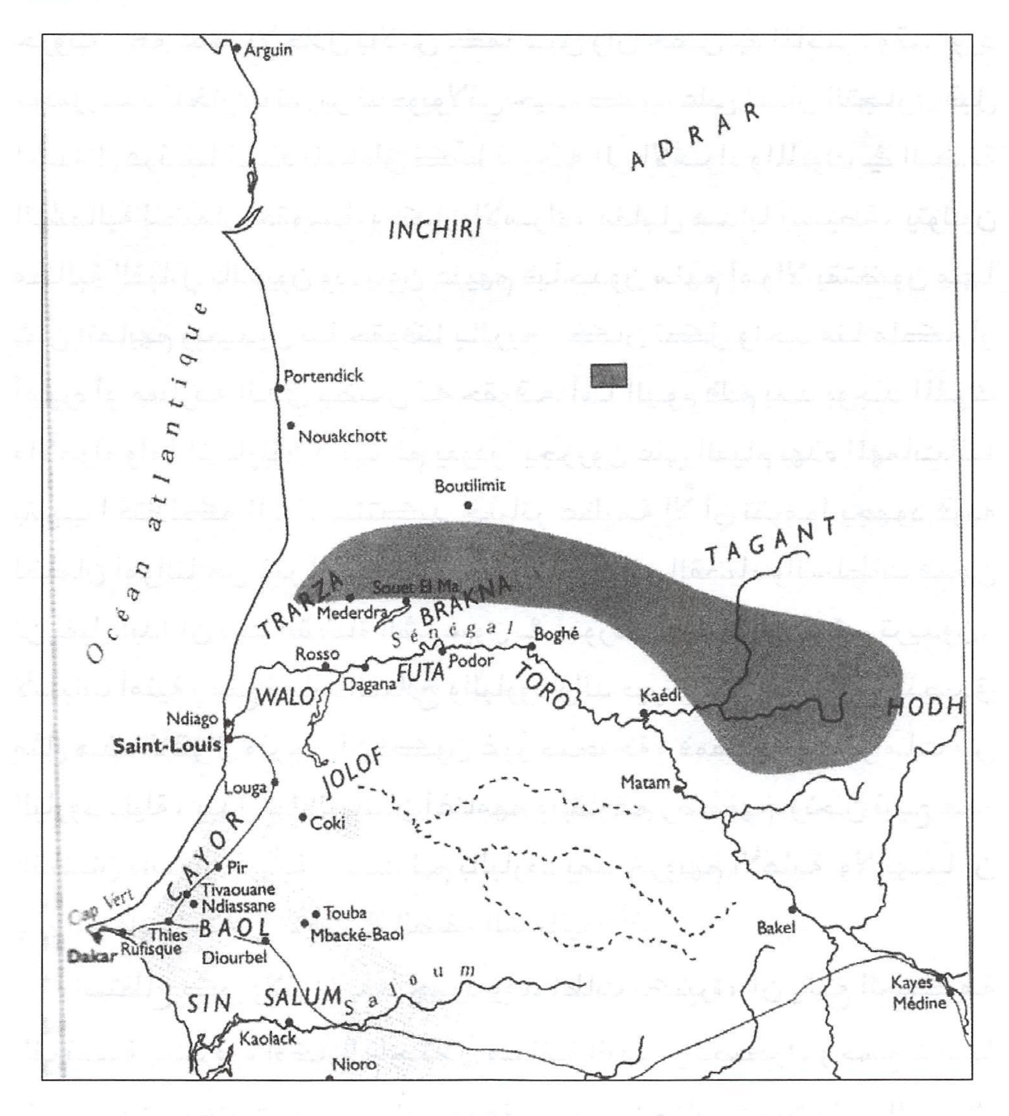
(1) Faidherbe: Le Senegal: la France dans l'Afrique Occidentale. Hachette et Cie. Paris.1889, pp 31-36.

(2) Mahaut (Charles): La colonie du Haut Sénégal et Niger. Ed : Georges Cres et Cie. Paris, 1910, pp 105-106.

Voir aussi :

Raffenel, Nouveau voyage au Pays des Negres. Ed : Napoleon Chaix et Cie. Paris.1856. pp 79- 86. tome 2.

(3) ولد محمد سدينا ولد محمد (محمد): جوانب من الحياة الاقتصادية الاجتماعية في منطقة الترارزه خلال ق 19م- 13هـ، من خلال فتاوى محنض بابه بن اعبيد ومحمذن فال بن متالي، بحث لنيل الإجازة (المتريز) في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ محمد المختار ولد السعد، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1989-1990، ص: 59.



خريطة غابات الصمغ العربي في ق 19. من كتاب:

Sociétés musulmanes et pouvoir colonial français au Sénégal et en Mauritanie 188 9à –1920 David Robinson p 55.

ورغم أن الدوافع لاستعمار موريتانيا كانت قوية إلا أن ذلك المشروع لم يكن مجمعا عليه فرنسيا لاعتبارات متعلقة أساسا بضمان استمرار تدفق العلك على تجار اندَرْ. لقد توجس تجار سينلوي وممثليهم في محطات النهر خيفة مما قد يثيره مشروع كوبولاني الرامي إلى احتلال شمال النهر من

حروب ينجم عنها الإخلال بالأمن كما سبق وأن حصل في الماضي. وقد أورد مجملَ هذه المخاوف تقرير لكوبولاني حيث كتب على لسان التجار: «قبل احتلال فرنسا لهذه المناطق كنًا نتوجًه إلى الأمراء والملوك في الضفة الشمالية لضمان حقوقنا. وكان الأمراء، مقابل هدايا بسيطة، يتولون مطالبة القبائل بالديون ويغيرون عليهم فيأخذون منهم أموالا يقتضون منها ثمن أتعابهم ويعيدون لنا حقوقنا بالربح ...كان لكل واحد منا ملكه أو أميره أو محاربه الذي يضمن له حقوقه. أما اليوم فلم يعد يوجد الملوك والأمراء وأما المحاربون فإنهم لم يعودوا يجرؤون على القيام بهذه المهمات.إننا بسبب احتلالكم للبلاد سنتكبد خسائر عظيمة إلاّ أن تقوموا بجهود قوية لضمان أموالنا من غير أن تضطرونا إلى اللجوء إلى القضاء والسلطات فنحن لن نقبل أبدا أن يبت القضاة الشرعيون في أمورنا... وقد بلغنا أنكم تريدون، لأسباب أمنية، منع تجارة السلاح والبارود والذخيرة. وليس بوسعنا أن نصدق مثل هذه الأقوال ونرجو أن تكون غيرَ صحيحة، فمقابل كيلغرامات من البارود قليلة، يبذل لنا البيضان أغنامهم وأبقارهم وصمغهم. ونحن نبيع هذه القطعان بأسعار مريحة ونبعث لهم بالبارود يمِد حروبهم الأهلية. ولا يهمنا أن يعم الفساد واختلال الأمن في الضفة الشمالية»[1].

استطاع كوبولاني، بعد جهود ووساطات كثيرة، أن يقنع الحكومة الفرنسية بضرورة إكمال احتلال منطقة النهر والصحراء وجمع شملها الممتد من تنبكتو شرقا إلى وادي درعة وجنوب الجزائر شمالا ونهر السنغال جنويا والمحيط غربا، تحت السيادة الفرنسية[2].

ولتوفير المناخ الدبلوماسي الملائم، دعت السلطات الفرنسية اسبانيا إلى

---

(1) تقرير اكزافي كبولاني سينولي 25 يونيو 1904، نشر نصه في:
Coppolani (Xavier): Desiré Vuillemin (Genevieve): Opcit p108 et suivantes.

(2) انظر خريطة بلاد البيضان في الصفحة المقابلة.

الحوار في باريس والاتفاق على تقسيم هذه البلاد وتوصلتا إلى اتفاقية باريس يوم 27 يونيو 1900م القاضية بإعطاء فرنسا بلاد الجمهورية الإسلامية الموريتانية الحالية(1) واحتفاظ الإسبان بالصحراء الغربية.

وهكذا بدأ الفرنسيون تجهيز حملة لتجسيد هذه الاتفاقية وتكونت بباريس في أول سنة 1901م لجنة العمل السلمي في الشمال الغربي الإفريقي الفرنسي، لدراسة موريتانيا ودعم المشروع الإستعماري بها(2)



خريطة بلاد البيضان قبل مقدم الفرنسيين.
عن: «الرقيبات» تأليف صوفي كاراتيني ص 21.

---

(1) نذكر أن الحوضين ظلا يتبعان لمنطقة السودان الفرنسي إلى سنة 1944م. ومسألة تحديد الهوية الإدارية لمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب لم يبت فيها إلا بعد ثلاث اتفاقيات بين السلطتين المتنازعتين فرنسا وإسبانيا: الأولى اتفاقية 1900م ثم اتفاقية 1904م ثم الأخيرة سنة 1912. انظر:

Rezette (Robert): Le Sahara Occidental et les frontières marocaines. Ed : Nouvelles éditions latines. Paris : 1975. p 61.

(2) La Quinzaine Coloniale. n° juillet paris, 1901. P. 397.

ولتفاقم الخلافات داخل إمارة الترارزة وتجسيدا للتوغل الفرنسي في شؤونها أرسلت فرنسا في مارس 1902م، وحدة إلى سهوة الماء لمساندة الأمير أحمد سالم ولد أعل ضد خصومه. وقبل عبور النهر، اجتمع كوبولاني في د قانا بالأمير أحمد سالم ولد اعل[1] ووَقعَ معه يوم 15 ديسمبر 1902م اتفاقا تخلى الأمير بموجبه عن حقوقه الضريبية في التجارة وجعل إمارته تحت حماية فرنسا[2]. وأعطت هذه الاتفاقية الجديدة قوة للأمير أحمد سالم وأضعفت خصمه سيد ولد محمد فال ولد سيد ولد محمد لحبيب الذي قدم هو الآخر على كوبولاني طالبا دعمه ولكن كوبولاني فضل الانحياز إلى أحمد سالم ولد اعل.

وفي 22 - 12 سنة 1902م[3] نزل كوبولاني إلى البر الموريتاني وتقدم داخل اترارزه لاحتلالها، وقد وضع خطة لتأسيس شريط من المراكز العسكرية لفرض السيطرة واستعدادا لأي مقاومة مسلحة قد تطرؤ. ومن تلك المراكز جدر المحقن وسهوة الما (اركيز) التي تعتبر معبرا هاما للقوافل. وخروفة التي استقبل فيها وفودا كثيرة خلال شهر فبراير 1903م. ثم توجه الى موقع انواكشوط وكلف النقيب فريرجان Frèrejean بإقامة مركز فيه ورجع إلى اندرْ (سينلوي)[4].

---

(1) دوفور (غاستون): مصدر سبق ذكره. ص 66.

(2)) Desiré Vuillemin (Genevieve): Opcit. P 386- 475.

(3) يؤرخ الناظم العلامة القاضي محمذن الملقب أمَيَيْ بن محمَّد فال العاقِلي في نَظمه لتاريخ موريتانيا لدُخول كبولاني بقوله:

وعام شاكس على البيضان   قد طلع الكافر كبولاني

انظر النظم أكمله في كتاب «الأنساب في صالح الأنساب» تأليف الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن أحمد السباعي الاكريمي الموريتاني 1422 هـ 2001م.

شين = 1000 الألف = 1 كاف = 20 سين = 300 شاكس 1321 هـ وهو ما يوافق سنة 1903م.

(4) انجز فريرجان Frèrejean مركز انواقشوط في شهر ديسمبر 1903 وفي شهر =

وهناك، قدم عليه أمير لبراكنه أحمدو ولد سيد اعل ليضع بلاده هي الأخرى تحت الحماية الفرنسية وذلك لكي لاتتقوى اترارزه بالفرنسيين عليه.

وباحتلال اترارزه، أصبح الفرنسيون يحكمون أكثر الجنوب الغربي الموريتاني سيما وأنهم سبق وأن احتلوا كيهيدي وفيدي ماغه في سنة 1890م وقضوا على آخر مقاومة سكان الفوتا طورو باغتيال الألمامي عبدول بوكار كان في شهر أغسطس سنة 1891م[1].

وبدا أن الأمر قد انتهى وأن لا شيء يحول دون احتلال باقي البلاد فأعلن الفرنسيون في اكتوبر 1904م تحويل موريتانيا إلى مستعمرة مدنية. ولكنهم لم ينعموا في هذه المناطق طويلا بالأمن إذ بدأت بعض الشخصيات النشطة تنظم الجهاد وتدعو إليه.

وقعت أول عملية مسلحة ضد المحتل بين اركيز واخروفة في منطقة الترارزه في يوم 7 يونيو 1903م ثم تبعتها أخرى عند سهوة الما (اركيز) يوم 16 من نفس الشهر، قتل فيها الملازم أول أوبير Aubert.

وأخذت العمليات تتوالى بوتيرة متصاعدة وتعرضت كل المراكز العسكرية لهجمات كبدتها خسائر معتبرة. وتعززت صفوف المقاومة بالأمير أحمدو ولد سيدي اعل الذي تراجع عن موقفه الموالي للفرنسيين وهاجرإلى

= أغسطس 1904 كلف النقيب كالاه Galand بإنشاء مركز بوتليميت. انظر:

GILLIER, Cdt b., 1926, «*La pénétration en Mauritanie,*»Paris, Geuthner. PP110 – 124.

(1) Dia Abdoulaye (Alassane): Contribution à l'étude de l'Histoire Coloniale: L'école française en Mauritanie (1904–1960). Memoire de maitrise sous la direction du Dr Mohamed ould Maouloud. Université de Nouakchott. Departement d'Histoire. Faculté des lettres. 1987–1988. p9.

أميـر تقـانت بكـار ولـد اسـويد أحمـد الـذي أصبـح قطـب رحـى المناهـضين للوجود الفرنسي بالمنطقة والزعيم الشرعي للمقاومين على اختلاف مشاربهم.

ومــن عمليــات هــذه الفتــرة، نــذكر علــى ســبيل المثـل وقعــة ألاق (لكديّـه) ليلـة 8 ديـسمبر 1903م بقيـادة الأميــراحمدو ولــد ســيد اعـل وموقعــة مــال ضــد إدوعــيش يــوم 28- 12- 1903م وموقعــة مويــت يــوم 17 فبرايـر 1904م بقيـادة الأميـر بكــار ولـد اسـويد أحمـد. وفـومل يـوم 11-مـــارس – 1904م. ويـــوم ودرفـــل وحـــصار البـــدر بـــين إدوعـــيش والمستعمر. وأيام تن شية 10- مارس – 1905م.

ثالثًا: حملة تقانت والمقاومة التي واجهتها (1)

في هـذه الأجـواء المعاديـة، رجـع كوبـولاني إلى موريتانيـا في ديـسمبر 1904م بعـد أشـهر أمـضاها في دهـاليز الـوزارات ببـاريس، حـاملا موافقـة حكومته على التوغل شمالا في بلاد البيضان واحتلال تقـانت وآدرار.

وجـد كوبـولاني أن المقـاومين انزاحـوا بعـد الجـولات الأولى إلى شـرق البلاد لتضميد جـراحهم وتقويـة وحـدتهم وتنظـيم خططهـم فـأرسل في إثـرهم الـضابط المـتحمس النقيـب افريرجـان Frèrejean(2) رجـل المهمـات الـصعبة.

---

(1) تناولنـا هـذا الموضـوع بقـدر مـن الإسـهاب في أطروحتنـا للـدكتوراه المـذكرة آنفـا. كمـا تناولته الكتب التالية:

Gillier: opcit et de Chassey: opcit

- بن صدفن (محمد الراظي): السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا.
- دوفور (غاستون): تاريخ العمليـات العسكرية في موريتانيـا: ق17- 1920م. (تعريب وتعليق) ولد محمد ولد بيه (المقدم/ محمد المختار).

(2) النقيب فريرجان هو أول من بنى حصنا عسكريا في نواكشوط سنة 1904م، وقـد دلـني على أطلاله أول مدير للطيران المدني بعد الاستقلال السيد احمدو ولـد سـيدي محمـد ولـد بوعليبـه سـنة 2008 وهـو قـرب خـزان الميـاه الواقـع علـى التـل المرتفـع بـين حـي تفـرغ زينـة ولكصر. وقد وجدت به أنبوبا محشوا بالاسمنت في وسطه قطعة من البرونز محفور بها =

أغار فريرجان على حلة إيدوعيش وهم في غفلة عند بوفادوم برأس الفيل بمنطقة أَفلّه وأعمل فيهم مدفعيته الثقيلة. وأمام قوة القتال، أمر الأمير بكار ولد اسويد احمد المقاومين بالانسحاب للحفاظ على قوتهم وتركه حيث هو قائلا قولته المشهورة: إن النصارى سيكتفون بقتلي ويعودون فالذئاب لا تتخطى جثة الليث. وكانت ابنته، حسب الروايات الشعبية، تشد على رأسه عصابة لترفع حاجبيه حتى يسدد بندقيته إلى رجال جيش العدو. وظل ثابتا في مكانه يقاتل حتى استشهد فاتح ابريل 1905م. ومع أن هذه الرواية مغايرة بعض الشيء لروايات أخرى كرواية النقيب افريرجان إلا أننا فضلنا إثباتها لأننا تلقيناها من الكثير من المسنين[1].

وقد يتساءل القارئ كيف آثر الأمير النزول إلى سهول آفطوط المكشوفة لمواجهة الغزاة بينما يقتضي النظر العسكري أن يعتصم بهضبة تقانت المنيعة والتي يصعب ارتقاؤها ويعسر اقتحامها ولتي تشكل معقلا آمنا ومركزا استراتيجيا قد يتسنى له تنظيم المقاومة انطلاقا منه، كاستقبال المتطوعين واقتناء السلاح والمؤن وتوجيهها الى جبهات المقاومة. ومما يزيد السؤال مشروعية أن المستعمر كان يضع احتلال تقانت على رأس أولوياته في مسار احتلال البلاد الموريتانية. ولا شك أن بكار كان على

=

حرف PP وأخذت لها صورة.

(1)- Gillier: opcit. PP.128-129.
- Frèrejean: opcit. P. 251- 264.

ذكر لي الفنان مالُ ولد حمّادُ، أن محمد محمود ولد سيدي المختار أخبره أن القبر الحقيقي للأمير بكار ليس ذلك الموجود عند رأس الفيل بل في موضع آخر قل من يعرفه، وذلك أن أمراء البيضان كان من عادتهم أن يخفوا قبورهم خشية من أن ينبشها الناس لاعتقاد بعض السحرة في عظام الملوك. عن مقابلة مسجلة أجريتها مع الفنان مالُ ولد ابَّفال ولد الجيش ولد محمادُ، سنة 1976ن في كيفه.

علـم بنوايـا الفرنـسيين ومـدركـا للخطـر الـذي يمثلـه علـى مـشروعهم الاستعماري وأنهم لن يتهاونوا معه. وتقول الروايات الشعبية إن الفرنسيين كانوا يقولون إن هنالك شجرة دوم تقع على تقانت متى تمكنوا من قطعها انفتحت أمامهم السبل لاحتلال جميع المناطق الموريتانية. وكانوا يقصدون بالشجرة أمير الشهداء بكار.

ألحق استشهاد الأمير بكار ضربة قاسية بالمقاومة إذ فقدت به قيادتها شبه الموحدة التي كان يجسدها والتي كانت تبعث روح الأمل والتضحية في قلوب كثير من المترددين فلم يلق كوبولاني من يعترض طريقه من لبراكنة إلى تجقجه التي دخلها يوم 2 – إبريل – 1905م.

ورغم شدة وقع استشهاد الأمير ، فإن المقاومة لم تتوقف بل شهدت تصاعدا إذ ما لبث فريق مكون من 21 رجلا جلهم من قبيلة ايدشل، تحت قيادة الشريف القظفي[1] سيدي عالي الصغير ولد مولاي الزين أن انطلق من أوجفت متجها إلى تجقجه حيث فاجؤوا قائد الحملة الاستعمارية كوبولاني مساء 12 مايو 1905م وقتلوه وبعضا من رِجاله، كما استشهد الشريف وثمانية من المقاومين[2].

---

(1) نسبة للطريقة القظفية وهي فرع من الشاذلية ينسب إلى الشيخ محمد الأقظف ولد حمى الله الجعفري (1218هـ – 1803م)، خلفه عليه كل من الشيخ المختار ولد الطالب اعمر ولد نوح ثم الشيخ سيد أحمد ولد عمار البصاديين وهذا الأخير هو الذي أسس زاوية كبيرة للطريقة في أوجفت بقيت مشيختها في ذرية ابنه الشيخ محمد محمود الخلف رضي الله عنهم، كما برزت شخصيات أخرى من الطريقة في الحوض مثل الشيخ عالي ولد آفه الدليمي، والشيخ الشريف محمد الأمين ولد زيني والشيخ محمد محمود ولد بيَّه الذي أسس زاوية كبيرة في تنبدغه والشيخ المحفوظ ولد بيه.

(2) التقيت سنة 1977م بمحمد ولد الصفره أحد المجاهدين الذين شاركوا في عملية اغتيال كبولاني والذي أخبرني بوصوله إلى انواكشوط ودلني عليه البرلماني محمد المختار ولد الزامل ونقلت حديث هذا المقاوم في رسالتي للدكتوراه. مصدر سبق ذكره.

وإن هذه العملية البطولية جديرة بأن تخلدها أقلام الكتاب بشتى الأصناف الأدبية من مسرحيات وأفلام وقصص وروايات لما تحمله من دلالات وطنية وتحويه من عناصر درامية. ولئن كانت الأحداث التاريخية في الغالب تتدرج ضمن مسار موحد يشد بعضه بعضا ويحده إلا أن بعض الوقائع تبدو نشازا في ذلك السلك المنتظم فتند عن القراءة السببية البسيطة وكأنما هي معجزات تخرق العادة وتكسر الرتابة. وإلا فأي منطق يقضي بأن تكون نهاية كوبولاني، السياسي المحنك والعسكري بالتجربة، الذي تمكن بكل مرونة وبساطة من احتلال مناطق شاسعة طالما هابها الغزاة وتحاموها لشجاعة أهلها وبسالتهم، على يد ثلة من المجاهدين الذين لا يملكون من الأسلحة إلا ما لا يعتدُّ به مقابل ما لدى جيش المستعمر. ولكن زاغ السمع وغشي البصر وعميت الأنباء فأخذوا كوبولاني على حين غرة ونفذت العملية أسرع من لمح البصر وانسحب من لم يستشهد من الفدائيين الأبطال.

وإن تعجب فعجب قدر هذا الرجل الكوريسكي الأصل الجزائري المنشأ الذي ذرع الصحاري الشاسعة بحثا عن سر أهلها وروح ديانتها من خلال دراسة الطرق الصوفية، التي من المفارقة أنه سيقتل على يدها، وجعل من نفسه سفيرا عن بلده يفاوض باسمه القبائل يكسب ودها ويكسر شوكتها لتنضوي تحت لوائه أو تركن إلى التعامل معه مؤسسا لضرب جديد من أساليب الاستعمار وربما كذلك لنوع من حوار الحضارات. ترى هل كانت لهذا النصراني جذور بعيدة ضاربة في غياهب الماضي تمتد حتى تلامس من قريب أو من بعيد أهل الإسلام لا سيما وهو ابن منطقة عرفت باحتكاكها المستمر مدى العصور الوسطى بالعرب والمسلمين؟ سؤال يستهوي الخيال!

ومن الغريب أن علم كورسيكا ما زال يحمل إلى يومنا صورة رأس إنسان مسلم مما يفتح الباب أمام تأويلات كثيرة.

ومن المفارقة أن كوبولاني لم يكن أول من انتهج هذه الملاينة تجاه المسلمين، والمحاباة، بل سبقه إليها ابن كورسيكا نابليون بونابارت حينما غزا مصر[1]. وهكذا، بعد استشهاد الأمير بكار، أخذ ثقل المقاومة يتحول إلى الشمال حول الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل في الصحراء الغربية.

وتجمع رجال من معظم المناطق[2] وكونوا ركبا ليتوجه إلى الشيخ ماء العينين في مدينة اسماره يطلبون منه العون في المقاومة وسميت تلك السنة 1906م بعام الأركاب. أرسل الشيخ إلى ملك المغرب يخبره بمجيء الأركاب وطلبهم الدعم ورغبته في التوجه بهم إليه[3]. ولما كان السلطان عبد العزيز نفسه واقعا تحت ضغوط استعمارية رهيبة، فقد اكتفى بإرسال أربعمائة بندقية إليه وتوجيه قريبه الشريف مولاي ادريس ليشرف على الحملة[4]. ولعلّ هذه هي

---

(1) ويجدر الوقوف هنا عند نقطة مهمة نبه إليها إسماعيل ولد محمد خيرات في كتابه «التيارات السياسية في موريتانيا» (مصدر سبق ذكره، ص: 54-55)، وهي أن مقتل كبولاني كان له أعظم الأثر على هوية موريتانيا وشخصيتها الدولية وذلك أنه مثل انتصارا حاسما للمدرسة الاستعمارية الجنوبية التي كانت تعتبر موريتانيا جزءا من غرب إفريقيا بينما كان كبولاني بحكم تربيته الجزائرية ينظر إلى موريتانيا التي يسعى إلى احتلالها بصفتها جزءًا من شمال إفريقية.

(2) - ولد بيه (محمد المحجوب): مصدر سبق ذكره.

- محمد اطوير (محمدا): تاريخ حركات التحرر مصدر سبق ذكره.

- دوفور(غاستون): تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا: ق17- 1920م. (تعريب وتعليق) ولد محمد ولد بيه (المقدم/ محمد المختار).

(3) بن الشيخ مامينا (الطالب أخيار): الشيخ ماء العينين. علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي. منشورات: مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي رقم: 24. الجزء الثاني. مطبعة بني ازناسن، المغرب 2007م، ص: 242.

(4) ولد عثمان ولد زين الدين (بوها): المقاومة الموريتانية المسلحة من 1900م حتى 1932م من =

المرة الوحيدة التي أمد فيها سلطان المغرب المجاهدين بالسلاح والمؤن. ولذا، قال سنينِ ولد آمْڤارِي أحد المجاهدين من أهل آدرار[1]:

لَحَّق لي لْمغَنَّ بيظَانْ   الڤبلَه واتْرَاب السودان
بَنْ اظْمِين خَيَ بَنْ عُثمانْ   ما ڤط اسعَ كُونَ افْ لَصْلاَح
والمالْ إلّ مبيَّح كانْ   راخْ افْذ، رَاخْ افذ، رَاخْ
بيهْ الْڤيْتْ الرُّومْ فْ دَمانْ   اَ لَتْفَتَارْ الْڤيْتُ بِڤنْبَاخْ
اُ بُدَرْصْ اكْتلتُ ف مَّيْنانْ   طاخْ او لا ڤطْ اعْڤبْهَا طَاخْ
اَدرْتْ العدَّه عَنْدْ السلْطَانْ   والجَيْشْ و لاَ طَانِ مطْرَاخْ
اُهاَذْ فَ العَادَه هُوَّ كَانْ   جِهادْ المُومَنْ ف الشرَّاخْ
وِلّ مَ جَاهِدْ ڤاغْ افْ شَوْزْ   بَيَّخْ مَالُ للْكلاَّخْ
وِلْخِلاَفْ افْ دَمُّ مَذْكُورْ   كَانُ بايخْ وَلّ مَا بَاخْ

وبعد مفاوضات ومراسلات كثيرة استطاع المقاومون أن يقنعوا شخصيات مركزية أن تنضم إليهم كمحمد المختار ولد حامد شيخ قبيلة كنته الذي كان قد رجع من الحوض إلى تقانت. كما التحق بهم اَعل ولد محمد محمود ولد المحيميد في أكثر من مائة فارس من مشظوف[2]. وتوجهت المقاومة إلى هضبة تقانت حيث ضربت المعسكرات عند موضع يسمى النيملان وبدأت تتجهز للقاء.

خلال كتاب «مساهمة في التاريخ الأدبي الموريتاني من الاحتلال حتى اليوم» لمؤلفه الدكتور محمد المحجوب ولد محمد المختار ولد بيه. رسالة لنيل شهادة المتريز في التاريخ. تحت إشراف محمد عبد الرحمن ولد عمار. سنة 2004م. جامعة انواكشوط، ص: 40.

(1) أخذت هذه الطلعة من عند اعل ولد الديَّاه، شيخ الطرشان الذي التقيته في اكصير الطرشان، سنة: 1975م.

(2) مقابلة أجريناها مع السيد حمود ولد احمدو ولد لمحيميد، رئيس البرلمان الموريتاني السابق.

وفي صبيحة يوم 24 أكتوبر 1906م. الموافق 06 رمضان 1324هـ. وقعت المعركة بين المقاومة والقوات الاستعمارية بقيادة الملازمين آنْدْرِيAndrieux و افرانسو Fransu.

قتل الملازم آنْدْرِي والملازم Fransu والرقيبان فيليب Philippe وافلَريت Fleurette وعشرون آخرون من الرماة السنغاليين وهرب الباقي. وانضم المجندون الموريتانيون الذين كانوا تحت قيادة الملازم «افرانسو» إلى المقاومة واستشهد جماعة من بينهم من إدوعيش محمد المختار ولد سيدي أحمد لبات و عثمان ولد اعمر ولد بكار ولد اسويد أحمد وعثمان ولد المختار ولد عثمان ولد الرسول ولد أعل بابي ومحمد ولد بكار ولد الهيبة ولد اللب ولد خنوف وعثمان ولد الرسول ولد اعمر ولد بكار ولد محمد خون وأحمد ولد محمد فال ولد احميادة ولد الدوه ولد امحمد ولد عمار رئيس أولاد اعل انتوفقه. وحمادي ولد آجارْ السيكري وغالي ولد القاضي الاجيجبي وسيد محمد بن البيضاوي الجكني وأربعون من الأغلال من بينهم محمد الأغظف ولد الشيخ ولد الجوده وأحمد ولد أحمد ولد الحس ولد مادي التندغي وآخرون من شتى القبائل[1]. وكان عثمان ولد بكار ولد اسويد أحمد قائد إدوعيش ومشظوف ولغلال ذلك اليوم كما قال ولد حامد.

ورغم ما فقدته المقاومة من أبطال خلال هذه المعركة الضارية والعام كذلك عام جفاف[2] صعب على الناس.فإن المقاومة استمرت إذ حاصرت

---

(1) المختار ولد حامد، التاريخ السياسي مرجع سابق، ص: 196-197.

(2) Bont (Pierre): L'Emirat de l'Adrar. (Esquisses historiques.) cooperation française, Nouakchott, 1998,. P. 124

القوات الاستعمارية في مركز مدينة تجقجه يوم 06 نوفمبر 1906م وظلوا يهاجمون المركز لمدة شهر ولكن من غير أن يتمكنوا من ولوجه حتى وصل المدد للمحاصرين من اندَرْ «سينلوي» بالسنغال تحت قيادة النقيب ديفو Duveau[1] فانسحبت المقاومة إلى وادان. ورجع مولاي ادريس إلى المغرب نهائيا.

انتهت فترة المقاومة الموحدة، بهذا الحصار ورجع أهل المناطق الشرقية إلى مناطقهم وواصلت بعض العائلات والعشائر النضال واحتمت في مرتفعات أفله ولعصابه. وقد سميت هذه الفصائل المقاومة «أهل الكدية» الذين شكلوا مجموعات مسلحة متحركة احتمت في المغارات والأماكن الوعرة التي يصعب الوصول إليها ومطاردتهم فيها. وقد حاولت هذه المجموعات تنظيم حرب عصابات لاستنزاف قوة المستعمر وإنهاكه. ومن أشهر زعماء هذه الحركة عثمان ولد بكار ولد سويد أحمد وسيدي ولد الغوث واعل ولد بكار وبكار ولد محمد ولد سويد أحمد وبوسيف ولد عثمان ولد المختار ولد محمد شين وسيدي ولد بناهي وأولاد خطري ولد المجتبى وأحمد طالب ولد جدو ولد اخليفه ومحمد محمود ولد سيدي لكحل. ولا بد من التنبيه هنا إلى أن أهل الكدية أو بعضهم على الأقل لم يفرقوا بوضوح بين العدو الرئيسي والثانوي أي بين الاستعمار وبين من كاتبه من القبائل، عجزا عن الكفاح مما دفع ببعض المكاتبين إلى التعاون مع الإدارة الفرنسية والوشاية إليها بالمقاومين.[2] وليس هذا بخاص بمقاومي تلك المنطقة فالجدال الفقهي حول التعامل مع من لم يحمل السلاح ودخل تحت طاعة الغزاة نقاش

---

(1) Duveau Capitaine ،Colonne de Tagant. In : Revue coloniale، Janv – Dec 1909 ،paris, pp 601-617 .

(2) مقابلة مع القاضي أحمد ولد حكي، أجريتها معه في كيفه سنة: 1976م.

طويل ومعروف حمل بعض قادة المقاومة في الشمال مثلا إلى البراءة ممن يستحل أموال المكاتبين. وعلى كل حال فالحوادث الفردية لا تغير الصورة العامة لوطنية المقاومة واستهدافها المحتل بشكل رئيسي.

تواصلت المقاومة من آدرار باتجاه اترارزه حيث وقعة لقويشيشي[1] المشهورة يوم 28 نوفمبر سنة 1908م بقيادة احمد ولد محمد فال الملقب ولد الدَّيْد والتي أسفرت عن مقتل قائد المفرزة الفرنسية الملازم الأول ربول Reboul[2].

(1) لقويشيشي موضع في ازيار غير بعيد من سبخة انترت - آوليل - جنوب العاصمة غرب الطريق المؤدي إلى لقوارب. وفي مقابلة أجريتها مع الشاعر المرحوم امحمد ولد الميداح، في سبتمبر سنة 1976 بنواكشوط وحضرتها ابنته الأستاذة فاطمة الملقبه افُو منت الميداح، ذكر لي أنه بعد وقعة لقويشيشي قال الأديب والفنان الشعبي أحمد سالم ولد البَبَّان أبيات ساخرة منها:

إن القريب يا قريب قد حمل ... جثة ذا نصراني لا على جمل
من عندي لـﮕويشيشي للمذرذره ... عظامه من حمله تذرذره
على ثوير أصفر خنفار ... لا لصق الخنز في الخنفار
وذاك الثور اسمه بدمعا ... سبحان ربي ما أحب النفعا

(2) يروى أن جثة الملازم ربول نقلت على ثور من موضع لقويشيشي إلى المذرذره فأشاع بعض الناس الأبيات السابقة التي تسخر من هذا الموقف. نما إلى الفرنسيين أن قائلها هو الأديب العالم محمد ولد أحمد يوره فسجنوه في المذرذره رغم أن هذه الأبيات لا تشبه شعره. وفي السجن قال امحمد:

يا عقلي لا تحزن ... واطرح رصنك واسكن
واعرف عن مول المن ... إيل خظت اليالي
يصرف الامر من ... حال إلى حال

عن مقابلة أجريتها مع المرحوم الأستاذ محمد سالم ولد باكاه سنة: 1976م.

رابعًا: حملة آدرار بقيادة العقيد قورو Gouraud

كان احتلال آدرار يمثل منذ بدأ مشروع كوبولاني الاستعماري هدفًا يعتبر تحقيقه نجاحا للمهمة وذلك لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية واقتصادية في بلاد البيضان. ولذا كان كوبولاني يقول «إن من يضع يده على النخيل في الصحراء، يسيطر على البدو»[1].

ولقد كانت سنة 1908م، أكثر السنين دموية بالنسبة للفرنسيين وأعنفها مقاومة فقد أوردت كاراتيني تقريرا يذكر أن قوات المستعمر تعرضت ما بين شهري مارس ونوفمبر 1908م إلى ما لا يقل عن 135 هجوما أودت بقرابة مائتي جندي من بينهم ثمانية ضباط فرنسيين. كما غنم المقاومون حسب نفس التقرير كمية لا تحصى من القطعان وأتلفوا خطوط التلغراف أكثر من عشرين مرّة[2]. وهكذا ومع تزايد هذه العمليات الجهادية وشدة فتكها، تأكد عزم الفرنسيين على احتلال منطقة آدرار للقضاء على معقل المقاومة ودفعها إلى الخيار ما بين الهجرة إلى الشمال حيث شح الموارد وبعد الشقة أو الاستسلام. وفي هذا الصدد، بنى المستعمر مركزا عسكريا بافجوجت في يناير 1908م، كخطوة نحو آدرار[3]، إلا أنه سرعان ما أخلى إثر تعرضه لضربات عنيفة من المقاومة أودت بما يربو على 50 قتيلاً.

وفي آخر سنة 1908م، كلف العقيد قورو Gouraud بقيادة حملة آدرار وأمدته الإدارة الفرنسية بألف مقاتل، مائتانِ منهم على الجمال ويقوم عليهم 24 ضابطا و34 ضابط صف من الفرنسيين و22 ضابط صف من

---

(1) Gillier: p 176.

(2) – Caratini (Sophie): Les Rgaybât. Opcit. Tome 1. P. 124.
–Voir aussi : Gillier: opcit. p 174.

(3) Gillier: opcit : p 156.

أبناء المستعمرات و68 عريفا وفصيلة مدفعية وفصيلة رشاشات[1].

كما انطلق النقيب افريرجان Frèrejean بقوة أخف من عند موضع أقلال فاي في شمال اترارزه باتجاه أقجوجت. ولاعتماده على الحمير في النقل، بعد نفوق كثير من إبله، سميت هذه الحملة بحملة الحمير، campagne des bourricots[2].

انطلق جيش قورو من تجقجه يوم 6 ديسمبر 1908م، وقطع منطقة الخط متجها نحو آدرار فدخل أوجفت فوجدها خالية من أهلها الذين لجؤوا إلى البادية. ومن أوجفت، خرج قورو نحو الشمال فواجهته مقاومة بطولية من أكبر قادتها الأمير سيد أحمد ولد أحمد ولد عيدّه والشيخ حسنّه والشيخ الولي ابنا الشيخ ماء العينين. ويقدم الرائد جيليه شهادة عيان حين يقول: «لابد أن تقاتل البيضان، لتدرك مدى شجاعتهم، إنهم بحق خصوم خطرون»[3]. ويضيف أن الموريتانيين بعد ما قاموا به من عمليات مظفرة خلال سنة 1908م ضد القوات الفرنسية ولتحصن المقاومة في جبال آدرار التي لا يمكن النفاذ إليها إلا من خلال معابر معدودة، ما كانوا يتصورون أبدا أن الفرنسيين يجرؤون على ملاحقتهم في الشمال[4].

وواجه العقيد قورو الكثير من العمليات ففي يوم 25 دجنبر نصبت المقاومة كمينا لمفرزة من جيشه عند شمط أو أشماط بالقرب من واحة تونقاد، وقتلت منها ثلاثة عشر جنديا[5] من بينهم الجندي أعمر ولد ببكر

(1) Gouraud: Mauritanie: Adrar. Souvenir d'un africain.opcit. pp329_333.
(2) Frèrejean: opcit. pp 407-417.
(3) Gillier: opcit. p. 185.
(4) Gillier : opcit, p. 178.
(5) Gouraud: opcit, p.102.

الذي يقول Frèrejean إنه قتل الأمير بكار ولد اسويد أحمد[1].

وحاصر المقاومون عند أماطيل قوات النقيب بابلون الذي كان يعتبر أشجع ضباط الحملة. ولم ينقذه بعد أن جرح وفقد 12 جنديا، إلا العقيد ڤورو نفسه حيث توجه إليه بمن معه من قوات ليخوض معركة حامية الوطيس لإنقاذه من مأزقه.

وبعد خمسة عشر يوما من القتال العنيف الذي أخذ المقاومة على غرة بسبب اعتقادهم أنهم بمنعة في جبالهم، استطاع العقيد ڤورو مستخدما مدفعيته، أن يخترق معبر حمدون ويصل إلى مدينة أطار عاصمة آدرار يَوم 9 يناير 1909م. ويذكر ڤورو أنه أعطى الأمان لأهلها مقابل دفع ضريبة مقدارها 15 طنا من التمر.[2]

لم تستسلم المقاومة ولم تضع السلاح فقد أوقعت بجيش المستعمر عند غسرمت، شرقي أفجوجت، يوم 28 ابريل، وقتلت قائد الوحدة النقيب الباسل بابلون Bablon. وفي نفس اليوم وقعت معركة عنيفة عند قرية اكصير الطرشان على بعد 25 كم شمال أطار بين المقاومين بقيادة الشيخ الولي ولد الشيخ ماء العينين والقوات الفرنسية بقيادة النقيب دبرتوي Dupertuis، وقتل فيها الملازم فيولي Violet.

وعلى كل حال، فباحتلاله أطار، حرم المستعمر المقاومة من عاصمتها التي كانت تلتقي فيها وقاعدتها الأساسية التي تنطلق منها. وقد بدأت الخلافات تدب إلى صفوف المقاومين والصراعات القديمة تحيى من جديد مما أضعف المقاومة ودفع الأمير سيدأحمد ولد أحمد ولد عيدّه إلى التراجع شرقا نحو منطقة اظْهر ما بين تيشيت وولاته. أما ڤورو فقد واصل تقدمه

(1) Frèrejean: opcit, p.434.

(2) Gouraud: opcit, p.132.

فاحتل شنقيط ووادان وكدية الجل. وفى دجمبر 1909م، خلفه المقدم پاتى Patey. ويقول النقيب ڤاستون دوفور: «سيوفر الحوظ الذي كان ما يزال غير محتل ولا تتجول فيه وحداتنا، ملجأ وقاعدة لأعدائنا خلال سنة 1911م، ينطلقون منها لشن غاراتهم...»[1].

خامسًا: الاحتلال والمقاومة في المناطق الشرقية

في بداية يناير 1912م، أرسل خليفة ڤورو، الحاكم العسكري العقيد باتى Patey مفرزة بقيادة بنيو Beugnot إلى مدينة تيشيت حيث فاجأت في الثالث عشر من يناير، الأمير سيد أحمد ولد أحمد ولد عيدَّه ومجموعة من المقاومين. وبعد معركة استشهد فيها عدد من المجاهدين منهم أحمد ولد ابراهيم ولد مقيه، ألقي القبض على الأمير سيد احمد جريحا ونقل إلى اندَرْ Saint-Louis[2]. ومن تيشيت، أرسل باتيه كذلك مفرزة بقيادة النقيب أوبير Aubert إلى مدينة ولاته فوجد المقدم روليه Roulet قد سبقه إليها يوم 27 من نفس الشهر قادما من تنبكتو. ولأن روليه وصل الأول إلى الهدف و أعلى رتبة حيث كان مقدما أما أوبير القادم من تيشيت فبرتبة نقيب. ولأسباب أمنية أهم ، أصبحت مدينة ولاته تابعة لمنطقة تنبكتو وليس لموريتانيا.[3] وهو ما تأكد إداريا وبشكل رسمي في مرسوم 23 ابريل 1913م الذي نص على أن الحدود بين مستعمرتي موريتانيا والسودان «من مجرى كاراكورو حتى كنكوصه ثم لعيون حتى تيشيت والحدود

(1) دوفور (ڤاستون) : مصدر سبق ذكره ص 150.

(2) La Quinzaine coloniale. 16 année. 1912. Janv-Juillet. Paris, p 291-292.

(3) ولد محمد المختار ولد بيّه (محمد المحجوب): أتذكّر. ذكريات وخواطر. انواكشوط. 2004. ص 344.

الشمالية للحوض»[1].

وقد وقعت اتفاقية الحماية مع الفرنسيين في مدينة ولاته بين النقيبين Clauzel و Mangeot واعل ولد محمد محمود ولد امحيميد.

ويلاحظ أن الفرنسيين دأبوا على اصطحاب كبار الشخصيات التي سبق أن دخلت تحت سلطتهم لدى احتلالهم لأي منطقة جديدة. وكما فعلوا لدى احتلالهم أطار وكما سيفعلون لاحقا في حملتهم على اسماره، جاء مع قواتهم القادمة من موريتانيا الغربية إلى تيشيت ثم ولاته، احمد ولد محمد فال المشهور بولد الديد. وفي ذلك قال اعل ولد محمد محمود:

ال دار احجـــــــــــل وزيــــــــــد التوحيــــــــــد
الا يجــــــــب تـــــــــل ولاتــــــــه لمـــــــــسيد
عنـــــــــد كولنـــــــــل و عنــــــــد ول الديــــــــد

ويقول ولد جني الولاتي في نفس المناسبة:

بنــاء قميــة أخــصاصا بيلــدتنا مــع الــصناديرأبنــاء البنــابير
أقــوى دليــل علــى أن الالــه لــه محـض التـصرف في شـتى المقـادير

وظلت المنطقة الشرقية تابعة لمستعمرة السودان الفرنسي حتى أعادها الوالي الفرنسي Laigret[2] في سنة 1944م إلى موريتانيا لأسباب متنوعة. من هذه الأسباب أن قيادات سياسية واجتماعية من جميع جهات الوطن بذلت جهودا كبيرة لإقناع الإدارة الاستعمارية بتوحيد البلاد. وتذكر الروايات أن من بين من ضغطوا على Laigret في هذا الاتجاه، الأمير عبد الرحمن ولد اسويد أحمد وأحٍ ولد محمد محمود وعبد الله ولد الشيخ سيديا وأمير آدرار

---

(1) ولد عمار (محمد عبد الرحمن): التغلغل الاستعماري في موريتانيا من ق 19 حتى سنة 1934م. مطبعة الدستور. نواكشوط 2008. ص: 253.

(2) Laigret (Christian): La naissance d'une nation. Nouakchott. Mauritanie 1969.

أحمد ولد الداه ولد أحمد ولد عيدة وغيرهم كثر[1]. وساعد على ذالك أن لقرى كان ينتمى إلى الحركة الديغولية بعكس والى السودان.

كما أن الحاجة إلى استدعاء القوات من المناطق الموريتانية الغربية لما اضطربت الحالة الامنية في المناطق الشرقية إبان أحداث أم اشقاق الأليمة سنة 1940م ساهمت دون شك في بلورة هذا القرار.

ومن أسباب توحيد البلاد ما هو سياسي وثقافي وديني، يتمثل في أن بقاء الشرق الموريتانى وأزواد وماسينا معا جزءا من السودان معززا بدور علماء مالى ومشايخها كان قد يجعل هذا البلد كامل الإسلام والتعرب. وفي ذلك من المخاطر ما لا تتمناه الإدارة الاستعمارية.

وعلى كل حال فقد كان التوحيد سهلا لمجتمع موحد فعلا ولم تفلح ثلاثون سنة من عزل بعضه عن بعض إداريا في إضعاف عراه ولا نسيجه الداخلي.

عندما احتلت فرنسا البلاد السودانية المالية، وجدت أمامها ترابطا عضويا وصلات وثيقة قائمة بين سكانها المسلمين سودانا وعربا، فشمال يقطنه الكثير من البيضان، الذين هم امتداد بشري وجغرافي للعرب في موريتانيا.

وهكذا، عندما أخذ الاستعمار يتوغل في الشمال المالي، احتد اصطدامه بالقبائل العربية، التي كانت تقطن البلاد وتلك التي تنتجعها في مواسم الجفاف وتعتبرها مرساها الذي تجلب إليه بضائعها وتتزود منه بحاجياتها. وكانت تلك القبائل لم تزل منذ القدم تربطها بهذه البلاد علاقات تجارية تليدة، فهذه بلاد غانة وأوداغست لم يزل أهلها هم أهلها منذ

(1) أكد لي النائب الشاعر أحمد ولد عبد القادر الباحث سابقا في المعهد الموريتاني للبحث العلمي أن هذه الشخصيات وغيرها بذلت جهودا كبيرة من أجل وحدة موريتانيا،

القـدم. والقوافـل الولاتيـة والتيـشيتية والقوافـل القادمـة مـن معـادن الملـح في كديـة الجَـل وتَـاوْدَنّي ومـن واحـات النخيـل في آدرار وتقـانت لم تـزل منـذ العصور الوسطى تحمل بضاعتها إلى الأسـواقِ السودانيّة في انْيُـورُو ومدينـه-خاي وسَيْڤـو وجَنَّه وتعود منها محملة بشتى أنواع الحبوب والبضاعة(1).

ولهذه العوامـل، فـإن احـتلال الفرنـسيين لتلـك المنـاطق وفرضـهم ضـريبة العشور علـى القوافل والقطعـان منـذ تـاريخ 21 ينـاير 1891م(2) كـان ضـرية قاسية لِمصالح أهلها وروادها. كما أن الحملة الفرنسية في منطقة النهر وما واجهها من صمودومقاومة وصل صداها إلى المنـاطق الـشرقية، عوامـل جعلـت عقول بعض أهل المنطقـة تتشرب معـاني المقاومـة وروحهـا. ولـذا، لم يرضـخوا للسلطة الفرنسية بل انتفضوا ضـدها وقاوموهـا وإن لم تكـن ردة الفعـل هـذه بحكـم بنيـة المجتمـع، منـسقة ولا موحـدة بـل اتخـذت شـكل غـارات ضـد القـوات والمـصالح الفرنـسية. ورغـم هـذا فـإن المراكـز الإسـتراتيجية الـتي اتخذها المستعمر الفرنـسي في المنطقـة مثـل انيورو وبلـه وسـوكولو وتنبكتـو جعلـت أكثـر القبائـل المنميـة، تحـت ضـغط الـضرورة، تهـادن الفرنـسيين، لتتمكـن مـن انتجـاع المنـاطق «الـساحلية» الخاضـعة لـسلطتهم. ومـع ذلـك فقـد ظلت هذه القبائل كلما بدت لها فرصة سانحة لنقض تلك المعاهدات تبادر

---

(1) قام الباحث الفرنسي تيودور مونو في سنة 1964م بدراسة كمية من النحاس المشوبة بالزنك عثر عليها صيادون من آمشاريج في منطقة البنايق في المجابة الكبرى، ترجع حسب الدراسة التي أجريت بطريقة الكربون المشع، إلى مطلع ق 12م. وربما تكون قد تركتها قافلة في بعض رحلاتها لتعود إليها فلم تهتد لخلو المكان من أي أمارات. ويعتقد الباحثون أن هذا النحاس مستخرج من معدن في بلاد السوس. انظر:

Monod Théodore: Majabat Al-Koubrâ. Paris.1997. Actes Sud. pp 931-946.

(2) أول من فرضها العقيد أرشنار Archinard.انظر: مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني. تعريب محمد محمود ولد ودّادي. ص: 310.

إليها. وأكثر ما كان يقع ذلك عِندما تنزاح نحو الشمال بعد انقضاء فترة الصيف، فتستعيد قدرتها على الإغارة على المصالح الفرنسية.

ومن أمثلة علاقات أهل تلك المنطقة مع الفرنسيين أن الشيخ ولد سيدِ ولد هنون، رئيس أولاد علوش بعد أن دخل مفاوضات مع الفرنسيين في سوكولو في منطقة الساحل في أواسط سنة 1896م إنتهز فترة الشتاء للقيام بغارات على المناطق الخاضعة لهم. وبعد انقضاء فترة الشتاء عاد إلى مفاوضتهم، وهكذا دوِاليك[1]. كما أنه كان وهو يفاوض الفرنسيين لا يتوانى في إقامة صلات وثيقة بأعدائهم مثل الحاج بن بڤنو، رئيس إفلان[2] وانكونا بن حواله رئيس قبيلة إڤيلاد الطارقية[3].

ولما كان الفرنسيون مع السنوات يزدادون فهما لطبيعة المجتمع الموريتاني، فقد أخذوا يستغلون الانشقاقات التي تحدث في القبائل ويقدمون دعمهم لأحد الفروع المتصارعة ضد الآخر، في الوقت الذي يعتمدون الحذر في دعمهم لئلا يتغلب أَحد الفرقاء وينقلب عليهم بل يسعون جاهدين لإضعاف الجميع. ويعتبر هذا العامل من أهم ما حد من تعاظم المقاومة[4].

ولما احتل الفرنسيون بقيادة العقيد بُونِيَى Bonnier مدينة تنبكتو 1894م[5]، أعلن الشيخ عابدين ولد الشيخ سيد امحمد ولد الشيخ سيد

---

(1) المرجع السابق. ص: 24- 28.

(2) الحاج ولد بڤنو زعيم فلاني لعب دورًا سياسيًا بارزًا في المنطقة، كانت تربطه علاقات وثيقة بالشيخ الولي محمد الأمين ولد الطالب عبد الوهاب الفلاّلي.

(3) مارتي المرجع السابق، ص: 28.

(4) من أوضح الأمثلة على هذه السياسة، الموقف الفرنسي من الانقسام المؤقت الذي حصل بين بعض قيادات أولاد الناصر إذ يذكر مارتي أن الفرنسيين أنذروا اَعْمَر ولد أَحمد ولد لحبيب أنهم سيدخلون معه في مواجهة إن هو حاول التقارب من فرع قبيلته الذي يتزعمه حمادة ولد فال ولد أحمد ولد انبرح، المتحالف مع مشظوف. مارتي، المرجع السابق، ص: 294.

(5) لم يستمتع بونيى بنصره كثيرا إذ أنه بعد أقل من أسبوعين من احتلاله المدينة، حصلت =

محمد ولد الشيخ سيد المختار الكنتي الجهاد ضدهم وشرع في قتالهم فتعرض لحامية بقيادة العقيد غولدشين Goldschen فانتصر عليها وغنم أموالاً كثيرة[1]، ثم عاد في يونيو 1897م بمساعدة السخاوي شيخ قبيلة إيقوادرن الطّارقِي، فهاجم وأباد عند سَرَيْرَه مفرزة «صَبَاحِي» Spahis يقودها الملازمان دَشَفينِي deChevigny ودَلاَتُور de Latour واقترب من تنبكتو في مطاردة فلول المفرزة. وبعد هذا الانتصار، بعث الشيخ عابدين بإنذارٍ إلى قائد الحامية الفرنسية في تنبكتو يطلب منه اعتناق الإسلام أو إخلاء المدينة إلا أن الإمدادات التي وصلت إلى حامية تنبكتو تحت قيادة غولدشِين Goldschen اضطرته إلى رفعِ الحصار[2]. وفي 24 يونيو 1898م، عاد عابدين بحلفائه لمهاجمة مفرزة يقودها الملازم دلستير Delestre المسؤول عن دوريات النهر ولكن هذه المحاولة لم تسجل فيها انتصارات كسابقاتها[3]. فتراجع إلى الشمال حيث ظل يساعد قبيلة إيلمدن الطارِقية في جهادها ضد الفرنسيين[4]. ويمثل هذا النموذج الجهادي مثالا ناصعا على

= بينه وبين قبيلة إيلمدن الطارقية المسلحة بالحراب والسيوف، معركة عظيمة، قتل فيها هو وأزيد من ثمانين من جيشه من بينهم تسعة ضباط. انظر قصة هذه المعركة حسب رواية شاهد عيان، في:

Raille: La colonne Bonnier: massacre de Dongoï 15 janvier 1894. Reims. 1896. Imp Coopérative.

(1) مارتي (پول): كنتة الشرقيون. تعريب وتحقيق محمد محمود ولد ودادي. مطبعة زيد بن ثابت. دمشق 1405 هـ 1984 م . ص: 116.

(2) المرجع السابق: ص 116.

(3) المرجع السابق: ص 117.

(4) المرجع السابق: ص 118. وانظر النص الفرنسي:

Marty (Paul): Etude sur l'Islam et les tribus du Soudan. Tome 1. Les Kounta de l'Est. In : Revue du monde musulman. Tome 37; 1918-1919. paris, pp 99-105.

تجاوز أهل المنطقة لخلافاتهم الإثنية في مواجهة المستعمر.

ولقد كان أهل المنطقة وخاصة أتباع زاوية أخيه الشيخ سيد اعمر ولد الشيخ سيد امحمد الكنتِي في قرية المبروك يعينون الشيخ عابدين بالأخبارِ والمؤن.

وبعد فترة، أَلقت القوات الاستعمارية القبض عليه ونفته إِلى مستعمرة كوت ديفوار حيث استشهِد في سنة 1911م[1].

وعندما قام الفرنسي افزافييه كوبولاني بجولة في الحوضِ سنة 1898م، استطاع بمساعدة أعيان من المنطقة وبالذات الشيخ سيدي الخير ولد الشيخ محمد فاضل أن يعقد معاهدات مع بعض الشيوخ. وتذكر الرواية الشعبية[2] أن محمد المختار ولد محمد محمود ولد لحيميد، عقد اتفاقية مع مسؤول فرنسيٍ أطلق الناس عليه لقب «القَيْشَه»[3] عند موضع وَارْقَيْطَهْ وهو كثيب عالي الارتفاع شمالي مدينة تنبدغه.

ونصت هذه الاتفاقية على أن الحدودبين الطرفين هي ما يعرف بـ «ارجل علالْ ولد ابراهيم»[4]، والتي تمر بالقرى التالية:

---

(1) مارتي: كنتة الشرقيون. ص: 128.

(2) اعتمدنا في هذه الرواية على مقابلة كنا قد أجريناها سنة 1984م مع السيد حمود ولد أحمدو ولد محمد محمود ولد لِمحيميد، رئيس البرلمان الموريتاني في الستينيات بعيد الاستقلال.

(3) والذي يترجح أن المقصود به افْزافيى كوبولاني حسب الرواية الشعبية.

(4) علال ول ابراهيم من قادة مجموعة الرماة. وأخبرتني جماعة من أولاد ساله لمساعيد القاطنين بأم لحبال شرق عيون العتروس عن مقبرة في هذه المنطقة أكثر أضرحتها منسوبة إلى أَرْمَ (الرماة) وتليهم في الكثرة أضرحة اكسيمه وتافللات. وهذه القبائل توجد اليوم في منطقة كوش في الحوض الشرقي على الحدود بين موريتانيا ومالي وبعضها ينتمي إلى البلدين معا.

جيڤـي[1]، جيـره، اڤرنڤــه، ڤَـسَقَيْرَه، بلـه، ڤريـره، اثْرِنڤـنبُو، انيـورو. ومـن بـين بنـود هـذه الاتفاقيـة بنـد ينص علـى أنـه لـن يوقـع مـع الفرنـسيين اتفاقية حماية إلا إن تم لهم الاستيلاء على سائر أرض البيضان.

كمـا عقـدت في سـنة 1897م، اتفاقيـة مـشابهة مـع أولاد داود تبـين الحـدود بيـنهم وبـين الفرنـسيين ويتخلـى الفرنـسيون بموجبهـا عـن باسكنو التي كانوا قد احتلوها قبل ذلك بشهور[2].

وعندما شارك بعض أعيان القبائل في معركة النيملان التي وقعت يوم 24 اكتوبر 1906م، كـان مـن بينهم اعلي ولـد محمـد محمـود[3] شـقيق الامير واحمد سـالم ولـد الكيمي شيخ أولاد سـاله تمْيْدات وهـم فخـذ مـن مـشظوف، وقـد سـعيا في الحـوض لجمـع المعونـة للمجاهـدين[4]. وقـد أرسـلت

---

(1) جيكي موضع شرقي عدَّل بقرو يقع اليوم في موريتانيا. جيرَه قرية مالية، جنوب عدَّل بڤرو. ڤرنڤى قرية مالية جنوب شرق بوسطيله تقطنها قبيلة الرماه. ڤَسَقَيْرَ ه قرية مالية سوننكية تقع جنوبا من بوسطيله. بلّه مدينة مالية تقع جنوبا من جكّني. ڤرَيْرَه، مدينة مالية تقع جنوب القرية الموريتانية افْيْرَني. اثْرَنْڤنْبُو، قرية مالية تقع جنوبا إلى الشرق من افيرنـي، انيور مدينة مالية تقع إلى الجنوب من مدينة كوبني ومنذ سنوات أصبحت تربطهما طريق معبدة.

(2) مارتي: القبائل البيضانية. ص: 30. و«تاريخ الأحداث» تأليف ابَّ ولد جودتي ول ابَّ عينِي. نسخة أعطانيها المؤلف عندما زرته سنة 1976م في باسكنو.

(3) اعلي ولد محمد محمود ولد لحيميد. خلف أخاه محمد المختار على رئاسة مشظوف سنة 1909م. واشتهر بالعدل وحسن السياسة، وهو الذي وقع مع المستعمر اتفاقية الحماية يناير سنة 1912م في ولاته، وكان أديبا بالحسانية، له أشعار في الحكمة والتدبر، منها قوله:

الدرجــــه مخلوقــــــت رفٌ	يغـــير الدرجـــه قريـــت فيـــل
مـــا يقـــدر حـــد ايْحَـــشْلَفٌ	كـــان افلتـــهَ يوقـــد في الـــسيل

توفي سنة 1943م وقبره عند اعرَّام غربي تنبدغه.

(4) مارتي نقلا عن تاريخ ولاته، سنة: 1906م.

السلطات الفرنسية مبعوثا إلى الأمير محمد المختار تشتكي من موقف أخيه وتعتبر اتفاقية وارْقَيْطه لاغية، فأرسل إليهم شقيقه أحمدو ولد محمد محمود قصد إعادة الثقة[1]. و ظلت علاقة الفرنسيين بأهل المنطقة الشرقية متوترة تتراوح بين التمرد المعلن والحذر والترقب[2].

و لما احتلت فرنسا ولاته في يناير 1912م، أعلن محمد ولد عَبْدُوكَه شيخ فخذ أهل سيد من مشظوف، الجهاد ضد المستعمر[3] والتحقت به طوائف قبائل عديدة، كجماعة الداه ولد عالي ولد عثمان، من قبيلة تواجيو، الذي استشهد في هذا الجهاد[4]، وسيدات ولد محمد الأمين ولد أحمد ولد اعل مولود المسومي[5] ودَشَّق ولد سيد، من شيوخ أولاد علوش، وقد استشهد في مواجهة مع وحدة «قوميات» المتمركزة في تيشيت[6]. كما أن القبائل التي لم تشارك في القتال، كانت تقدم للمجاهدين العون بالمؤن والأدلاء والأخبار[7]. ولقد أتت حركة أهل عبدوكه في ظرف تزايدت فيه

---

(1) عن ابنه السيد حمود ولد أحمدو. ومارتي، ص: 99.

(2) ولهذا كانت المنطقة الشرقية من أقل البلاد الموريتانية احتكاكا وتأثرا ثقافيا بالوجود الفرنسي.

(3) مارتي: المرجع السابق ص: 113.

(4) انظر هامش لمحمد محمود ولد ودادي على مارتي، ص: 273.

(5) أخبرنا بهذه المعلومة الشيخ يمهل ولد حد معلوم ويمهل ولد أحمد وأحمد ولد محمد أبناء اعل مولود.

(6) المرجع السابق ص: 34. وإن كان السفير أحمدُو ولد سيدي ولد حننَّ ولد هنون له قراءة أخرى في كتابه: موريتانيا: الماضي المتحرك والمكان المؤثر – الصراع ضد الطرد من الزمن. الشركة الإفريقية للطباعة والنشر والإعلان. ص: 312. (لم يذكر تاريخ ولامكان النشر).

(7) المرجع السابق ص: 114. وذكرت لي سيدة مسنة من أهلِ الحوض سنة 1973م، أن قوات من المستعمر مرت يوما في بحثها عن أهل عبدوكه، بعالم من منطقة كوش، وهو خارج الحي ضحى يرعى عجوله، فسألوه إن كان رجال من من «أهل الكدية» قد باتوا في حيِّه =

الهجمات المسلحة ضد المستعمر في منطقة أزواد على إثر تمرد سيدي محمد ولد محمد، شيخ البرابيش[1].

قام محمد ولد عبدوكه بالجهاد ضد الفرنسيين وأخذ يثير الناس عليهم واستولى على إبل تابعة للسرية الفرنسية في ولاته. ولكن المستعمر اعتقله وأرسله إلى تنبكتو حيث مكث مدة غير طويلة. ويذكر مارتي Marty أنه كان يقول لأصحابه تهكما إنه ذهب يتنزه في ديار الفرنسيين[2]. وبعد عودته إلى مخيمه استأنف محمد ولد عبدوكه من جديد وولداه الشيخ وازوين وأنصارهم كفاحهم ضد الوجود الاستعماري.

وفي 12 يناير سنة 1916م، أرسل المستعمر أفرادا من قواته إلى أهل عبدوكه لاستدعائهم للتسجيل الاداري «المكاتبة». وتذكر الرواية الشفهية أنهم تعرضوا لمحمد ولد عبدوكه نفسه بالإهانة فقتل منهم جنديين. ومن جراء هذه العملية أعلنت كل أسرة أهل عبدوكه الجهاد وقامت بنشاط تحريضي قوي ضد المستعمر.[3]

و في 6 فبراير 1916م، هاجم أهل عبدوكه قافلة للمستعمر ذاهبة إلى تنبكتو واستولوا عليها. وفي 23 فبراير قضوا على ثمانية رماة وعريف عند موضع في أقصى الحوض يدعى يغرف[4].

=

فنفى أن يكون قد رآهم أو سمع عنهم فلم يصدقوه واعتبروه متواطئا مع المقاومة وقتلوه.

(1) Marty: Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan. Tome 1. Les Kounta de l'Est- les Berabich – les Iguellad. 212.

(2) المرجع السابق، ص: 113.

(3) المرجع السابق، ص: 113.

(4) وقد خلد المجاهدون هذه الوقعة في قول بعض أدبائهم :

برتـــــــزان انــــــزل يَقــــــرَفْ
يَقــــــرَفْ ذلْــــــكَان لاهــــــي يَقــــــرَفْ

عن مقابلة أجريتها سنة 1976م، مع أحمد محمود ولد مودّي. مجند شارك في أغلب تحركات

=

وكانت ردة فعل المستعمر قوية بقيادة النقيبين كاربُو Carbou وماركنى Marquenet وأدت إلى توزع المقاومين إلى مجموعات صغيرة طلبا للفعالية ولتشتيت جهود العدو. وظلت المقاومة بقيادة أهل عبدوكه نشطة تنفذ عمليات فتاكة. ففي ليلة 29 إلى 30 إبريل من نفس السنة 1916م هاجموا مكتب التلغراف في بوندوباد Boundobadi، وقتلوا القائمين عليه وأتلفوا الخط على مسافة طويلة.[1] وسمعت أيام الشبابِ سيدات متقدمات في السنِ، ينشدن شعرا شعبيا عن هذه الوقعة، علق بذاكرتي منه:

لخْوَيْـــــــبَ اَخْـــــــلاَتْ وانقْــــــطع مولـــــــــةَ
ويِـــــــلَ بَتْتَـــــــاتْ اَنْوَلُّوْلـــــــــــــــــــةَ
عنّـــــكْ يــــا الـــــسلك امــــــشِ فولـــــــــةَ
عنّـــــكْ يــــا الـــــسلك امــــــشِ قولـــــــــةَ[2]

وبعد مواجهات ومعارك عديدة كانت تفتقر إلى قيادة مركزية تنسقها وتدفعها إلى تجاوز شكل الغارات التي لا ضابط لها، ضعفت المقاومة وأخذ عدد المجاهدين يتقلص يوما بعد يوم حتى أفضى ذلك إلى وقوع المجاهدين محمد ولد عَبْدوكه وابنيه في يد الفرنسيين في يوليو 1916م.

وفي يوم 6 نوفمبر من نفس السنة حكم عليهم بالسجن لمدة 10 سنوات منفيين في مستعمرة ساحل العاج. وكان ذلك الحكم في الواقع حكما

=

الكتائب الفرنسية في المناطق الشرقية. التقيته في بيت السيد المحترم كاتب الضبط الطالب أحمد ولد عمار.

(1) المرجع السابق، ص: 114. وانظر:

Marty: Les tribus maures au Hodh et le Sahel. P 171

(2) انظر مزيدا من أدب المقاومة في:

Ould Boye (Mohamed El Mahjoub) : Contribution à l'hisoire littéraire de la Mauritanie, de la pénétration coloniale à nos jours. Opcit.

بالإعدام لان طبائع سكان الصحراء لا تطيق المناخ الاستوائي. وكان الفرنسيون حين يريدون التخلص من مقاوم من أهل الصحراء يرسلونه إلى المستعمرات الاستوائية كساحل العاج[1]. وهكذا استشهد محمد وابنه الزوين في فبراير 1918م من مرض الديسانتريا.[2] وأما ابنه الشيخ فقد أطلق سراحه بعد إمضائه فترة السجن وعاش حتى توفي في الخمسينيات من ق 20[3].

سادسًا: مقاومة أقصى الشمال

في الشمال الموريتاني، قام الشيخ محمد لقظف ولد الشيخ ماء العينين بتنظيم هجوم شاركت فيه أكثرية قبائل تلك الناحية على قوة فرنسية في لبيرات يوم 10 يناير 1913م وكبدوها خسائر مهمة حيث قتلوا أربعة فرنسيين من ضمنهم الملازم الأول «مارتن» Martin قائد القوة العسكرية وسبعة وستون جنديا وغنم المجاهدون ما يزيد على مائة بندقية وعشرين ألف طلقة وحوالي خمسمائة جمل[4].

وقد بادرت القوات الفرنسية بتجهيز حملة بقيادة المقدم موري Mouret وكلفتها بأخذ الثأر فاتجهت إلى اسماره مقر محمد الأقظف ولد الشيخ ماء العينين، رغم أن هذه المدينة تقع تحت الاستعمار الاسباني حسب الاتفاقيات

(1) وفي المقابل ينفون المقاومين من المناطق السودانية إلى الشمال الموريتاني. كما حصل مع الشيخ الغيني قراموغو صانفون، الذي حكم عليه وبعض تلاميذه في سنة 1909م بالأعمال الشاقة لمدة عشر سنوات في مصيدة انواذيبو.

Marty: L'Islam en Guinée. In : Revue du monde musulman. :Tome 36. paris 1918. p166-176

(2) مارتي: القبائل البيضانية. ص 115.

(3) بن سيدي ولد حنن (احمد): موريتانيا: الماضي المتحرك والمكان المؤثر – الصراع ضد الطرد من الزمن. الشركة الإفريقية للطباعة والنشر والإعلان. ص: 312.

(4) دوفور(غاستون): مصدر سبق ذكره. ص: 67.

الموقعة بين فرنسا و اسبانيا سنة 1900م. ورغم أنها وجدت المدينة خالية من أهلها الذين غادروها، فقد اجتاحت الحملة الفرنسية اسماره واستولت على جل مكتبة الشيخ ماء العينين وتآليفه ومخطوطاته[1].وبعد خروجهم من اسماره التقى الفرنسيون بجيش محمد الأقظف عند واد تقليات يوم 10 مارس 1913م ونتج عن المعركة قتل سبع وعشرين جنديا وضابطين وجرح واحد وأربعين من قوات الحملة واستشهاد أكثر من مائة مجاهد[2].

اختل نظام المقاومة في الشمال وتغير مخططها وأصبحت تجري على سنة القبائل البدوية من كر وفر. ونتج هذا التطور عن عوامل منها وفاة الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل ولد مامينا رحمه الله سنة 1910م، وهزيمة جيش ابنه الشيخ محمد الهيبة أمام الفرنسيين بقيادة الجنرال مانجين Mangin قرب مراكش سنة 1913م.

ومع هذا فإن العمليات الجهادية لم تتوقفت نهائيا بل إنها عرفت تصعيدا قويا في ما بين 1923 و 1925م، بقيادة كوكبة من القادة نذكر منهم تمثيلا لا حصرا الولي ولد الشيخ ماء العينين ومحمد تقي الله المعروف بوجاهه وأخاه محمد المامون ابنا اعلي الشيخ ولد محمد تقي الله ولد الشيخ محمد فاضل ولد مامين وأحمد ولد حمادي وإسماعيل ولد الباردي واعل ولد مياره والمختار ولد عبيد الله. ومن وجوه قادة المقاومة في الشمال ابنا عبد الوهاب، محمد تقي الله ومحمد عبد الله رغم أنهما من أشراف تيشيت في الشرق.

(1) امحمد الطوير (محمد). تاريخ حركات التحرر في العالم ص: 131 مصدر سبق ذكره وانظر:

-Berthomé (General Edouard): Méhariste en Mauritanie en colonne vers Smara 1907-1913. Karthala. Paris. 1996. P. 141.

(2) دوفور(فاستون): مصدر سبق ذكره، ص: 122 – 123.

في سنة 1923م، انقض فريق من المقاومين تحت قيادة وجاهه على مفرزة من جيش المستعمر عند اشريريق، فأبادها عن آخرها. ثم هجموا على حامية للمستعمر عند انواذيبو في 26 مارس 1924م. ثم بعد هذه المعركة، هجموا على مفرزة للمستعمر تحت قيادة النقيب اتوان Thoine عند موضع بوقرن، فغنموا إبلا كثيرة. وفي هذه الوقعة استشهد قائد المجاهدين وجاهه فى 05 مايو 1924م[1].

وفي يوم 23 اكتوبر 1924م، انتصر المقاومون عند لقديم قرب وادان على مفرزة من حامية آدرار، قتلوا منها 37 جنديا وغنموا إبلا كثيرة. وتشير الفرنسية كاراتيني إلى أن تركيز المقاومين على المفارز الحامية لقطعان إبل المستعمر يقصد به قبل كل شيء شل حركته بانتزاع وسائل نقله.

كما قتلت المقاومة، في شهر ابريل في وقعة الطريفيات 17 جنديا واستشهد قائدها الشريف محمد عبد الله ولد عبد الوهاب[2].

بعد عودته إلى الحكم وفي آدرار، ظل الأمير سيد احمد يستغل نفوذه لدفع القبائل للخروج عن سلطة الفرنسيين إلا أن هؤلاء اكتشفوا موقفه المعادي لهم فاستدعوه إلى اندرْ حيث مكث سنتين في الإقامة الجبرية قبل أن يعاد إلى الإمارة ولكن بصلاحيات محدودة. وعند عودته وجد الأمير أن بعض أهل إمارته قد تخلى عنه وبدأوا يميلون إلى قيادات جديدة موالية للمستعمر. وبعد سنين من محاولة استعادة مركزه خرج الأمير إلى الشمال[3]

(1) Gillier: opcit. p. 259

(2) أجريت في 23 سمتبمبر 1975م عند تض شمال اكصير الطرشان مقابلة مطولة مع سيني ولد الدرويش أحد المجاهدين الذين شاركوا في الكثير من المعارك وتم القبض عليه بعد معركة تگيگلْ في الحوض.

(3) يجب أن لا نغفل الدور الكبير الذي لعبه المقاومون في الشمال في حث الأمير على الهجرة إليهم، واستئناف الجهاد، ولهم في هذا أشعار من أحسنها طلع للمجاهد الدخيل ولد سيدي باب كقوله:

=

حتى بلغ موضع الغلاوية فعلم الفرنسيون بذلك وأدركوا أنه خرج مهاجرا عنهم فأرسلوا في إثره قوة بقيادة الملازم ميسا Mussat لحقت به في صحراء أمقطير يوم 14 مارس 1932م. تمالأ بعض قوميات [القوم] الموجودين في هذه القوة مع الأمير وفتكوا بها وقتلوا الملازم ميسا Mussat وجميع المجندين وسار الأمير مسرعا نحو القبائل الشمالية التي كانت ما تزال تقاوم سلطة الفرنسيين. وفي الطريق لم تعد حلة الأمير قادرة على مواصلة السير فحطت غير بعيد من مكان المقاومين في موضع يدعى وديان الخروب. بقي الرجال في الحلة وواصل الأمير في أفراد من أسرته ونفر يسير من أنصاره حتى أدركهم النقيب لكوك Lecoq وقوة من 300 فرد يوم 19 مارس 1932م. وقعت المعركة واستشهد سيد أحمد رحمه الله صبيحة ذلك اليوم، بينما تمكن من تهريب ابنه للوصول إلى مأمنه عند قبيلة ارقيبات[1].

وكرد فعل على ذلك، هاجم رجال المقاومة بقيادة احمد ولد حمادي واعْل ولد ميارة القوات الفرنسية في آدرار واستولوا على قطيع كبير يتجاوز الألف رأس من إبلها. وكانت آخر معركة مسلحة كبرى بين غزي شرواطة[2]

=

يَجْمُـوعْ العريـانْ الكِبَّـارْ   والطَّلْبَـهْ والـشرْفْ لَحْـرَارْ
هَـنُّ عَـنْكُمْ كثْـرِتْ لَخْبَـارْ   سِـيرْ شَـوْر الكفْـرْ اغْـزُولْ
مَزِلْـتْ حَـيِّين القَهَّـارْ   مِـنْ غَـدْ إشْـلاَهْ اثقُولُـولْ
لاهِـي يَـقْـبَـظْ مِـنْكُمْ لَغْمَـارْ   بقُوَّتِيـهِ وَحَـوْلْ
وامْتَـيْن إعْطَـاكُم مَـن مَـدْ   قطْـبْ الـدَّوْلَ لا تْزَخُـولْ
كُـلْ امْنَـادِمْ يِنْـزِلْ جهْـدْ   بَـلْ فَيْدِيـهْ أوْطُوعُـولْ
سِـيرْ شَـوْر إغْـدُوكُم واغْـدْ   مُـولاَنَ وَاغْـدْ رَسُـولْ

(1) للمزيد من المعلومات الرجوع للمراجع الشفهية حول هذا الموضوع ومن اوضحها جماعة اكصير الطرشان ومنين بنت الحيدب الدليمية التي كانت شاهد عيان حيث كان عمرها آنذاك قرابة ثلاثة عشر سنة، واحمد سالم ولد باقاه الذي سجلنا منه كل التفاصيل 1976م الواردة في كتاب ألفه حول تاريخ موريتانيا وهو مخطوط موجود عند ذريته.

(2) غزي شرواطه اسم يطلقه الموريتانيون على جمع من المجاهدين انطلق من تيرس شمالا =

والقوات الاستعمارية في موقع أم التونسي حيث هجم المجاهدون - الذين كان جلهم من أولاد ادليم في يوم 18 أغسطس 1932م على ما يسمى تجمع اترارزه المتنقل Groupement Nomade وكادوا يبيدونه عن آخره وأسفر الهجوم عن قتل الملازم ماكماهون Mcmahon وهو نجل رئيس سابق لفرنسا وخمسة ضباط آخرين وقرابة خمسين جنديا؛ بينما خلف المجاهدون وراءهم سبعة وعشرين شهيدا [1].

سابعًا: أسباب توقف المقاومة المسلحة

لعل شراسة المعارك الأخيرة التي شهدتها الساحة الموريتانية في سنة 1932م كانت بمثابة شَدْوِ التَّمِّ «chant du cigne» قبل موته وخاتمة الإبداع لنضال مسلح بطولي ضد الغزو الأجنبي، توافرت عوامل طبيعية وعسكرية وسياسية جعلت من مواصلته أمرا مستحيلا. ونقتصر من تلك العوامل على الآتي:

1. أدرك الفرنسيون أن ما يواجهونه مقاومة وطنية حقيقية وليست عمليات لصوصية معزولة وهذا يتطلب وضع سياسة جديدة تتماشى مع هذا الواقع. وفي هذا المعنى يظهر تقرير للإداري كارد Carde، صدر سنة 1925م، أن الفرنسيين كانوا قد بدؤوا يدركون أن الهجمات التي يتعرضون لها ليست كما اعتقدوا طويلا، مجرد غارات يقوم بها بعض قطاع الطرق واللصوص؛ بل هي حركة مقاومة وجهاد واع لهدفه وهو إخراج المستعمر من البلاد. وبناء على هذا الفهم الجديد، سلك الفرنسيون أسلوبا آخر في مواجهة المقاومين يعتمد قبل كل شيء على الضغط على قبائلهم لمنعهم من المشاركة في العمليات ولكي

= (وادي الذهب) وجاب أنحاء البلاد حتى انتهى به المطاف بأم التونسي على ساحل المحيط شمال انواكشوط، على طريق أكجوجت.

Caratini (Sophie): Les Rgaybât. Opcit.. 189

(1) Desiré Vuillemin (Geneviève): Opcit, p. 526.

يغدو المقاومون معزولين حتى في بيئتهم[1].

2. تركزت حركة الرفض للمستعمر في فترتها الأخيرة في مناطق أقصى الشمال ولم يعد بوسع المقاومين أن يتزودوا في سنوات الجدب من آدرار والساقية الحمراء لأنهما منطقتان أصبحتا في قبضة المستعمر الفرنسي والاسباني. ولما منيت المنطقة الشمالية في مطلع الثلاثينيات بفترة من الجفاف بلغت ذروتها في سنة 1933م، اضطرت القبائل إلى النزوح جنوبا طلبا للمراعي والانتجاع. وقد أدرك الفرنسيون أهمية الظرف فاستغلوه بأن أيدوا هذه الهجرة وشجعوها وتقبلوا عروض المسالمة بشروط مع القبائل[2].

3. أحكم الفرنسيون، بالتعاون مع الإسبان، تطويق المنطقة لقطع الإمدادات العسكرية والميرة عنها. ولهذا الغرض أنشؤوا مراكز عسكرية على مشارف الصحراء وتخومها.

4. جند الاستعمار من قبل من أهل البلاد التعاون وكون قوات متنقلة وتقصُّ آثار المقاومين وخاصة بعد أن استطاع الفرنسيون أن يصلوا بين قواتهم في آدرار ونظيرتها في التوات الجزائري يوم 5 ديسمبر 1920م، عند بير لِمْزْرَّبْ بمنطقة الحنك فسهل بذلك تتبع أخبار الغزوات والتبليغ عنها في أقصر مجال[3]. كما أصبح للتكنولوجيا دورها في الحرب حيث ظهرت الطائرات وأصبحت تشارك في العمليات العسكرية في الصحراء.

5. ويضاف إلى ما سبق، طغيان الخلافات والنزاعات بين القبائل مما حال بينها وبين الاتحاد في وجه المستعمر. وترجع هذه الخلافات في أكثر

(1) Caratini (Sophie): Opcit. p. 171.

(2) محمد امحمد اطوير: تاريخ حركات التحرر في العالم، مطابع الوحدة العربية ،الزاوية، ليبيا 2002م. ص: 131.

(3) Une reconnaissance au Sahara Occidentale. In Bulletin de la Société de géographie. juin-dec paris, 1921. p350.

الأحيان إلى العصبية العمياء التي يغذيها المستعمر ونادرا ما كانت بسبب اختلاف حقيقي في المصالح. ولئن كان الانتماء إلى الطرق الصوفية لعب عند البعض من أهلها دورا أساسيا في تعبئة الموريتانيين للجهاد فإنه في نفس الوقت كان حائلا دون الوحدة في كثير من الأحيان.

6. إن الحالة العامة في العالم في هذه الفترة والأوضاع السياسية في مختلف البلدان المستعمرة قد مالت إلى المسالمة والموادعة واتباع أساليب أخرى لطرد المحتل حين عجزت المقاومة العسكرية. وظلت تلك الروح سائدة إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية على إثر الحرب العالمية الثانية.

وللأسباب السابقة وغيرها، توقفت عمليات المقاومة المسلحة ودخل الناس أفواجا في سلم المستعمر وسجلوا في سجلاته المدنية فسميت سنة 1933- 1934م في الشمال «عام المكاتبيه». وهكذا نجح مشروع كوبولاني الاستعماري بعد ما واجهه من كفاح مرير ألحق بقوات المستعمر خسائر فادحة.

ولكن الشعب الموريتاني إنما وضع البندقية ليستمر بحكمة في مقاومة أكبر -كما سنرى لاحقا- في وجه الغزو الفكري والديني[1].

❁❁❁

---

(1) ونورد هنا طلعة قالها أديب من آدرار يوضح الأسباب التي أدت بهم إلى المكاتبة:

لَحْـق لَـلْ يرْسَـلْ بَخْبَـارْ	الثُّـوْبَ والجَـنّْ والنَّـارْ
والهجْـرَ والفيـهْ إلْمَـدَارْ	اعْقُـوبَ يَحْسَـنْ لعْقُـوبَ
عَـنْ هَـذْا مـن لَغْـرَبْ لَحْـرَارْ	والـشّْرْفَ جمْـلَ مَهْيُـوبَ
سَـابِقْ ذْ واثْـرُوقْ الكفَّـارْ	مَحَـدْنْهَمْ فيْـهَ جَـوْبَ
انْـقْـلْبَـتْ مَاصَـابِنْهَ عَـارْ	واهْنَـاتْ اوْ عَـادَتْ مَثْلُـوبَ
وذاك الّْ فَعْلَـتْ مَـا هُـو ظَـارْ	فَ الثُّـوْبَ بيـهَ المَكْتُـوبَ

،،، الخ

الجزء الخامس

الاحتلال والمقاومة المدنية

أولاً: المقاومة الاجتماعية

لقد أدرك الفرنسيون من تجارب احتكاكهم بالمسلمين في الغرب الإفريقي أن الإخضاع العسكري وحده غير كاف، ما لم يدعم باختراق ثقافي لذهنية تلك الشعوب يقنعها بدونيتها ويغرس شرعية الوجود الاستعماري في أعماقها باعتبارها مدينة له بما هي فيه بعد أن كانت من قبله دون رتبة الإنسان تعيش على هامش التاريخ والحضارة. ويظهر هذا التوجه جليا من كلمات النشيد الذي كان التلاميذ يرددونه في المدرسة الاستعمارية:

فرنسا! يَدُك القَوِيّة كسَّرَتْ قُيُودَنا
من بَعْدِ أَنْ كَان الطّواغيتُ يَبيعُونَنا كما تُباعُ الدَّوابُّ
نَحْنُ أبناؤُك فَخْرُنا أنْ نَحْمِل اَسْمَك
حرَّرْتِنَا وصيَّرْتِنا بَشَرا
سلامٌ عليكِ فرنسا ومُجِّد اسمك
نُحِبُّك كما نحبُّ أُمَّهاتِنا
لأنَّنَا نَدين لك
بِنِهَايَة مآسِينا القَدِيمَة
ومثْلُ الشَّجَرة العِمْلاَقَة الَّتِي تُهَيْمِنُ على صِغَار الشَّجَر
ماضيك المَجيد يَنْتَصِبُ في التَّاريخ[1]

---

(1) Dia (Abdoulaye Alassane): Opcit. P. 16.
France ta main puissante a brisé nos liens
Des tyrans nous vendaient comme des bêtes de somme
Et nous tes fils sommes fiers de porter ton cher nom
=

ولقد استطاع الفرنسيون بوسائلهم المتنوعة وخاصة المدرسة، أن يسلبوا فئاما من أهل المنطقة هويتهم ويستهووهم إلى متابعتهم وخدمتهم بتفان وإخلاص. وكما يقول الأديب المؤرخ المالي أحمدو هامپاتي با في كتابه آمْقولْلْ [1]: «لقد كان بوياقي فاديكا (معلمه في المدرسة) كما يسمونه، نتاج ثقافة فرنسية خالصة وحقا هكذا كانوا يريدون: أن يفرغونا من ذاتنا ويشحنونا بعادات وأنماط التفكير الاستعماري. ولست أستطيع أن أزعم أن هذه السياسة كانت دائما تفشل في ما يخصنا، فإن المسخ الذي مني به المستعمَر وصل أحيانا إلى درجة أن المثقف والمتمرِس بالحضارة الفرنسية لم يكن يرنو في الحياة إلى ما عدا تقمص شخصية المستعمِر بتقليده في ملبسه ومأكله وأحيانا في دينه بل وحتى في عاداته المستهجنة.

وقد ظلت هذه الحالات، رغم الجهود الجبارة التي بذلها المستعمر شاذة منبوذة من المجتمعات المسلمة التي لم تقبل أن تسلخ من هويتها أو أن تستبدل ثقافتها بثقافة وافدة ولو فرضت بالبندقية. وظل أهل المنطقة ـ وهم المنفتحون بطبعهم ـ المتسامحون بثقافتهم منغلقين على ذاتهم لا يقبلون الدخول في طوق المدارس الفرنسية[2] أو التجنيد ويفرون منهما قدر ما استطاعوا. لم تعط

=

Tu nous delivras et fis de nous des hommes
Salut France et Gloire à ton nom
Nous t'aimons comme notre mère
Car c'est à toi que nous devons
La fin de nos vielles misères
Comme un arbre géant domine les buissons ، ton
Grand passé se dresse au dessus de l'Histoire…

(1) Robinson (David) et Triaud (Jean-Louis) : Le temps des marabouts. Karthala. Paris, 1997, p125.

(2) لقد ظل الموريتانيون حتى نهاية الاستعمار أقل أهل المنطقة دخولا في المدارس الفرنسية فلم =

كل المساعي التي بذلها المستعمر في الحرب العالمية الثانية لإرغام الموريتانيين على المشاركة في تحرير «الوطن الأم» la mère patrie فرنسا ما كان يرجوه من نتائج ولقي عراقيل كثيرة.

وكذلك فشل الاختلاط الاجتماعي، فكانت المرأة الموريتانية رغم حريتها وقوة شخصيتها، تأنف وتستنكف من الزواج بالمستعمرين وعندما يدخل أحد أعوان الإدارة من الأجانب حيا يصعب عليه أن يتمكن من رؤية وجه امرأة إذ يتوارين ويضربن بخمرهن على وجوههن. وفي الحالات النادرة التي تم فيها الزواج جرى ذلك في المدن التي استوطنها العسكريون طويلا ووجدت بها المراكز الطبية والتجارية، التي يأتي النسوة إليها صحبة ذويهن للعلاج وقضاء حوائجهن، ومع الزمن والخلة تتزوج المرأة من عسكري أو إداري فرنسي صادق الإسلام أو متظاهر به، لإرضاء ضميرها ومواجهة المجتمع. كما ساهمت الظروف المعيشية الصعبة التي شهدتها المنطقة إبان الحرب العالمية الثانية، في إضعاف تلك الحواجز النفسية والدفع ببعض الموريتانيين إلى الانفتاح على المستعمر.

وكذلك فإن أرباب الأسر كانوا يتجنبون تسجيل كامل أفراد أسرهم في سجلات الإحصاء الاستعمارية ويتهربون من تسجيل مواشيهم ودفع الضرائب عنها. ولقد ظلت العقود الاجتماعية والتجارية والخلافات المدنية والجنائية تدار وفق أحكام الشريعة الإسلامية. لقد جعلت كل هذه الصنوف من المقاومة المجتمع الموريتاني يحافظ على ذاته وكيانه ولا ينسلخ منها ويذوب في الوافدين الجدد.

=

تبلغ نسبة التعليم الفرنسي بينهم، سنة 1960، إلا 7، 3٪ .

ثانيًا: المقاومة الثقافية

اعتاد كثير من المؤرخين أن يميزوا الاستعمار الفرنسي ذا الإدارة المباشرة من البريطاني القائم على إيجاد وسطاء محليين يتولون عن البريطانيين إدارة المستعمرة. والحق أن التقسيم الصحيح أو الأنسب هو الذي يفرق بين الاستعمارين بميل الفرنسي إلى الإخضاع الثقافي والاستيعاب الحضاري لما يحمله في زعمه من قيم ثورة 1789م وميل البريطاني إلى دمج المستعمر بما فيه من فوارق ومميزات(1). وكلا النموذجين يضعان المستعمَر في علاقة تبعية سياسية واقتصادية تجاه المستعمِر. وإنما يتميز الاستعمار على النمط الفرنسي بسياسة الاختراق الثقافي الذي يعمَد إلى تكريس وترسيخ ثقافة المستعمِر. يقول المفكر المغربي محمد عابد الجابري ملخصا هذه السياسة إن فرنسا استعملت «الثقافة وسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية أولا ثم لترسيخها ثانيا. لقد كانت البعثات التبشيرية والرحلات الاستكشافية والإرساليات التعليمية، إضافة إلى ظاهرة الاستشراق، هي الوسائل الثقافية التي استعملتها، في القرن الماضي، من أجل التعرف، وبالتالي السيطرة، على بلدان العالم الثالث. وبعد هذه المرحلة التي كانت تمهيدا للاحتلال العسكري الاستعماري بدأت نمطا آخر من الاختراق الثقافي قوامه غرس نظام تعليمي جديد في البلاد المستعمرة، نظام ينشر ثقافة المستعمر لغته وآدابه وتاريخه ومظاهر حضارته، مخترقا بذلك ثقافة الشعب المستعمر على المستويات كافة. وكان الهدف من ذلك علاوة على نشر ثقافة المستعمر وفرض هيمنته الفكرية، تكوين نخبة من أبناء الشعب المستعمر تكون واسطة بين الإدارة المستعمرة وأهل البلد المستعمر على المدى

(1) Conrad (Philippe) : France et Angleterre, deux Histoires differentes. In : La nouvelle revue d'histoire. N: 22. Janvier Fevrier paris 2006

القريب لتتحول بعد ذلك إلى نخبة مثقفة حاملة لثقافة (الغرب)، وأكثر من ذلك عمدت إلى سلوك سياسية ثقافية ترمي بصراحة وإصرار إلى إحداث شروخ في ثقافة البلد المستعمر، كما حاولت أن تفعل في كل من تونس والمغرب وموريتانيا، بل ولقد عمدت إلى التخطيط لتدمير الثقافة الوطنية للشعب المستعمر والعمل على استتباعه استتباعا حضاريا كاملا كما حاولت أن تفعل في الجزائر»[1].

وكان من أهم الوسائل والإجراءات التي ابتدعتها فرنسا للوصول إلى هذا الغرض ما يلي[2]:

- تشييد المدارس في البلاد وتحريم الكلام على الأطفال باللهجة العربية الحسانية داخل أسوارها
- فتح سجلات لمراقبة مشايخ المحاظر تحتوي أساسا على ثلاث خانات:
  - المشايخ الذين تجب مكافحتهم
  - المشايخ الذين يجب الحذر منهم
  - المشايخ الذين لا خوف منهم
- محاربة بناء المساجد والمدارس القرآنية
- تعيين قضاة الشريعة الاسلامية وتقليص مجال عمل المحاكم الشرعية الاسلامية.

ومن باب عزل المسلمين بعضهم عن بعض على أسس عنصرية اعتنى المستعمر بمحورين أساسيين: التضييق على توجه الحجاج إلى البلاد المقدسة والتضييق عليهم بعد رجوعهم ومحاربة دخول الكتب العربية الإسلامية

---

(1) الجابري (محمد عابد) :المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى بيروت 1994 ص 180-181.

(2) Moreau Rene Luc: Africains musulmans. Ed : Presence africaine, paris 1982 p 191.

القادمة إلى البلاد.

1-التضييق على الحجاج:

لقد كان الحج فرصة سنوية للاطلاع على ما يجري في جهات أخرى من العالم الاسلامي والتواصل معه والتأثر بالأفكار التي تتحرك فيه. وكانت بلاد المسلمين في تلك الفترة وخاصة بلاد الحجاز ومصر تموج بأفكار التحرر والنهوض. وقد خشي المستعمر أن تعرف تلك الأفكار طريقها إلى غرب افريقيا على أيدي الحجاج وما لهم من مكانة في النفوس. وكان قد خبر عددا منهم كالحاج عمر وممدو لمين.

وفي هذا الصدد كتب ڤاليني Galienni بعيد استشهاد المجاهد ممدو لمين ادرامى، آخذا العبرة من هذه التجربة: «ما كان لحركة ممدو لمين أن ترى النور لو أننا كنا أوقفناه ونفيناه منذ أول يوم عندما قدم إلى خاي، حاجا بسيطا سبحته في يده في شهر سمتبمر 1885م. فعسانا نستفيد من مثل هذه التجارب»[1]. وبالفعل فقد استفادت الإدارة الفرنسية من هذه الملاحظة وبنت عليها سياستها[2] تجاه الحجاج فكانت كلما أحست من حاج أمرا يريبها، قبضت عليه ونفته كما فعلت بالشيخ حماه الله[3] والشيخ أحمد بمبه وغيرهما. بل كان الفرنسيون يتشددون في منح الإذن للناس بالحج. فلا

(1) BATHILY (Abdoulaye) : conférence du 25 avril 1969. « Mamadou lamine dramé et la résistance anti impérialiste dans le haut Sénégal (1885_1887) ».
notes africaines n° éditeur 125 juin 1970 p28.

(2) تتميز الإدارة الناجحة بهذا النوع من التراكم المعرفي فكل إداري جديد يبني على ما سبقه من جهود ويواصلها.

(3) Traoré (Alioune): Islam et colonisation en Afrique, Cheikh Hamahoullah. homme de foi et résistant. Ed : Maisonneuve et Larose. Paris.1983.

ينالـه إلى القلـة وبعـد لأي. وعلـى العكـس مـن ذلـك سـهلوا زيـارات شـيوخ الصوفية والأضرحة لمضاهاة الحج.[1]

2-محاربة دخول الكتب العربية:

أما محاربة الكتب والمطبوعات فهي وسيلة أخرى لتحقيق نفس أغـراض الحـصار الفكـري والحـضاري. ولتحقيقهـا وبنـاء علـى تعليمـات ويلـيم پونتي William Ponty بتـاريخ نـوفمبر 1911م فرضـت رقابـة صـارمة علـى دخـول الكتـب. وعملـت الإدارة الاسـتعمارية علـى ألا يكـون الأفارقـة المـسلمون في غرب إفريقيا بما فيهم الموريتانيون على علم بما يجري شمال إفريقيا والـشرق الأوسط لئلاً تصيبهم عدوى الأفكـار «التخريبية» لليقظة الاسلامية.

سـعت الإدارة لتقليص وجود اللغـة العربيـة وانتـشارها[2] وشـددت مراقبـة المحـاظر وهمـشت خريجيهـا بينمـا عـززت نفـوذ وسـلطة أبنـاء المـدارس الّـتي أسستها. لاستقطاب الناس[3]. ويقـول صـاحب كتـاب «الأفارقة المسلمون» إن العلمـاء والمـشايخ الـذين لهـم شخـصية وكفـاءة علميـة شـلت قـدراتهم بوضـع بعـضهم تحـت الرقابـة وبإبعـاد وإقـصاء بعـض آخـر. كمـا أن بعـضهم ابتعـد بنفسه عن الأنظار باختياره وبعض تعامل مـع الإدارة لا لقناعـة منـه بل للـدفاع عـن نفـسه وقومـه والإصـلاح بـين النـاس وتخفيـف سـلطة الفرنـسيين علـيهم. وبنحـو هـذا أجـاب شـيرنو أمـدو مختـار صَاخُو القاضـي الأعلـى لمنطقـة بوفـي صديقه ألفا هاشمي تال الذي كـان قـد فـضل الهجـرة إلى المدينـة المنورة، لمـا لامه على قبول هذه الوظيفة[4].

---

(1) Robinson (David) et Triaud (Jean-Louis:) Le temps des marabouts. Karthala. paris 1997. p544.

(2) Moreau (Rene Luc): Africains Musulmans Opcit. p 192

(3) Robinson (David) et Jean-Louis Triaud: Opcit. p. 287.

(4) Robinson (David) et Jean-Louis Triaud: Opcit. p. 221-245.

ولقد أدرك الموريتانيون أن هذه السياسة رغم ما ألبست من مسوح الطيبة لا ترمي إلا إلى هضم ذاتهم وشخصيتهم العربية الإفريقية الإسلامية والقضاء على دينهم ومدارسهم المحلية لإبدالها بوسائل نشر الثقافة الاستعمارية لعزلهم عن العالم العربي الإسلامي والاستحواذ على تاريخهم وتحريفه وصياغته حسب أهواء الاستعمار. ولهذا قاوموا الاستعمار الثقافي بعزم لا يلين واعتبروا أي تهاون في مجابهته تهاونا في الدفاع عن الدين الاسلامي الحنيف. ولم يألوا جهدا في محاربة المدرسة الفرنسية وقاطعوها، رافضين تعليم أطفالهم فيها. كما امتنع الكبار عن التدريس فيها رغم ما يوفره ذلك من موارد مالية وجاه عند المستعمر(1).

وقد اعتبروا المدرسة نازلة فقهية وطرحوا على بساط الجدل الفقهي مسألة حكم إرسال الأطفال إليها. وفي هذا يقول محمد بن محمد المصطفى البارتيلي مستفتيا العلماء:

ملح البلاد ما جواب سائل عن حكم أمر في البلاد نازل
إسلامنا أولادنا الصغارا طوعا إلى مدارس النصارى

وصدرت فتاوى نثرية ومنظومة تحرِّم دخول الأطفال للمدارس الاستعمارية. ومن ذلك قول العلامة محمد حامد ولد آلا الحسني:

فبادروا الدين إن الدين مذ زمنٍ ما لم تلافوه في حال من الهون
و الدين مبقاه أن تأتي الصغار به وحيث لا فإذا لم يبق من دين
والناس إن أفسدوا دين الصغار رضوا بالمحو للدين من كل الدواوين

---

(1) لمزيد من التوسع انظر الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط. ص344 وما بعدها. وانظر: بنت الامام (فاطمة): المقاومة الدينية من خلال المحاضر. بحث لنيل الإجازة في التاريخ. جامعة نواكشوط. كلية الآداب والعلوم الانسانية. قسم التاريخ. إشراف: الاستاذ ازيد بيه بن محمد محمود. السنة الجامعية 1989 - 1990.

وليس يرضى بمحو الدِّين غيرُ عَمٍ   عن نهج الايمان والإسلام مفتون
لموتهم عندنا خير من أن يلجوا   فيما به طلبوا من أهل سجين [1]

ونتيجة لهذا النضال، بدأت الادارة الفرنسية تفهم بشكل أكثر وضوحا الخصوصية الثقافية للموريتانيين وتبني على ذلك الفهم استراتيجية جديدة حيث ورد في تقرير لكوبولاني ما نصه: «إن المناطق الصحراوية مأهولة بمجموعات مستقلة تمتلك ثقافة فكرية وأخلاقية أعلى مما هو موجود لدى رعيانا في شمال إفريقيا وهم متمسكون بدينهم وبعاداتهم البسيطة وأعرافهم البدائية والتي تعطي مع ذلك الانطباع بأنها بقية حضارة قديمة أرقى بكثير من الأوجه من حضارة أجدادنا في القرون الوسطى»[2].

وهذه الملاحظة نفسها نجدها عندالحاكم الفرنسي لغرب إفريقيا بتاريخ ديسمبر سنة 1902م حيث يقول: «لقد وجدنا شعبا يمتلك ماضيا مليئا بالأمجاد والفتوح ما تزال عالقة بأذهان أبنائه، كما وجدنا مؤسسات اجتماعية لا نستطيع تجاهلها، نظرا لعلاقات التضامن الوثيق التي تسود بينها، رغم بداوة هذه المؤسسات وتمزقها بسبب الحروب الداخلية... وعليه فإنه لايمكن مقارنة هذه الشعوب بالشعوب الوثنية المجاورة...[3] ومن العجيب أننا لاحظنا وجود ثقافة رفيعة لدى الفئة العالمة منهم أكثر تطورا من الثقافة الموجودة لدى مثقفي افريقيا الشمالية»[4] وفي تقرير آخر كان

---

(1) ولد آلا (محمد حامد): ديوان وشعر الشيخ محمد حامد بن آلا، تحقيق أحمد سالم ولد محمدُوبدون دار نشر، طبع سنة 1997. ص 157.

(2)) BA Aliou Ibra: Les mauritaniens face à la pénétration française de 1900 à la 1ère guerre mondiale. Mémoire de maîtrise d'Histoire. Sous la direction de Mme Coquery-Vidrovitch. Université Paris VII. 1975. p 18.

(3) ولد النحوي (الخليل): مصدر سبق ذكره. ص 339.

(4) انظر: بن صدفن (محمد الراظي): السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ص 95 =

صاحبه على قدر كبير من الصراحة مع إدارته ومن الإنصاف للموريتانيين يقول مسؤول التعليم الابتدائي، Chaigneau سنة 1934م: «إن البيضان المسلمين كان لهم منذ قرون وما زال، علماء وفقهاء وأدباء معروفون في جميع البلاد الناطقة بالعربية. ونتفهم أنهم، لغيرتهم على وطنهم، لا ينظرون إلى حضارتنا بحماس... إن الثقة معدومة بيننا الآن»[1].

وفي نفس السياق، يقول حاكم موريتانيا المشهورLaigret الذي وحد الحوض مع بقية البلاد سنة 1944م[2]: «إن المقاومة الاسلامية للتعليم الفرنسي في موريتانيا مقاومة صلبة» وبرهن على ذلك بقوله: «إن السكان الذين أسلموا منذ قرون، وكان لهم وما زال فقهاؤهم وعلماؤهم، لا يمكن أن يروا حضارتنا بعين الاعجاب التي ينظر بها إليها الوثنيون. ثم إن موريتانيا من البلاد التي تمثل الثقافة فيها قمة المجد وبها مدارس كثيرة ومكتبات تمثل شواهد حية كمكتبة شنقيطي»[3]. وأشاد الإداري بيري J. beyries بمدى اتساع معارف الموريتانيين حيث قال: «لقد لاحظت انه لا يوجد أي مجتمع بدوي يبلغ مبلغ البيضان في العلم بالعقيدة والتاريخ والأدب والفقه وعلوم العربية ... إنهم يتحدثون العربية الفصحى بطلاقة ويسر أحسن مما يتحدث بها سكان تونس والقاهرة»[4]. ولعل هذا ما جعل الفرنسيين يطلقون على موريتانيا بلد الحضارة البدوية le pays de la civilisation nomade مستغربين أن يوجد لدى شعب بدوي يعيش بين الرمال والهضاب القاحلة أدبا

= نقلا عن: A.N.M. Serbe

Lettre adressée à Mr. Le Ministre des colonies، E1/8

(1) ولد النحوي (الخليل): مصدر سبق ذكره. ص 354.

(2) Laigret (christian): La naissance d'une Nation. Opcit.

(3) ولد النحوي (الخليل): مصدر سبق ذكره، ص: 354. مع بعض التصرف.

(4) الخليل النحوي المصدر السابق نقلا من تقرير لـ Beyries الارشيف السنغالي دكار الملف 78 / 9 G ص 355.

وثقافة على هذا القدر من التطور. والحق أن سر ذلك كله ليس إلا المحاظر؛ تلك الجامعات المتنقلة التي مكنت الموريتانيين أن يجعلوا من صحرائهم منارة شاهقة للحضارة العربية الإسلامية.

وقد ارتأينا إفراد المحاظر بعنوان مستقل لأهميتها في هذا السياق.

ثالثًا: المحاظر

إن سعة اطلاع الموريتانيين على علوم العربية وآدابها والتاريخ والفقه وأصوله، التي بهرت الفرنسيين وأعجبوا بها أيما إعجاب ما هي إلا ثمرة جهود جبارة وعطاء متواصل للمحاظر الموريتانية التي كونت العلماء والأدباء وأحيت العُلوم حين كادت سوقها في سائر الأقطار الإسلامية أن تبور. والمحاظر هي التي نشرت الإسلام وبثت علومه وغرست حضارته ولغته لغة الضاد في صدور الناشئة على اختلاف أصولهم وتباين أَحْوالهم.

وكان لهذه المدارس الموريتانية الفريدة نظام تعليمي متكامل ملائم للبيئة الصحراوية والحياةالبدوية التي يعيشها أهل البلاد آنذاك. هي لا ترتبط بمحل أو بناء ثابت وإنما تنزل بمنزل الشيخ المدرس وتنتقل بتنقله فيظل الدرس مستمرا لا ينقطع. وعن ذلك عبر أحد علمائها الأجلاء المختار ولد بون فقال مفتخرا:

ونحن ركب من الأشراف منتظم   أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا
ننمى لحمير والأحوال شاهدة   أسلافنا الغر من أبناء قحطانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة   بها نبيِّن دين الله تبيانا

وهو ما عبر عنه أيضا بعض تلاميذه حين قال:

لك الله من شيخ إذا ما تبوأت   تلاميذه مأوى لنصب المدارس
يفزع نون البحر طورا وتارة   يهدم جحر الضب في رأس مادس

وتختلف برامج المحاظر باختلاف علمائها المدرسين فيها واختلاف

مطالـب مرتاديهـا[1]. فمـن المحـاظر مـا هـو متخـصص في القـرآن الكـريم وعلومه ومنها ما يعنى باللغة العربية ومنها محاظر أخرى بلغت مبلغ الجامعات الكبرى في العـالم الإسـلامي كـالأزهر والزيتونـة وفـاس[2] باتسـاع مجالها وشمولها وإن امتازت عن تلك الصروح الباسقة بالحرية في اختيار مادة الدرس والتدرج في العلوم. و ما يميزها كما لاحظ الطيب ولد عمر ولد الحسين هـو أن المعلـم لا يلقـي دروسـاعامة بـل يفـسر مـا درسـه الطـلاب مـن النـصوص والمتون[3]. ولقلـة الكتب في المنطقـة، اعتمـدت المحـضرة على مـنهج الحفـظ فكان على الطالب استظهار المتون في شتَّى الفنون. ولتيسير الحفـظ شـاعت نظم المتون المدروسة كما فعل الشيخ محمـد المـامي بنظمـه لمختصر خليل في الفقه المالكي في عدة آلاف من الأبيات.

وتأخذ المحظرة عادة اسم العالم الذي أسسها حتى ولو كـان يـدرِس بها علماء آخرون وتـستمر باسمـه بعـد موتـه إن وجـد مـن أبنائـه مـن يتـولّى أمرهـا. وليس لعدد الطلاب بالمحظرة من حد معلوم بل يزيد وينقص باختلاف فصول السنة. ويدرس الطلاب فرادى أو في جماعات تدعى كلها «دولـة» أو «راحلـة» إذا كـانوا يدرسـون نفـس المـتن. ويدرسـون في أيـام الأسـبوع كلـها إلا لـيلتي الاثـنين والأربعـاء ومـا بـين ضـحى الأربعـاء وظهـر الجمعـة. وتلـك عطلـة تعـود حسب ما يروى إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطاها لطلبة العلم من أبناء أهل المدينة لما خرجوا في استقباله عند عودته من تسلم مفـاتيح

---

(1) انظر في تفصيل برامجها: رسالة «النفحات الرندية في ذكر العوائد البيضانية» مـن تـأليف العالم الأديب إبراهيم بن الشيخ سيديً. مخطوط بحوزة ابنـه القاضي محمـد ولـد ابـراهيم ولدينا منه نسخة.

(2) الخليل النحوي: مصدر سبق ذكره، ص: 212.

(3) ابن عمر بن الحسين (الطيب): تحقيق إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين للعلامـة بـاب ولد الشيخ سيديا. دار بن حزم. بيروت الطبعة الأولى: 1418 هـ- 1997م، ص: 35.

بيت المقدس[1]. وأما ليلة الأربعاء فيتلو فيها التلميذ من ثمن إلى ثمنين للصغار وحزب إلى خمسة أحزاب للكبار المتفوقين وذلك لمعرفة أيهم أكثر حفظا وضبطا. كما «يطرح» أي يترك الطلاب الألواح لمدة ثلاثة أيام قبل عيد الأضحى وثلاثة بعده ومثل ذلك في عيد الفطر والمولد النبوي الشريف. ورغم حُب طلاب المحاظر للعلم والمواظبة على اكتسابه إلا أنهم كانوا حريصين على الاستمتاع بعطلهم الأسبوعية والموسمية ويرددون «أنظاما» باللهجة الحسانية للتنفير من الدراسة في العطل معناها أن من أراد الدراسة فيها لن يستطيع الدراسة في الأيام المعهودة للدراسة:

الْ دَارْ التَّحْصيل فيام التعطيل
يلقّاه التعطيل فيام التحصيل

ولطالب العلم الحق في النزول أثناء عطله تلك عند أي عائلة شاء من الحي وهو ما يعتبر شرفا لتلك العائلة.[2] كما كان طلبة العلم يحظون باحترام المجتمع ودعمه المادي والمعنوي إذ هم في نظره أبطاله وحملة مشاعل الهدى فيه وحماة حضارته ودينه والممسكين بمفاتيح صلاح الدنيا والآخرة. ولهذا، كانت ضريبة المجتمع، كما يقول الأستاذ محمد المصطفى ولد الندى رحمه الله، موضوعة عنهم فلا يلزمون باحترام الأعراف والعادات

---

(1) يقول بعض الموريتانيين:

وتلك سنة قد سنها عمر ويل لمن خالف من بها أمر

(2) الف العلامة محمد مولود اليعقوبي «مدونة» تتناول العلاقات داخل المحظرة. توجد منها نسخة بمكتبة عائلته وأخرى بالمعهد التربوي الموريتاني. كما كان من المفضل لرواد المحاظر دراسة مدونة «النصيحة الكافية» للعلامة لمرابط يحيى ولد أحمدو فال التندغي التي تتناول كل الفضائل في علاقة الإنسان بربه وتحصيل العلم ومكارم الأخلاق والصبر وتوجد في مكتبة عائلته. والعلامة المرابط يحيى هو القائل البيت المشهور:

وفعل ما لا ينبغي لا ينبغي لتندغي ولا لغير تندغي

الاجتماعية. وكل تصرفات طالب المحظرة مغتفرة لأنه كما يقال «تليمذ غربي» أي مغترب عن أهله لطلب العلم. وكان لتلاميذ المحظرة حق في شاة من كل حفل عقيقة. وعند حفلات الزواج، تخصص لهم ولأساتذتهم تكرمة. وحين يكمل الطفل سفر القرآن الأول يَكتب على لوحه بالصمغ الأحمر وبطريقة مزخرفة أول سورة كهيعص ويدور هو وزملاؤه على حيهم والأحياء المجاورة يقرؤونها أمام كل خيمة لكي تعطيهم أمها مساعدة وإذا لم تفعل تفاءلوا لها الطلاق بدعاء يحفظونه. وعند ختم الطفل للقرآن الكريم تقيم عائلته وليمة للتلاميذ والشيخ إكراما لهم[1]. والمحظرة تصوغ روادها نفسيا وجسميا وعلميا فتؤهلهم لمواجهة المستقبل وتحثهم على الاجتهاد والتحصيل المتواصل للعلم وكانت تدور في المحاظر حكم وادبيات منها: البطنة تذهب الفطنة (تعزى لعلي كرم الله وجهه) وكذلك:

لا بد للزاوي من كناش يكتب فيه قاعداً أو ماشي

والزاوي المقصود به هنا طالب العلم.

النحو زين للفتى يكرمه حيث أتى
من لم يكن يعرفه فحقه أن يسكتا

وقال العلامة محمدي ولد سيدي عبد الله لابنِ أخته الشيخ احمد ولد الشيخ محمد الحافظ:

لا تخل نفسك من مجد تماز بهِ فالديك لولا وجود الدال لم يبنِ

ولم يكن شباب المحاظر يفوتون نصيبهم من المساهمة في الأدب الشعبي وكان لأدبهم طابعه الخاص وهو على ثلاثة أنماط:

1. ضبط وحصر الكلمات القرآنية ونظمها خوفا مما يسمونه آمْرازَ

---

(1) للمزيد من المعلومات عن المحاضر ودورها استمع لمحاضرة للشيخ العلامة محمد الحسن ولد الدَّدَوْ تجدها على موقعه في شبكة الانترنت.

ومفردها أَمَرْزي، وهي كلمة من بقايا اللغة الصنهاجية تفيد التشابه. وهنا تعني التشابه بين لفظ موجود في آيات قرآنية متفرقة. والنظم يسهل على الطالب تمييز الكلمات المتشابهة كل في موضعها الصحيح . ومثال ذلك هذا النظم الذي يميز بين وجود «هو» وعددها، وعدم وجودها في الآيتين الكريمتين «ذلك هو الفوز العظيم، وذلك الفوز العظيم»:

ذلك هو الفوز العظيم ست   والْ دايرها يطرح بال
يحكم لفظ هذا حت   باش إجاوب لل سال
آمنوا ذلفيهم معدود   إن شجرة فيه اتعود
قَولُ غافر ماه مجحود   بين ذوك اَلْ مزال
وما تكون بلْغ المقصود   ألم ياتيهم لا يزال

أو للتمييز بين الحكم والحكمة:

خبر الْحكْمة إلى دخلُ تَايْ   محّصْ بَيْدَك مِن تَحت الْحَايْ
وإلى مرق نعيطك أراي   ضم المحص ول تخسرْ

أو متى تفتح وتضم كلمة حدود:

واحد منكم لبعير إقود   والثاني يتلب مسعودَ
تلك تتلبه حُدُودُ   ومن يتعد حدُودَ

وهناك حصر لبعض كلمات وردت في القرآن مثل كلمة لزاما وطعاما وأنعاما وكراما وهذه بالذات تسمى الثنائيات أي وردت كل منها في القرآن الكريم مرتين فقط:

لِزَامًا «با» كان يَكُون لِزَاما   أزكى طعاما جحيما وطعاما
أيدينا أنعاما خلقنا أنعاما   مروا كراما حافظين كراما

2. ضبط كتابة بعض الكلمات والحروف مثلا: يذكر الناظم أن هناك حروفا إذا كانت في أواخر الكلم فلا تنقط:

حُـــروفُ يُنْفِـــقُ إذا تَطَرَفَــتْ   فَعَرِّهــا مِـن نَقْطِهـا حَيْـثُ أَتَـتْ

ومتى تكتب التاء في بعض الكلمات تاء أو هاء :

التَّـاي المطلـوص اعرفنـاه   سَـاكن وَلَّ بعـد الـسُّكُون

وَلَّ بعـد اعيـاط الحقنـاه   وبَعْـد الكَسْرِ اطْلِيص مَضْمُون

مثال ذلك:

ساكن: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: 5].

بعد السكون: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: 9].

بعد اعياط (نداء): ﴿إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: 26].

بعد الكسر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: 9].

3. يتعلق بالشؤون الاجتماعية: كان تلاميذ المحاظر في المجتمع التقليدي يسكنون عموما في زرائب من أغصان الشجر أو في أخصاص أو دور خارج الحي وعادة قبالته في الجهة الغربية. ولكن تلك العزلة لم تكن تامة ولا دائمة.

وإذا وقع تجمع بمناسبة اجتماعية لفتيان وفتيات الحي وبه طرب وارتجال للشعر الشعبي يرسل أحدهم خفية قطعة أدبية يعبر فيها عن مشاعره دون أن يوقعها باسمه أو يفصح عن اسم المعنية، وإذا اكتشف فإنه كثيرا ما ينتهز فرصة عطلة الأسبوع ليرتحل نهائيًا. وذلك ما ينطبق عليه قول الشيخ سيديا ولد المختار ولد الهيبه رحمه الله:

ومـا أفـسد الألـواح والهـم والتقـى   كبيضِ التراقِي حالكات الذوائب

رِقـاق الثنايـا مـشرِفات الحقائـب

وكان من عادة أهل الحي بل والشيخ نفسه أن يزوجوا من رأوا فيه نباهة من طلبة العلم فيهم حتى يستوطن المجموعة ليعطيها قوة ورفعة أو ليكون امتدادا لها في المستقبل إذا رجع إلى أهله.

ومن ميزات أدب المحاظر الاكثار من تضمين القرآن الكريم ومصطلحات العلوم الشرعية كقول أحدهم:

آنَ بـيٌّ فـلت جنْسِي بَيْنَـاتُ النَّاسُ الْغَدَّارَ
ومَـا أُبَـرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لأَمارَه

و قول الآخر:

منـت أحمد يهْـلِ دَهْـرا منعتن من غيد قهـرا
مخـلاةً يهـل نهْـرا منـه نطعـم المسكين
وفيهـا أنهـار خمـرٍ لـذَّة للشاربين

وقول الآخر:

أعْظَـامِي مَـاتُ ف إجُّـولَ سَابِـڤ مَـا وفْـفتْ أَقَـامٍ
عـدت إلاَّ وافـف لاحـولَ قـال مـن يُحْـيِ العظـامِ

ومن الأدب المعروف في بعض المحاظر، كما يقول الباحث أحمد ولد حبيب الله: «أن الطلاب يجتهدون في تحرير رسالة ويضمنوها وصف ما هم عليه من فقر وفاقة ويمجدون العلم ويسردون فوائده ويذكرون ما أعد الله للمحسنين من جميل الثواب ويهددون من غُلّت يده إلى عنقه... وهي رسالة يمتزج فيها الجد بالهزل يستمتع الناس بقراءتها ويتسلون، ولكنهم لا يستطيعون إلا أن يأخذوها مأخذ الجد فيستجيبوا لما فيها»[1].

تلك بعض جوانب المحظرة التي كانت بحق سر قوة مقاومة الموريتانيين في هذه البلاد على المستوى الثقافي. هِيَ الْمَوْطِن الذي يَلْتَقِي فيه الشباب من كل الأعمار ومن كل العناصر وكل الألوان لا فرق فيه بين عربي ولا عجمي إذ كل طلبة العلم سواسية يسودهم عموما الحب والتضامن

(1) ولد حبيب الله (أحمد): تاريخ الأدب الموريتاني. خلاصة جهود تأريخه وتأصيله وتصنيفه. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 1996م. ص: 241.

والتفاهم. وكذلك كانت تلتقي فيها معارف مختلفة حيث يُدَرِّسُ فيها علماء من جهات مختلفة وتنسج داخلها علاقات متعددة وتقام روابط مع عائلات العلم في نفس المنطقة وخارجها وفي الأقطار المجاورة والعالم العربي والاسلامي فهي مثال المجتمع الموريتاني في انفتاحه وتسامحه وانصهار جميع مكوناته بعضها في بعض[1].



(1) تناول بول مارتي بقدر كبير من التفاصيل محاظر إفلان والبيضان في كتابه الاسلام والقبائل السودانية.

كلمة ختامية

آمل أن أكون قد وفقت في جعل قراء هذا الكتاب على تنوع أصولهم واختلاف ألسنتهم يجدون فيه ما يرتاحون له من تاريخ قومياتهم وأدوارها داخل النسيج الموريتاني.

إن التنوع الثقافي الموريتاني لم يضق يوما بالاختلاف ولا سلك مسلك الإقصاء بل كانت السمة الغالبة عليه التعايش والانسجام وقبول الموريتانيين بعضهم لبعض، وأمثلة هذا التعايش والتمازج الضاربة في أعماق التاريخ تفوت يد الحصر.

وحسبنا هنا التذكيرُ بالتحام جهاد مرابطي التكرور وسلي وسنغان بإخوانهم الآخرين من صنهاجة العرب، فرئيس مملكة منا التكرورية لبي بن وار جابي كان يجاهد مع أمير الحق يحيى بن عمر اللمتوني المتمردين على المرابطين وأحمد بن أمدو جنو ملك سلي كان إلى جانب أبي بكر بن عمر يوم فتح درعة.

وكان لجند السودان دور مذكور في معركة الزلاقة إلى جانب يوسف بن تاشفين.

والحق أنّ دولة المرابطين كانت جهدًا مشتركًا فجميع الموريتانيين بمختلف قومياتهم أسهموا في المعارك الجهادية التي خاضها المرابطون، كما أن للمرابطين بعدا إيديولوجيًا مؤسسًا في المخيلة الجمعية الموريتانية بكل مكوناتها العرقية.

إن أهم ما نستنتجته من هذا البحث هو أن الشعب الموريتاني من أكثر المجتمعات انسجاما ثقافيا واجتماعيا وعقائديا، ألف الله بين قلوب بنيه بالإسلام وحبا بلاده بنهر وبحيرات ماء عذب وكثير من المعادن والثروات الأخرى.

وما كانت نقطة ضعف شعب موريتانيا المزمنة إلا أنه بعد انحلال دولة المرابطين لم يقم نظامًا سياسيًا مركزيًا يضم شمله.

واليوم وقد منَّ الله علينا بدولة لمّت شَعَثنا وجَمَعَتْ كَلِمتنا، يتحتم علينا كافة أن نحمد هذه النعمة ونعمل بكل ما أوتينا من قوة على ترسيخ وجود هذه الدولة موقنين أن الضامن الحقيقي لأمننا ووجودنا - بإذن الله سبحانه وتعالى- هو استمرار الجمهورية الإسلامية الموريتانية قويّة وراسخة وموحَّدة.

وشرط ذلك تماسك مكونها الرئيسي بتغلبه على القبلية والفئوية والزبونية. وكذا العدالة والانصاف اتجاه جميع مكونات البلد. وجعل مصالح الدولة فوق كل شيء.



الملاحق

الملحق الأول:
مأخوذ من «نظم في الدولة اللمتونية»:
لمحمد امبارك اللمتوني

وأمر يوسف أهله وبنيه	لكنه أخره حر بقي
فبعده أبو بكر ثم ارتحل	صوب الزهراء وجرى امن فشل
ونسله ابن تاشفين التوفي	بعدهما ومنها الأرض عمرت
وعشر ما دان بتنفراد	عليه أمن خالق العباد
فبايع الناس أخاه أحمدا	وقام ذا الكلاء عليهم أمرا
فخر لموت ثم بايعوا النصير	الأمتني نجل يوسف الأمير
فقام فيهم أربعين حقبة	فمات ثم بايعوا لعقبه
ابن ابنه وقام ستين سنة	[illegible] على القفاري حاكما أحسنه
ثم ابنه المدعو بالبشارة	قد بايعوه نحو بالإمارة
وقام فيهم ثلاثين سنة	ثم ابنه البادي الملقب أرنة
عشرون حقبة فأعمر ابنه	ست وأربعون كان فلته
فمات ثم بايعوا محمدا	البنبري الأمتني هكذا
عشرة من السنين ونزل	عن ملكه تعرضوا وفشل
واقتسمن دولتهم موزعة	عن فشل على رجال أربعة
أحدهم يدعى ببيلق الأسن	ابن محمد الأمير أحمد
وابن الأمير الأخفعي أعمرا	الأمتني بن الأمير عميرا
والهاشمي الأفع المرابط	العلوي الحسني الضابط
حفيد لعفوه وعالم الزمن	وبضعة الرسول ذو الخلق الحسن
ولم يزل خلافهم يزداد	وتكثر الأفساد والعناد
حتى تفكك لشأنهم احد	من لقموه بث وهو وعدد

البربري

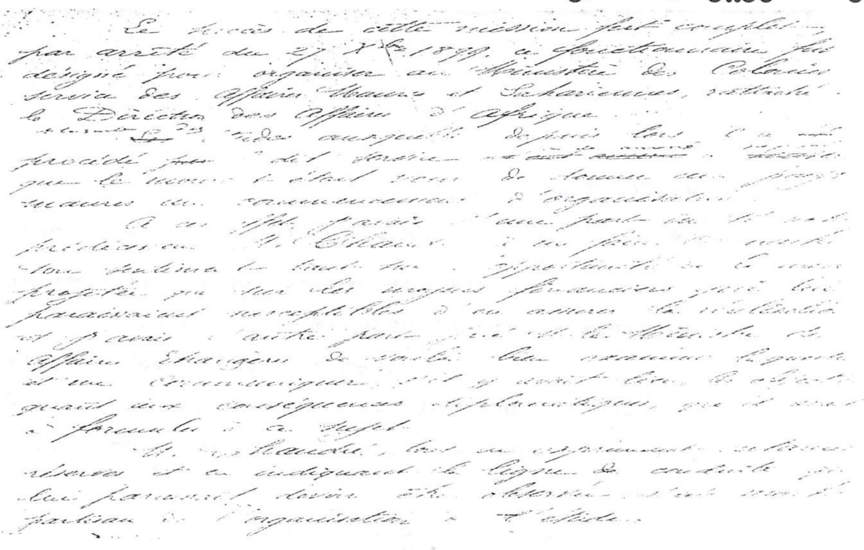
النظم الذي بحوزتنا طبق الأصل من نسخة نقلها محمد محمود بن السالك بن الصيام الحاجي، لفضيلة القاضي بيه بن السالك وذلك بتاريخ 04 - 07 - 1986م. بكيفة.

الملحق الثاني

الصفحة الأولى من رسالة المغيلي إلى الأسكيا محمد

الملحق الثالث :

1- رسالة وزير المستعمرات:



Le succès de cette mission fut complet. Par arrêté du 27 X^bre 1899, ce fonctionnaire fut désigné pour organiser au Ministère des Colonies le service des Affaires Maures et Sahariennes, rattaché à la Direction des Affaires d'Afrique.

[illegible] idées auxquelles depuis lors il a été procédé par [illegible] que le moment était venu de donner aux pays maures un commencement d'organisation.

A cet effet, j'avais d'une part [illegible] M. Coppolani [illegible] toutes [illegible] projetées par [illegible] financières [illegible] susceptibles d'en amener la réalisation et j'avais d'autre part [illegible] le Ministre des Affaires Etrangères de [illegible] bien examiner [illegible] et me communiquer s'il y avait lieu les objections [illegible] aux conséquences diplomatiques, que [illegible] formuler à ce sujet.

M. [illegible], tout en [illegible] et en indiquant la ligne de conduite qui lui paraissait devoir être observée, [illegible] partisan de l'organisation [illegible].

MINISTÈRE DES COLONIES

1^re DIRECTION

1^er BUREAU

[illegible]rganisation des Pays [illegible]aures

Lettre modifiée au cabinet du ministre par M^r Jean Decrais d'accord avec M^r Binger

Bon à [illegible]

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LIBERTÉ — ÉGALITÉ — FRATERNITÉ

Paris, le 14 Novembre 1900

1 dossier [illegible]

M. [illegible]

Monsieur le Gouverneur Général,

Depuis de nombreuses années, le Gouvernement se préoccupe d'établir des relations plus effectives entre nos possessions de l'Afrique occidentale et celles de l'Afrique septentrionale.

C'est dans ce but, qu'en 1898, M. Coppolani, Administrateur de communes mixtes d'Algérie, fut chargé d'une mission politique au Soudan, dont l'objet principal était : 1° de prendre contact avec les peuplades maures et touaregs dans les terres situées sur la rive [illegible] du [illegible] et au nord de la ligne de ravitaillement de [illegible] Nioro et Tombouctou ; 2° d'obtenir la soumission des tribus rebelles ; 3° d'établir parmi elles un courant de relations politiques.

[illegible]sieur le Gouverneur général de l'Afrique occidentale française.

2- رسالة أخرى من وزير المستعمرات:

M. COPPOLANI chargé sous votre haute Direction de l'organisation du protectorat dont il s'agit se met en rapport avec vous pour la préparation du projet d'organisation à intervenir.

Vous voudrez bien me faire connaître le plus tôt possible les mesures qui auront été prises en conséquence de la présente communication.

Recevez...etc.........

Le Ministre des Colonies:
Signé: Albert DECRAIS.

Ministère
des
Colonies.
---&&---
1ère Direction.

1er Bureau.

COPIE
%%%%%%%

Copie

ORGANISATION
des PAYS MAURES et TOUAREG.
%%%%%%%%%%%%

PARIS, 30 DECEMBRE 1899.

M. Le GOUVERNEUR GENERAL de l'AFRIQUE
Occidentale française
Saint-Louis.

Monsieur Le Gouverneur Général,

J'ai l'honneur de vous adresser, ci-joint, copie d'une décision en date du 27 Décembre courant, portant organisation sous le nom de " MAURITANIE OCCIDENTALE" des régions s'étendant de la rive droite du SENEGAL et de celles comprises entre KAYES et TOMBOUCTOU au cap JUBY à l'ouest, c'est-à-dire jusqu'aux confins du MAROC et au Nord jusqu'au Sud Algérien.

Je vous prie de vouloir bien vous pénétrer de l'esprit de ce document et de donner les ordres nécessaires pour que les conditions pratiques d'une organisation autonome reposant sur les bases qui s'y trouvent développées soient immédiatement mises à l'étude.

D'autre part il conviendra de vous préoccuper, dès maintenant, de trouver dans vos revenus locaux les ressources permettant de faire face aux exigences financières que va créer cette nouvelle organisation.

M. COPPOLANI.

الملحق الرابع:

1- خطاب السيد جاورا صار:

L'ENSEIGNEMENT DE L'ARABE EN AFRIQUE OCCIDENTALE FRANÇAISE

une remarquable intervention de M Diawar Sar, Grand Conseiller

Au cours des travaux de la dernière session, la Haute Assemblée fédérale a eu à examiner une proposition de résolution M. Léopold Sédar Senghor, professeur agrégé, député du Sénégal et Grand Conseiller.

La Mauritanie, intéressée au plus haut point, a activement pris part aux débats. Voici, à cet égard, les termes de l'intervention concise de M. Diawar Sar, porte-parole de la Délégation mauritanienne au sein du Grand Conseil:

Messieurs،

La Délégation de la Mauritanie s'associe sans réserve à la proposition de résolution de notre Collègue, M le professeur Senghor, tendant à l'organisation de l'Enseignement arabe en Afrique occidentale française.

M. le Rapporteur de la Commission des Affaires sociales devait souligner l'effort qui a été fait dans ce sens en Mauritanie où non seulement des Médersas fonctionnent depuis plus de trente ans, mais où un arrêté du Gouverneur a institué depuis novembre 1947 l'enseignement franco-arabe dans les écoles primaires. Les anciens élèves des Médersas, titulaires du Brevet d'Etudes franco-arabes, se rencontrent nombreux dans les diverses branches de l'Administration comme interprètes-traducteurs, comme commis, comme adjoints d'enseignement. Ils forment un noyau important d'élus dans les Assemblées délibérantes nées de la Constitution de 1946.

Nous avons connu un temps pendant lequel les Médersas de la Mauritanie étaient florissantes. Elles étaient, alors, dirigées par d'éminents professeurs provenant de l'Afrique du Nord, notamment de l'Algérie, et instruits en arabe et en français. Ils étaient secondés par des érudits en arabe recrutés dans le pays même. Depuis deux ou trois ans ces maîtres algériens sont remplacés par des instituteurs européens qui, ignorant tout de la langue arabe, se trouvent par conséquent, malgré leur bonne volonté évidente, dans l'impossibilité, non seulement de l'enseigner, mais de contrôler même le travail de leurs adjoints. Ainsi fonctionnent actuellement les Médersas de Boutilimit, d'Atar, de Kiffa, de Timbedra, de Tidjikja. Deux d'entre elles ont la chance d'avoir parmi leur personnel, des instituteurs autochtones qui sont arabisants.

Puisqu'en Mauritanie, les Medersas existent, elles ne demandent qu'à être réorganisées de telle sorte que les élèves ayant parcouru le cycle des études puissent, dans un avenir prochain, rendre les services appréciables en Afrique occidentale ou obtenir des bourses pour la Métropole ou l'Afrique du Nord en vue de leur perfectionnement et de la conquête de diplômes de qualification métropolitaine.

Ces boursiers, de retour dans le pays, nantis de connaissances sûres, d'une expérience réelle, avec un horizon élargi par des contacts extérieurs, constitueront une élite de professeurs dont notre Enseignement aura bien besoin dans sa marche vers le progrès concret.

Du reste, les chaires d'arabe dont la création est demandée dans les Etablissements du second degré gagneraient à avoir comme titulaires des gens du pays suffisamment pénétrés des besoins des aborigènes et rompus à la technicité pédagogique. Elles sont une nécessité dans le Territoire que je représente, où l'arabe impur, si

vous voulez, mais quand même l'arabe, est le parler courant des autochtones. Le dialecte maure dérive de cette langue, et je me permets d'affirmer que pour la Mauritanie, l'Arabe a plus d'utilité culturelle, plus d'utilité pratique que l'Anglais ou l'Allemand. Qu'on le veuille ou pas, le Mauritanien cherchera toujours à se perfectionner dans sa langue, sans pour cela, ruminer un désir secret de s'assimiler ou d'être assimilé aux habitants des pays dits arabes. Son conservatisme farouche, irréductible l'attache, comme le lui permet d'ailleurs la Constitution de la IVè République, à ses vieilles habitudes, à ses coutumes ancestrales, à ses croyances religieuses, partant, à son statut personnel. A ce propos, je rappelai, il y'a deux ans, dans une intervention sur la renonciation au statut personnel par les citoyens de l'Union française que, depuis 1918, la France avait ouvert aux anciens sujets les portes de la citoyenneté par la naturalisation mais aucun Mauritanien n'avait jamais demandé à renoncer à son statut pour acquérir la qualité de citoyen français. Ce n'était pas qu'il dédaignait cette distinction si recherchée, mais il tenait à son statut particulier.

Mes chers collègues, vous avez voté lors de la dernière session un texte important, dont la nécessité à l'évolution rapide du pays est incontestable, mais dont l'application peut susciter quelques difficultés dans les territoires très islamisés comme la Mauritanie où la culture arabe a précédé l'Enseignement du Français. Il s'agit de l'arrêté n°1691/ I.N.T/ I.P., du 4 mai 1949 portant sur:

1. L'obligation de l'enseignement primaire pour tous les enfants à partir de l'âge de 7 ans.

2. L'obligation de la fréquentation scolaire pour tout enfant inscrit sur le registre d'une école primaire.

C'est la loi du 22 mai 1946, sur la scolarité dans la Métropole qu'on a essayé d'appliquer timidement en Afrique occidentale française, en limitant ses effets immédiats à la capacité des

bâtiments scolaires affectés aux cours préparatoires. Je sais ce qui s'est passé au Soudan, je l'ai déploré. Je sais qu'il faut, pour promouvoir un pays, instruire la masse, perfectionner l'élite. Mais en Mauritanie, croyez-vous sincèrement que les habitants accepteraient d'envoyer, de gaieté de cœur, leurs enfants de 7 ans à l'école française sans que ceux-ci apprissent le minimum de ce que leurs parents considèrent comme les exigences de leur statut personnel ?

Ce qui s'est produit au Soudan s'était produit en Mauritanie. C'était pour remédier aux difficultés de recrutement et à la désertion des écoles que le Chef du Territoire avait crée par arrêté n°1184 du 6 novembre 1947 l'enseignement franco-arabe dans les écoles primaires, comprenant que l'enfant mauritanien doit être instruit en arabe comme le veulent les coutumes et les traditions de son pays. Cet arrêté local est d'ailleurs conforme à l'arrêté général n°2576 I.P., du 22 août 1945 qui, réorganisant l'Enseignement en Afrique occidentale française prévoit, en ses articles 4 à 31, des dispositions particulières qui permettent aux Chefs des Territoires de créer dans les écoles primaires un enseignement franco-arabe.

Pour la Mauritanie, il s'agit de tenir compte de traditions particulière, car la Nation française s'était bien engagée en souscrivant à la Charte des Nations Unies d'assurer, comme le prévoit l'article 73, le progrès politique, économique et social des populations d'Outre-Mer en respectant leur culture. Il s'agit aussi de se pencher sur le préambule de la Constitution de la République et de se rappeler la définition de l'Union française qui écarte l'assimilation dont on peut dire qu'elle dépersonnalise les autochtones de l'Afrique française.

Ce n'est pas au moment où le problème de la scolarisation totale de l'enfance dans les Territoires d'Outre-Mer est posé devant les Assemblées métropolitaines, ce n'est pas au moment où l'on

parle d'instituer des centres de culture locale dans nos pays que nous devons sous-estimer l'étude de l'arabe et de toute discipline qui peut encourager, accélérer l'évolution culturelle de l'Afrique noire.

Donc la proposition de résolution de M. Senghor, telle qu'elle a été approuvée à l'unanimité par la Commission des Affaires sociales, ne peut rencontrer d'opposition dans la Délégation de la Mauritanie qui représente un territoire essentiellement musulman, tenant à conserver son originalité et ou la culture arabe a eu son heure de célébrité[1].

(1) Extrait de La vie mauritanienne » N°16 daté du 16 Octobre 1949, Bulletin bimensuel d'informations locales (publié par le Gouvernement)

2- تعريب خطاب السيد جاورا صار:

ترجمة خطاب السيد جاوار صار أمام المجلس الكبير Le Grand Conseil حول تعليم اللغة العربية أكتوبر 1949م

سادتي،

إن البعثة الموريتانية تؤيد وتدعم من دون أي تحفظ اقتراح زميلنا البروفسور سنقور الرامي إلى تنظيم التعليم العربي في إفريقيا الغربية الفرنسية.

لقد كان حريا بمقرر لجنة الشؤون الاجتماعية أن ينوّه بالجهد المبذول في هذا الصدد في موريتانيا، ففي بلدي فضلا عن المدارس التي تعمل منذ أكثر من ثلاثين سنة، أنشأ في نوفمبر سنة 1947م بمرسوم من الحاكم نظام للتعليم الابتدائي مزدوج بين الفرنسية والعربية.

إن قدامى تلاميذ «المدارس» الحاصلين على شهادة الدراسة الفرنسية العربية، يوجدون بكثرة في شتى قطاعات الإدارة كمترجمين وكتاب وكمساعدين في قطاع التعليم، كما يمثلون نواة مهمة من المنتخبين في الجمعيات التشوارية المنبثقة عن دستور 1946م.

لقد عرفنا زمانا كانت فيه مدارس موريتانيا مزدهرة، أيام كان يقوم عليها جلة من الأساتذة القادمين من شمال إفريقيا، لا سيما الجزائر، أساتذة متعلمون باللغتين العربية والفرنسية، يساعدهم علماء في العربية يُختارون من أهل البلد أنفسهم.

لقد أبدل هؤلاء الأساتذة الجزائريون منذ سنة أو سنتين بمعلمين أوروبيين جاهلين تمام الجهل باللغة العربية. ولذا فهم رغم مشاعرهم الطيبة البديهية، ليسوا عاجزين عن تدريس هذه اللغة فحسب بل وكذلك عن مراقبة ما يقوم به مساعدوهم. تلك هي حال مدارس بوتيليميت وأطار

وكيفه وتتبدغه وتجقجه. وفي مدرستين اثنتين فقط من هذه المدارس يوجود اثنان من أبناء البلد من العرب يعملان فيهما.

المدارس في موريتانيا لا تحتاج إلا إلى إعادة تنظيم بحيث يصبح التلاميذ الذين مروا بكل مراحل هذا التعليم مخولين في أقرب وقت بتقديم الخدمات القيمة في إفريقيا الغربية أو الحصول على منح إلى فرنسا أو شمال إفريقيا بغرض تحسين مستوياتهم والحصول على شهادات ذات كفاءة معترف بها على المستوى الفرنسي.

وسيشكل هؤلاء الطلاب الممنوحون عند عودتهم إلى بلادهم مزودين بالمعارف المتقنة والتجربة الحقيقية، وقد أصبح أفقهم أوسع بفضل تواصلهم مع الخارج، نخبة من الأساتذة، تعليمنا بمسيس الحاجة إليهم في مسيرته نحو التقدم الحقيقي.

أما من جهة أخرى فإن كراسي العربية المطالب بإنشائها في مدارس الدرجة الثانية، يجب أن يوكل أمرها إلى رجال من أهل البلد أنفسهم مدركين بما فيه الكفاية لحوائج أبناء البلد ومتمرسين بالجوانب الفنية للتعليم. إن هذه الكراسي ضرورية في البلاد التي أمثل والتي تمثل العربية المشوبة -ولكنها تبقى عربية- فيها لغة التخاطب اليومية بين السكان المحليين. اللهجة الحسانية مشتقة من العربية، وأأكد لكم أن العربية بالنسبة لموريتانيا أكثر فائدة ثقافية وأكثر فائدة عملية من الإنجليزية والألمانية.

شئنا أم أبينا، سيظل الموريتاني دائما يسعى إلى تحسين مستواه في لغته العربية، من دون أن يعني ذلك أنه يكن رغبة خفية في أن يصبح تابعا لدولة من الدول العربية. إن تمسكه يظل قويا في نطاق ما يسمح له به دستور الجمهورية الرابعة، بعادات وتقاليد أسلافه القديمة ومعتقداته الدينية ومن ثمَّ بشخصيته الخاصة. وفي هذا المجال، ذكرت قبل سنتين في مداخلة لي

حول تغيير قانون الأحوال الشخصية بالنسبة لمواطني الاتحاد الفرنسي، أن فرنسا سمحت منذ 1918م، لرعاياها القدامى بطلب الجنسية الفرنسية، ومع ذلك لم يتقدم أي موريتاني بطلب أن يصبح مواطنا فرنسيا، ليس ذلك لأنهم يحتقرون هذه الميزة، ولكن لأنهم حريصون على التمسك بوضعهم الخاص.

زملائي الأعزاء،

لقد صوّتم في دورتكم الأخيرة على نص مهم، لا شك أنه ضروري للتطور السريع لبلادنا ولكن تطبيقه يمكن أن يواجه عراقيل كثيرة في البلاد الإسلامية مثل موريتانيا حيث الثقافة العربية سبقت التعليم الفرنسي، أقصد مرسوم رقم 1691/إ ن ت/إ ب بتاريخ 4 مايو 1949م القاضي بـ:

- وجوب التعليم الابتدائي منذ سن السابعة.
- وجوب ارتياد المدارس لكل الأطفال المسجلين على سجل مدرسة ابتدائية.

إن هذا القانون يحاكي على استحياء قانون 22 مايو 1246م المنظم للتعليم في فرنسا، محاولا أن يحد من مفعوله ليلائم الطاقة الاستيعابية للمدارس المخصصة للفصول التحضيرية في إفريقيا الغربية الفرنسية.

علمت بما وقع في السودان (مالي) وحزنت له. وأعلم أنه لتطوير بلد ما لا بد من تهذيب عامته وترقية مستويات نخبه. ولكنني أسألكم أتعتقدون بحق أن الموريتانيين سيقبلون بسرور أن يرسلوا أبنائهم البالغين سبع سنين إلى المدرسة الفرنسية ولم يعلموهم بعد أقل ما يعتبرونه من متطلبات وضعهم الخاص.

ما حدث في السودان سبق وأن حدث في موريتانيا. لقد اتخذ الحاكم العام للبلد المرسوم رقم 1184 بتاريخ 6 نوفمبر 1947م القاضي بإنشاء التعليم المزدوج في المدارس الابتدائية، للحد من ظاهرة التسيب وصعوبات

إلحاق الأطفال بالمدرسة، وذلك فهما منه بأن الطفل الموريتاني يجب أن يكون متعلما ملما باللغة العربية كما تريد العادات والتقاليد المحلية...

بالنسة لموريتانيا، يجب أن نراعي خاصيتها، لأن الأمة الفرنسية عندما وقعت على ميثاق الأمم المتحدة تعهدت بضمان التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لشعوب «ما وراء البحار» مع احترام ثقافاتهم. كما يجب أن نعود على ديباجة دستور الجمهورية ونتذكر أن تعريف الوحدة الفرنسية يستبعد ذوبان الأجزاء في الكل وامتصاصه لها (Assimilation)، لأن ذلك يفقد سكان إفريقيا الفرنسية شخصيتهم الخاصة.

لا يعقل في الوقت الذي تعيد الجمعيات الوطنية فيه النظر في إشكالية التعليم في بلدان ما وراء البحار بشكل عام، ويتحدث فيه عن إنشاء مراكز للثقافات المحلية في بلداننا، أن نغفل أهمية العربية وغيرها من المواد التعليمية المفيدة في تشجيع وتسريع خطى التطور الثقافي في إفريقيا السمراء.

هكذا إذن، بعد أن ساندت لجنة الشؤون الاجتماعية بالإجماع مقترح السيد سنقور، لا يسع مندوبية موريتانيا ذلك البلد المسلم والمتمسك بأصالته وثقافته العربية التي عرفت ازدهارًا عظيمًا في السابق، إلا أن تؤيد هذه المقترح.

الملحق الخامس

أهم التواريخ الواردة في الكتاب

وقد اعتمدنا في تحويل التاريخ من الهجري إلى الميلادي على موقع الباحث الإسلامي. http://www.islamicfinder.org

التاريخ: 116هـ/734م، **الحدث:** دخول الإسلام للبلاد الموريتانية.

التاريخ: 150هـ/767م، **الحدث:** أقدم ذكر للبلاد الموريتانية تحت اسم بلاد أنبية.

التاريخ: 380هـ/990 م، **الحدث:** احتلال مملكة غانه لأوداغست عاصمة الملثمين.

التاريخ: 430هـ/1038م، **الحدث:** حج الأمير المرابطي يحيى بن إبراهيم القدالي.

التاريخ: 432هـ/1040م، **الحدث:** وفاة الأمير التكروري المسلم وارا جابي.

التاريخ: 443هـ/1051م على الأرجح، **الحدث:** المرابطون يدخلون الرباط.

التاريخ: 446هـ/1054م، **الحدث:** استعاد الصنهاجيون أوداغست عاصمة مملكتهم.

التاريخ: 447هـ/1055م، **الحدث:** خروج المرابطين إلى سجلماسة.

التاريخ: 448هـ/1056م، **الحدث:** استشهاد كل من الأمير المرابطي يحيى بن عمر اللمتوني. ولبي بن وارا جابي.

التاريخ: 451هـ/1059م، **الحدث:** استشهاد الداعية المرابطي عبد الله بن ياسين.

التاريخ: 489هـ/1095م، **الحدث:** وفاة الإمام الحضرمي في أزوقي

التاريخ: 462هـ/1069م، **الحدث:** تأسيس مدينة مراكش على يد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني.

التاريخ: 465هـ/1072م، **الحدث:** سلم الأمير أبو بكر بن عمر حكم المرابطين في الشمال ﴿ المغرب ﴾ إلى ابن عمه يوسف ابن تاشفين

التاريخ: 469هـ/1075م، **الحدث:** دخول المرابطين لكمبي صالح عاصمة غانه.

التاريخ: 480هـ/1087م، **الحدث:** استشهاد الامير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني.

التاريخ: 532هـ/1137م، **الحدث:** تأسيس مدينتي تيشيت ووادان.

التاريخ: 623هـ/1226م، **الحدث:** تأسيس مدينة ولاته بعد سقوط كمبي صالح في يد الصوصو.

التاريخ: 633هـ/1235م، **الحدث:** تأسيس مملكة مالي على يد سون جاتا كيتا.

التاريخ: 724هـ/1324م، **الحدث:** حج الملك المالي منصا كانكو موسى.

التاريخ: 754هـ/1353م، **الحدث:** الرحالة المغربي ابن بطوطة يزور ولاته.

التاريخ: 838هـ/1434م، **الحدث:** البحارة يجاوزون لأول مرة رأس بجدور باتجاه غرب إفريقيا.

التاريخ: 849هـ/1445م، **الحدث:** احتلال البرتغاليين لجزيرة التيدره.

التاريخ: 873هـ/1468م، **الحدث:** تأسيس مملكة الصونغاي.

التاريخ: 893هـ/1488م، **الحدث:** قدوم البرتغاليين إلى وادان.

التاريخ: 902هـ/1496م، **الحدث:** حج الأسكيا محمد سلطان الصونغاي.

التاريخ: 913هـ/1507م، **الحدث:** أول ذكر لشنقيط في الكتب.

التاريخ: 917هـ/1511م، **الحدث:** الرحالة الحسن بن وزان (ليون الأفريقي) يزور مملكة الصونغاي.

التاريخ: 934هـ/1527م، **الحدث:** تأليف ثاني أقدم كتاب موريتاني مجمع الواداني.

التاريخ: 1002هـ/1593م، **الحدث:** احتلال السعديين لشاوه وسقوط مملكة الصونغاي.

التاريخ: 1009هـ/1600م، **الحدث:** خراب مدينة تازخت المجاورة لولاته على يد أولاد يونس.

التاريخ: 1071هـ/1660م، **الحدث:** تأسيس تجقجه.

التاريخ: 1082هـ/1671م، **الحدث:** حرب شربَبَّه

التاريخ: 1184هـ/1770م، **الحدث:** تأسيس إمامية فوتا تورو على يد الشيخ سليمان بال

التاريخ: 1211هـ/1796م، **الحدث:** الرحالة الإنجليزي منقو بارك يزور إمارة أولاد امبارك.

التاريخ: 1231هـ/1815م، **الحدث:** نالت فرنسا حق السيطرة على مراكز التجارة في المنطقة

التاريخ: 1241هـ/1825م، **الحدث:** الفرنسي رينيه كاييه يزور إمارة لبراكنه.

التاريخ: 1243هـ/1827م، **الحدث:** حج المرابط عمر الفوتي.

التاريخ: 1259هـ/1843م، **الحدث:** العقيد الفرنسي ج ف كاي Jean François Caille أول من أطلق اسم موريتانيا على هذه البلاد، وحدث أيضًا: الفرنسيون في السنغال يختطفون أمير لبراكنه المختار ولد سيدي.

التاريخ: 1266هـ/1849م، **الحدث:** بناء قرية آقريجيت .

التاريخ: 1275هـ/1858م، **الحدث:** الأمير محمد لحبيب ولد اعمر والأمير محمد ولد سيدي يوقعان اتفاقيات مع الفرنسي فيديرب يتخليان بموجبها عن سلطة إمارتيهما على الضفة الجنوبية لنهر السنغال.

التاريخ: 1277هـ/1860م، **الحدث:** مقتل الأمير محمد لحبيب

التاريخ: 1277هـ/1860م، **الحدث:** رحلة الفرنسي فنصان Vincent

إلى منطقة آدرار. وحدث **أيضًا**: الفرنسي ماج يزور إمارة ايدوعيش. وحدث **أيضًا**: حج المجاهد محمدُ الأمين درامي.

التاريخ: 1278هـ/1861م، **الحدث:** فتح سيقو على يد الحاج عمر الفوتي.

التاريخ: 1283هـ/1866م، **الحدث:** وفاة المرابط الحاج عمر الفوتي.

التاريخ: 1304هـ/1886م، **الحدث:** إعلان المرابط ممدو الأمين ادرامى الجهاد في منطقة النهر

التاريخ: 1305هـ/1887م، **الحدث:** استشهاد المجاهد ممدو الأمين ادرامى.

التاريخ: 1308هـ/1890م، **الحدث:** احتلال الفرنسيين لمنطقة ڤيدي ماغه.

التاريخ: 1309هـ/1891م، **الحدث:** احتلال فرنسا لمدينة انيورو. وحدث **أيضًا**: استشهاد الإمام عبدول بوكار، وحدث **أيضًا**: احتلال كيهيدي.

التاريخ: 1316هـ/1898م، **الحدث:** جولة كوبولاني في الحوض واتفاقية وارڤيطه مع محمد المختار ولد لحيميد، وحدث **أيضًا**: احتلال باسكنو وخروج المستعمر منه في نفس السنة.

التاريخ: 1318هـ/1900م، **الحدث:** الفرنسي بول بلانشى يزور إمارة آدرار، وحدث **أيضًا**: اتفاقية باريس بين فرنسا وإسبانيا لتقسيم بلاد البيضان.

التاريخ: 1320هـ/1902م، **الحدث:** اتفاقية أحمد سالم ولد اعلي مع الفرنسيين وضع بموجبها اترارزه تحت حماية فرنسا.

التاريخ: 1321هـ/1903م، **الحدث:** أول عملية جهادية ضد المحتل عند اخروفة.

التاريخ: 1323هـ/1905م، **الحدث:** استشهاد الأمير بكار ولد سويد أحمد، وحدث **أيضًا**: مقتل كوپولاني.

التاريخ: 1322هـ/1906م، **الحدث:** عام الأركاب.

التاريخ: 1322هـ/1906م، **الحدث:** معركة النيملان، وحدث **أيضًا**: بدء العمل في مصيدة نواذيبو.

التاريخ: 1326هـ/1908م، الحدث: معركة لفويشيشي.

التاريخ: 1327هـ/1909م، الحدث: احتلال مدينة أطار.

التاريخ: 1328هـ/1910م، الحدث: وفاة الشيخ ماء العينين.

التاريخ: 1330هـ/1912م، الحدث: احتلال تيشيت وأسر الأمير المجاهد سيد أحمد ولد أحمد ولد عيدّه، وحدث أيضًا: احتلال ولاته.

التاريخ: 1331هـ/1913م، الحدث: احتلال إصماره ومعركة تقليات. وحدث أيضًا: هزيمة جيش محمد الهيبه ولد الشيخ ماء العينين قرب مراكش.

التاريخ: 1334هـ/1916م، الحدث: مقاومة أهل عبدوكه في الحوض.

التاريخ: 1340هـ/5 ديسمبر 1920م، الحدث: القوات الفرنسية في آدرار تتصل بنظيرتها في الجزائر عند بير لمزرب بالحنك

التاريخ: 1340هـ/1921م، الحدث: إنشاء دائرة فيدي ماغه

التاريخ: 1344هـ/1924م، الحدث: استشهاد وجاهه عند بوفرن.

التاريخ: 1351هـ/1932م، الحدث: استشهاد الأمير سيد أحمد ولد أحمد ولد عيدّه، وحدث أيضًا: معركة أم التونسي.

التاريخ: 1352هـ/1933م، الحدث: عام المكاتبيّه.

التاريخ: 1363هـ/1944م، الحدث: ضم الحوض إلى باقي الأراضي الموريتانية.



ببليوغرافيا

أولا/المصادر العربية:

1- المراجع العامة:

المؤلفون وتآليفهم:

- اكسيل كابو، إفريقيا ترفض هذا النمو المستورد، ترجمة شاهين أبو عقل، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان 2000م.
- امحمد مصباح الأحمد، تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت 2001م.
- أبي عبد الله بن عبد العزير البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الجزائر، نشر البارون دي سلان 1911م.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الرابع تحقيق د/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. 1418- 1998م.
- أبوالعباس الناصري، كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى». تحقيق ابني المؤلف، دار الكتب، الدار البيضاء 1954م.
- إسلم بن محمد الهادي، موريتانيا عبر العصور، مطبعة الأطلس (بدون سنة طباعة)
- سعد غيث امطير، التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين 14 – 16، الطبعة الأولى دار الرواد 1996م.
- ابن بطوطة: الرحلة. دار صادر، بيروت 1412هـ – 1992م.
- أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي دار الغرب الاسلامي، بيروت – 1401هـ – 1981م.
- أبو بكر خالد با، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية: الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، منشورات المعهد العالي للبحث العلمي.

انواكشوط 1980م.

- ابـراهيم علـي طرخـان، امبراطوربـة غانـة الاسـلامية، نـشر الهيئـة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهـرة. 1390هـ - 1970م.
- أندريـه ميكـل الاسـلام وحـضارته، ترجمـة زينـب عبـد العزيـز، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيـروت 1981م.
- أوريـنـو دالارا، نـشأة التيـار الأفريقـاني. ترجمـة هيـثم اللمـع، سلـسلة دراسـات افريقيـة ، الـدار الجماهيريـة للنـشر والتوزيـع والاعـلان. ، ليبيـا 2001م.
- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال. الصلة، تحقيق ابـرهيم الأبيـاري، دار الكتـاب المـصري دار الكتـاب اللبنـاني، الطبعـة الأولى، 1410هـ - 1989م.
- أبـي بكـر محمـد بـن الحـسن المـرادي الحـضرمي، تحقيـق سـامي النشار ، دار الثقافة، الدار البيضـاء 1981م.
- أحمـدو ولـد سـيد، موريتانيـا: الماضـي المتحـرك والمكـان المـؤثر، الصراع ضد الطرد من الزمـن (لم يحدد مكـان تاريخ النشر).
- أحمـد بـن الأمـين الـشنقيطي، الوسيـط في تـراجم أدبـاء شـنقيط، المطبعة الجمالية الطبعة الأولى 1339هـ.
- اعزيـزي ولـد المـام، موسـوعة الأمثـال الحـسانية، مطبعـة الأطلـس، الطبعة الثانية.
- أبوبكـر أحمـد بـن محمـد الهمـداني المعـروف بـابن الفقيـه، مختـصر كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن بمطبعة ابريل سنة 1302م.
- ابـن أبـي زرع، الأنـيس المطـرب بـروض القرطـاس في أخبـار ملـوك المغـرب وتـاريخ مدينـة فـاس، منـشورات دار المنـصور للطباعـة والوراقـة، الرباط، 1972م.

- بابكر ابن حجاب: منظومة في تاريخ اترارزه 1185 - 1341هـ - 1771 – 1896م تحقيق خديجة بنت الحسين، بيت الحكمة، قرطاج 1991م.
- امحمد ولد أحمد يوره الديماني، إخبار الأحبار بأخبار الآبار، ترجمة بول مارتي، تحقيق أحمد ولد الحسن، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، 1992م.
- إسماعيل ولد محمد خيرات، التيارات السياسية في موريتانيا، أدوار لم تكتمل، المطبعة العصرية، الطبعة الأولى، فبراير 2007م.
- أحمد باب التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس - 1388هـ– 1989م.
- أحمد ولد حبيب الله، تاريخ الأدب الموريتاني، خلاصة جهود تاريخه وتأصيله وتصنيفه، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996م.
- ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، الجزء الثالث دار صادر، الطبعة الأولى 1328هـ.
- البان ج. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى تونبي ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت لبنان 1972م.
- الفع محمود كعت بن الحاج المتوكل التنبكتي. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر دلافوس مدرس اللغات السودانيات، باريس 1981م.
- المختار ولد حامد، التاريخ السياسي الجزء الأول من موسوعة حياة موريتانيا دار الغرب الاسلامي، بيروت 2000م.

- لوثروب ستودارد الأمريكي «حاضر العالم الاسلامي» تعريب الأستاذ عجاج نويهض تعليق الأمير شكيب أرسلان، المجلد الثاني الجزء الثالث، دار الفكر، الطبعة الرابعة 1394هـ - 1973م.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ **ليون الافريقي**، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية 1983م.
- الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس بمشاركة أدموند بنوا. 1981م.
- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م.
- الشيخ باب ولد الشيخ سيديا، إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين دراسة وتحقيق الطيب بن عمر يم الحسين الجكني، دار ابن حزم، بيروت - لبنان 1418هـ - 1997م.
- الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا صفحات من تاريخ العلاقات العربية الافريقية، دار الملتقى، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان. (بدون تاريخ نشر).
- المختار ولد حامد، الحياة الثقافية، الجزء الثاني من موسوعة حياة موريتانيا. الدر العربية للكتاب، 1990م.
- المصطفى ولد الكتاب، كتاب المناهج من بعض سير إدولحاج.
- المختار ولد كاكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، معالم على الطريق نحو كتابة سياق تاريخي مقبول، الطبعة الأولى. 2007م.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، عني بتنقيحها وتصحيحها شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، الجزء الثاني، بيروت 1966م.

- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى «مستقبل الماضي وماضي المستقبل» مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء 1991م.
- الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت - لبنان 1987م.
- القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5.
- الطالب اخيار بن الشيخ مامين، الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي رقم24 ، الجزء الثاني، 2007م.
- الشيخ سيدي بابه ولد الشيخ سيديا، إماراتا إدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق إزيد بيه ولد محمد محمود، طباعة المعهد التربوي الوطني - شركة الكتب الاسلامية، انواكشوط 1415هـ - 1994م.
- الشيخ محمد اليدالي الديماني، نصوص من التاريخ الموريتاني، تقديم وتحقيق محمدن ولد باباه، دار الحكمة، قرطاج 1990م.
- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة د. الهادي أبو لقمة ود. محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس. بنغازي 1988م.
- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة احتلال فرنسا المنطقة، تعريب محمد محمود ولد ودّادي. طباعة دار السراج - بيروت 2005م.
- كي زربو جوزيف، تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة د. عقيل الشيخ حسين، سلسلة دراسات افريقية، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان 2001م .
- جوزف هورس: قيمة التاريخ. ترجمة نسيم نصر، منشورات اعويدات بيروت 1974م.

- جيرالد دي غوري: حكام مكة، ترجمة محمد شهاب مكتبة مدبولي القاهرة (بدون تاريخ).
- حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1957م.
- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي خلال العصر الوسيط، من منتصف ق 2هـ-8م إلى نهاية ق 5هـ - 11م. دار المدار الاسلامي، بيروت 2007م.
- إزيد بيه ولد محمد محمود، وسيد أحمد ولد أحمد سالم، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1418هـ - 1998م.
- إزيد بيه بن محمد محمود، دراسة وتحقيق «امارتا ادوعيش ومشظوف» للشيخ سيدي بابه ولد الشيخ سيدي. الطبعة الثانية، المعهد التربوي الوطني 1994م.
- إزيد بيه ولد محمد محمود، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي، فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، الطبعة الثانية، 1424هـ - 2003م.
- محمد نجيب بو طالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (41) بيروت 2002م.
- محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1994م.
- محمد بن عبد الحي، العاصمة الثقافية الوطن العربي، ضمن «التواصل الثقافي، بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه»، انواكشوط، منشورات دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة. 29 - 30 يونيو حزيران 1998م.

- أحمد مختار **العبادي** في تاريخ المغرب والأندلس دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.(بدون تاريخ).
- لسان الدين **بن الخطيب** رقم الحلل في تاريخ الدول. طبعة تونس سنة 1316هـ.
- محمد سعيد **القشاط**: الطوارق عرب الصحراء الكبرى. مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء. مطبعة ايتار الطبعة الثانية. 1989م. (بدون تاريخ نشر).
- محمد امبارك **اللمتوني**، تاريخ المرابطين وفتوحاتهم، مخطوط نشر ترجمة منه، نوريس.
- محمد صالح **بن عبد الوهاب الناصري**، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تقديم وتحقيق زيد بيه ولد محمد محمود، وأحمد ولد محمد سالم، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1418هـ - 1998م.
- محمدُ **ولد محمدن**، المجتمع البيضاني في قـ 19 قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية. منشورات معهد الدراسات الافريقية. 2001م.
- محمد عبد الرحمن **ولد عمار**، التغلغل الاستعماري في موريتانيا من قـ 19 حتى سنة 1934م مطبعة الدستور انواكشوط 2003م.
- محمد محمود ولد أحمد ولد سيدي يحي، المجتمع الفضفاض، ملاحظات سوسيو نقدية حول المرأة والسلطة والثقافة في المجتمع الموريتاني المعاصر، نشر مؤسسة الثقة للمعلوماتية، انواكشوط 2002م.
- محمد فال بن بيانه العلوي «كتاب التكملة» في تاريخ إمارتي لبراكنة والترارزة. تحقيق الأستاذ: أحمد ولد الحسن. نشر: المؤسسة الوطنية للترجمة والحقيق والدراسات (بيت الحكمة)؛ تونس 1986م.
- محمد **ولد بوعليبه**، محاضرات في الأدب والنقد، منشورات جامعة انواكشوط. 1999م.

- محمد المختار ولد السعد، الفتاوي والتاريخ، دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل ، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2000م.
- محمد المختار ولد السعد. الإمارات والنظام الأميري الموريتاني، النشأة والأطوار السياسية الكبرى. شركة أبوظبي للطباعة والنشر «بن دسمال» الطبعة الأولى، نوفمبر 2007م.
- محمد سعيد ولد أحمد، موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الافريقي. دراسة في إشكالية الهوية السياسية 1960 – 1993م. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003م.
- ماء العينين بن محمد فاضل بن الشيخ أحمد السباعي، كتاب الأنساب في صالح الأنساب، 1424هـ – 2003م، (لم يذكر دار الطباعة).
- مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، تحقيقهوداس بمشاركة أدموند بنوا. 1966م.
- موسوعة تاريخ إفريقيا العام، منشورات اليونسكو، المجلد الثالث 1997م.
- محمد حامد ول آلا : ديوان وشعر الشيخ محمد حامد بن آلا ، تحقيق أحمد سالم ولد محمدُو. بدون دار نشر، طبع سنة 1997م.
- عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات. دار الجيل بيروت 1991م.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، دار الجيل بيروت (بلا تاريخ نشر).
- عبد الرحمن زكي، الاسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الاسلامية في القاهرة، مطبعة يوسف. (بدون تاريخ نشر).

- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، طباعة دار الأمين، القاهرة.. 2000م.
- عبد العالي أحمد محمد، الاسلام في غرب القارة الافريقية، جذوره الأولى ووسائل انتشاره، نشرة البحوث والدراسات الافريقية. (بدون تاريخ نشر).
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت 2000م.
- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. م ج 6. 1431هـ - 2000م.
- فيج - جي - دي. . تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق د.السيد يوسف نصر ومراجعة د. بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة 1982م.
- هنرى ويسلنغ، تقسيم إفريقيا 1880- 1914م. أحداث مؤتمر برلين وتوابعه السياسية، ترجمة ريما إسماعيل، سلسلة دراسات افريقية رقم 5. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا. 2001م.
- همام فال، نزهة الأيام ومصباح الظلام.
- يوسف شلحت، مدخل إلى علم اجتماع الاسلام من الأرواحية إلى الشمولية، تعريب خليل احمد خليل، الطبعة الأولى 2003م.
- الاستعمار والفراغ، مجموعة البحوث المقدمة في المؤتمر العلمي العالمي حول الاستعمار والفراغ، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1911م.
- محمد الراظي بن صدفن، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 1900 - 1969م،

المطبعة الوطنية، انواكشوط (لم يذكر تاريخ النشر).

• محمد ولد عبدي: ما بعد المليون شاعر مدخل لقراءة الشعر الموريتاني المعاصر. دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة. 2000م.

• النقيب/غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا: ق 17-1920م. (تعريب وتعليق) ولد محمد ولد بيه (المقدم/محمد المختار). مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع. انواكشوط - موريتانيا.

• Aban G. Widgery: المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم بيروت لبنان 1972م.

• سيدي محمد الكنتي (تـ 1242هـ - 1826م) من نصوص التاريخ الموريتاني «الرسالة الغلاوية»: تحقيق ودراسة د. حماه الله ولد السالم، منشورات مؤسسة الشيخ امرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

2-الرسائل الجامعية:

• محمد المحجوب ولد محمد المختار ولد بيه: «مساهمة في تاريخ الأدب الموريتاني منذ الغزوالاستعماري إلى اليوم» دكتوراه باريس III تتناول المقاومة أدبيا وعسكريا موجودة في السربون وفي المكتبة الوطنية في باريس وبوبندو وكلية الآداب جامعة انواكشوط والمعهد الموريتاني للبحث العلمي والمركز الثقافي الفرنسي ...

• محمد ولد سيد محمد ولد أحمد، 2001م الاصلاح الاسلامي في غرب إفريقيا (الحركة الامامية في فوتا تورو: 1776 – 1834م). رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ بقسم البحوث والدراسات العربية، التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور السيد فليفل.

• بوها ولد عثمان ولد زين الدين 2004م، المقاومة الموريتانية المسلحة من 1900 حتى 1932م من خلال كتاب «مساهمة في التاريخ الأدبي

الموريتاني من الاحتلال حتى اليوم» لمؤلفه الدكتور محمد المحجوب ولد محمد المختار ولد بيه. رسالة متريز في التاريخ جامعة نواكشوط. تحت إشراف الأستاذ محمد عبد الرحمان ولد عمار.

• السالكة بنت اسنيد، 1986م «المثقف الموريتاني وعلاقته مع الفرنسيين من خلال طرائف ابن أحمد فال دراسة وتحقيق» رسالة الاجازة في اللغة والآداب من جامعة انواكشوط تحت إشراف الأستاذ احمد بن امبيريك.

• حمادي بن المرتجى، الشعر في ولاتة في قـ 14 هـ، مذكرة نهاية الدراسة، بإشراف فرج بن رمضان، المدرسة العليا للأساتذة والمفتشين. 1938م.

• محمد ولد محمد سدينا ولد محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية الاجتماعية في منطقة الترارزه خلال قـ 19م - 13هـ. من خلال فتاوي محنض بابه بن اعبيد ومحمذن فال بن متالي، بحث لنيل الاجازة (المتريز) في التاريخ تحت إشراف الأستاذ محمد المختار ولد السعد، السنة الجامعية 1989-1990م، جامعة انواكشوط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ.

• فاطمة بنت الامام «المقاومة الدينية من خلال المحاظر» بحث لنيل الاجازة في التاريخ من جامعة نواكشوط، تحت اشراف الاستاذ ازيد بيه بن محمد محمود. السنة الجامعية 1989- 1990م.

• فهرس مكتبة المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، الجزء الأول، إعداد أحمد بن محمد يحي، سيد أحمد بن أحمد سالم، محمد محمود بن الزبير، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي. سنة 1416هـ - 1906م.

3-الدوريات:

- الشعاع دورية تصدر عن المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية عدد ربيع الأول 1410هـ اكتوبر 1989م. انواكشوط.
- مجلة مصادر تابعة لمخبر الدراسات والبحوث التاريخ في كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة انواكشوط موريتانيا. الكراس الرابع انواكشوط 2004م.
- مجلة الوسيط تصدر عن المعهد الموريتاني للبحث العلمي عدد 1 وعدد 5، انواكشوط.
- جريدة الشعاع سلسلة مقالات «موريتانيا قبل ألف سنة» انواكشوط 1989م،
- مجلة التعليم عدد 28 . انواكشوط 1989م.

4-السير الذاتية:

- مذكرات الرئيس المختار ولد داداه، موريتانيا على درب التحديات: منشورات KARTHALA باريس 2006م.
- الدكتور محمد المحجوب ولد بيه، أتذكر ، ذكريات وخواطر وأحداث، شركة الطباعة والتمثيل التجاري. انواكشوط. 2004م.

5-المقابلات:

- محمد ولد حبيبان: وجيه مثقف، رتب اللقاء معه كاتب الضبط الأستاذ الطالب أحمد ولد عمار. سنة 1976م في كيفة.
- محمد ولد الصفرة: مقاوم موريتاني شارك في عملية قتل كوبولاني التقيته سنة 1977م في انواكشوط.
- سيني ولد الدرويش: مقاوم موريتاني شارك في الجهاد في السنوات العشرين ألقي عليه القبض يوم تِفيفَلْ سنة 1932م، التقيت به سنة 1975م عند قرية تض قرب اكصير الطرشان.

- حمود ولد أحمدو ولد لمحيميد: رئيس البرلمان الموريتاني في مطلع الستينات أجريت معه مقابلة سنة 1984م في انواكشوط
- اَبُّوهْ ولد حدمين أستاذ وبرلماني موريتاني. من وجهاء الحوض أجريت معه مقابلة سنة 1976م. وسنة 2008م.
- المصطفى ولد الكتاب، عالم ومؤرخ ووجيه موريتاني التقيته سنة 1975م في وادان.
- اَعْلِ ولد محماده ولد ابيه الملقب ولد ادياه وجيه من الطرشان . التقيته في اكصير الطرشان سنة 1976م. سجلت من عنده ما يعرفه عن تاريخ آدرار.
- محمد سالم ولد باكاه : مؤرخ ووجيه موريتاني التقيته سنة 1976م في انواكشوط.
- سيد ولد حنن ولد هنون وجيه موريتاني ورئيس قومه في منطقة باسكنو التقيته سنة 1976م في باسكنو.
- أبَّ ولد جودتي، عالم ومؤرخ، التقيته سنة 1976م في باسكنو.
- سدات ولد الشيخ المصطف: مؤرخ موريتاني له اعتناء كبير بالبحث والتنقيب تجول مدة طويلة في المناطق الموريتانية خاصة الشرقية ، أجريت معه مقابلة سنة 1976م في لعيون.
- أحمد ولد حكي قاضي تامشكط وجيه من المنطقة، له تأليف في تاريخ أهل الكدية، التقيته في كيفه سنة 1976م.
- أحمد محمود ولد مودي : قومياوي من أهل كيفه شارك في معظم معارك المستعمر في المناطق الشرقية، التقيته سنة 1976م في كيفة عند كاتب الضبط السيد الطالب أحمد ولد عمار.
- امحمد ولد محمد ولد الميداح: فنان تقليدي من أسرة اهل مانو وهي أسرة فن عريقة في ولاية الترارزه، التقيته سنة 1976م في انواكشوط.

- مالُ ولد امحماد ولد الجيش، فنان من أسرة أهل انجرتو وهي أسرة فن عريقة في وسط البلاد، التقيته في كيفه سنة 1976م.
- محمد ولد سيدي ولد الطيب من علماء المنطقة الشرقية، أجريت معه مقابلة سنة 1976م في قرية تنحماد، شمال لعيون.

ثانيًا: مصادر ومراجع غير عربية

RESSOURCES

Bibliographie Générale

▪ Auteurs et ouvrages

o **AMBLARD** S., «Tichitt-Walata, Civilisation et Industrie Lithique Ed. Recherches sur les Civilisations. Paris 1984.

o **AVITY**, P (d'),"Description générale de l'Afrique, seconde partie du monde", Hachette. Paris, 1972.

o **BA Oumar**, "Le", Foûta Tôro au carrefour des cultures, les peuls de la Mauritanie et du Sénégal," l'Harmattan, Paris, 1977.

o **BARRY**, B, "Le royaume du Waalo, Le Sénégal avant la conquête," KARTHALA. Paris, 1984.

o **BARTH** Heinrich، "Reissen und Entdeckungen in Nord und Central Afrika in den Jahren 1849 bis 1855, Fünfter Band, Gotha: Justus Perthes 1858 ".

o **BASSET, R.**, "Mission au Sénégal", Tome 1, E.LEROUX, Paris, 1909.

o **BECHET,** E., "Cinq ans de séjour au Soudan français", Lib PLON. Paris, 1889.

o **BERTHOME** Edouard (Général), , "Méhariste en Mauritanie, en colonne vers Smara 1907-1913", Karthala. Paris,1996.

o **BONTE,** P, "l'Emirat de l'Adrar, Esquisses historiques." Coopération Française, Nouakchott, 1998.

o **BOUGLE** C, "Essai sur le régime de castes", Paris,

1908.

o **BRADLEY** P., **Raynaut** C. **Torrealba** J., "Le Guidimaka Mauritanien, Diagnostic et propositions d'action", Imp War on Want, London , 1977.

o **CA DA MOSTO**, A, "Voyage en Afrique noire 1455-1456 relations traduites de l'italien et présentées par F. Verrier";, Chadeigne/Unesco Lib. Portugaise. Paris, 2003.

o **CARATINI** Sophie, "les Rgaybât", tome 1, l'Harmattan, Paris, 1989.

o **COPPOLANI** Xavier, "Mauritanie Saharienne (Novembre 1903 à Mai 1904)", l'Harmattan, Paris, , 1999.

o **COPPOLANI** Xavier, "Xavier Coppolani Fils de Corse, Homme d'Afrique : Fondateur de la Mauritanie". l'Harmattan, Paris, 2005.

o **CORNEVIN** R. et M., "Histoire de l'Afrique, des origines à la 2ème guerre mondiale", Petite Bibliothèque Payot, 4ème édition mise à jour. 1974.

o **DARD**,C, , "La Chaumière africaine" Dijon. 1824.

o **DE CHASSEY** Francis, "Mauritanie 1900-1975;" l'Harmattan, Paris, 1984.

o **DE CHASSEY** Francis et **BALLANS**, J.L, "Introduction à la Mauritanie,", CNRS. Paris, 1979.

o **De VILLASANTE CERVELLO** Mariella, "La Négritude ; une forme de racisme héritée de la colonisation française ?" Réflexions sur l'idéologie négro-africaine en Mauritanie; In Le Livre noir du colonialisme XVI – XXI siècle: de l'extermination à la repentance, Sous la direction de Marc Ferro. Ed. Hachette Littérature, collection Pluriel, Paris, 2003.

o **DEPONT, O. & COPPOLANI** Xavier., "Les confréries religieuses musulmanes," Maisonneuve et Geuthner, Paris, 1987.

o **DESIRE VUILLEMIN** Généviève, "Histoire générale de la Mauritanie, des origines aux indépendances", Karthala , Paris 1997.

o **DIOP** Ch. Anta, "Nations Nègres et Culture, De l'Antiquité nègre égyptienne aux problèmes culturels de l'Afrique Noire d'aujourd'hui," quatrième édition, Présence Africaine, Paris, 2005.

o **DONNET** Gaston, Membre de la Société de Géographie, Sahara et Soudan, "une mission française à Tombouctou. L'Algérie unie au Sénégal par Paris" Imp. Joseph Kugelmann.

o **DOULS** Camille. "Voyage d'exploration à travers le Sahara Occidental et le Sud marocain", Imp de Espérance Cagniard, Rouen, 1888.

o **DURAND** Jean Baptiste Léonard, "Voyage au Sénégal", Henri Agasse, Paris , 1802.

o **ECH Chenguiti** Ahmed Lamine, El Wasit, tr Mourad Teffahi, IFAN, Saint Louis Sénégal 1953.

o **EL MAURITANYI** Hamid, "L'indépendance" ...néo-coloniale, Mauritanie, combattre pour l'indépendance et le socialisme;" Paris 1974.

o **FAIDHERBE** Louis., "le Soudan français", tome 1 "Chemin de fer de Medine au Niger", Imp. L. Danel, Lille, 1881.

o **FAIDHERBE** Louis. "le Sénégal: la France dans

l'Afrique Occidentale,", Hachette et Cie. Paris,1889.

o **FREREJEAN** Commandant,; "Mauritanie 1903-1911, Mémoires de randonnées et de guerre au pays des Beidanes,", Karthala. Paris 1995.

o **GABY** Jean-Baptiste, "Relation de la Nigritie contenant une exacte description de ses royaumes et de leurs gouvernements, la religion, les mœurs, coustumes et raretez de ce païs, avec la découverte de la rivière du Senega, dont on a fait une Carte particulière," EDMS Couteroy, Paris, 1689.

o **GILLIER**, Cdt b., "La pénétration en Mauritanie," Geuthner , Paris, 1926.

o **GOLBERY**, X (de), "Fragmens d'un voyage en Afrique : fait pendant les années 1785, 1786 et 1787, dans les contrées occidentales de ce continent, comprises entre le cap Blanc de Barbarie et le cap de Palmes," Hachette, Paris, 1972.

o **GOUILLY**, A., "L'Islam dans l'Afrique Occidentale française", , Larose. Paris, 1952.

o **GOURAUD** (Général), "Mauritanie: Adrar, Souvenir d'un africain", Lib Plon , Paris, 1945.

o **HARDY**,G., ,"Une conquête morale," Armand Colin, Paris 1917.

o **JAUBERT** Amédée tr, "Géographie de l'Idrissi", tome 1.

o **JUS** Christelle, "Tracer une ligne dans le sable, Soudan français- Mauritanie, une géopolitique coloniale (1880-1963)", l'Harmattan, Paris, 2003.

o **KABA**, L, "Cheikh Mouhammad Chérif et son temps, Islam et société à Kankan, 1874-1955", , Présence Africaine.

Paris, 2004.

- **KAMARA**, S. M, , "Florilège au jardin de l'histoire des noirs "Zuhur Al-Basatin", CNRS. Paris, 1998.
- **KANE**, O., "La première hégémonie peule", Karthala Paris, 2004.
- **LAIGRET** Christian, "La naissance d'une Nation", Nouakchott, 1969.
- **LEYDEN** John (1775-1811) "Histoire complète des voyages et découvertes"
- **MAHAUT**, Ch,"La colonie du Haut Sénégal et Niger", Georges Cres et Cie , Paris, 1910.
- **MANGIN** (lieutenant colonel), , "la Force Noire", Hachette. Paris, 1910.
- **MARTY** Paul, "Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan," Tome II, , E.Leroux. Paris, 1920.
- **MOLLIEN**, G.T,"Découverte des sources du Sénégal et de la Gambie en 1818.", C. Delagrave. Paris, 1889.
- **MONOD** Théodore, , Méharées, Col Thesaurus, Actes Sud, Paris, 1997.
- **MONOD** Théodore, "Majabat Al-Koubrâ", Col Thesaurus, Actes Sud, Paris, 1997.
- **MONTEIL** Vincent, "L'Islam noir- Une religion à la conquête de l'Afrique", Seuil, Paris, 1987.
- **MOREAU**, R.L, "Africains musulmans", Présence Africaine. Paris, 2000.
- **NAÏMI**, M, "La dynamique des alliances ouest-sahariennes", Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme. Paris, 2004.

o **NORRIS**, H.T.. " Saharan myth and Saga", Oxford, Clarendon Press. 1971.

o **OULD AHMED MISKE** Ahmed Baba, "lettre ouverte aux élites du tiers-monde", Ed. Le Sycomore, Paris, 1981

o **OULD BAH** Mohamed El Mokhtar, "La littérature juridique et l'évolution du Malikisme en Mauritanie," Publication de l'Université de Tunis, 1981

o **OULD CHEIKH** Abdel Weddûd, "Société et Culture adraroises in "Sahara, l'Adrar de Mauritanie, Sur les traces de Théodore Monod".

o **OULD HAMODY** Mohamed Saïd, , Bibliographie générale de la Mauritanie, Collection Connaissance de la Mauritanie, Centre Culturel Français de Nouakchott, 1995.

o **OULD KHALIFA**, A, , "La région du Tagant en Mauritanie, l'oasis de Tijigja entre 1660 et 1960" Karthala. Paris, 1998.

o **OULD MOULAY** Ahmed Saleh, "De Thalès à Einstein, l'histoire de la Science à travers ses grands hommes", Ed. Studyrama. Paris, 2007.

o **PEROZ**, E, "Au Soudan français, Souvenirs de guerre et de mission", C. Levy. Paris, 1889.

o **PERSON**,Y., , "Samory tome II Une révolution Dyula", IFAN, Dakar. 1970.

o **QUELLIEN**,A., "La politique musulmane dans l'A.O.F", Larose, Paris 1910.

o **RAFFENEL**,A., "Nouveau voyage au Pays des Nègres", Napoléon Chaix et Cie ,Paris, 1856.

o **RAILLE**, "La colonne Bonnier, massacre de Dongoï, 15 janvier 1894", Reims, Imp Coopérative. 1896.

o **RECLUS**, E., , "Nouvelle géographie universelle, la terre et les hommes", Tome 12 , Hachette. Paris, 1887.

o **REZETTE** Robert, "Le Sahara Occidental et les frontières marocaines", nouvelles éditions latines, 1975.

o **ROBERT D.et S. Devisse J., Tegdaoust** I, "Recherches sur Aoudadhost",Paris, 1970.

o **ROBINSON**, D. &**TRIAUD**, J-L., ed., "le temps des marabouts", Karthala. Paris, 1997.

o **ROBINSON**, D., "La guerre sainte d'al-Hajj Umar,", Karthala. Paris, 1988.

o **SALL** Ibrahima Abou, "Mauritanie du Sud, conquêtes et administration coloniales françaises 1890-1945", Karthala, Paris.

o **SOURDEL** Janine et **Sourdel** Dominique, "Dictionnaire historique de l'Islam", Quadrige, PUF, 2004

o **SOW** A A, "La Mauritanie; mon pays natal: mémoires", l'Harmattan, Paris, 2003.

o **TAINE-CHEIKH**, Catherine, "Dictionnaire Hassaniyya français," Geuthner, Paris, 1988.

o **TALL** Madina Ly, "l'Empire du Mali", Les nouvelles Editions Africaines, Dakar-Abidjan, 1977,

o **TRAORE** Alioune, "Islam et Colonisation en Afrique, Cheikh Hamahoullah, Homme de Foi et Résistant", Edt Maisonneuve et Larose, Paris, 1983.

o **VILLASANTE-DE Beauvais** Mariella, "Parenté et Politique en Mauritanie, Essai d'anthropologie historique",

l'Harmattan, Paris 1998.

o **YATERA** Samba, "La Mauritanie Immigration et développement dans la vallée du fleuve Sénégal". L'Harmattan Paris 1997.

o **ZOUBER** Mahmoud Abdou, "Ahmed Baba De Tombouctou (1556-1627), Sa vie et son Œuvre," G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1977.

o "Recueil des traités de la France", tome 7, A. **Durand** et **Pedaune** Lauriel, Editeurs, Paris, 1880.

o "Tegdaoust III, Recherches sur Aoudaghost", Editions Recherche sur les Civilisations.

o "Le livre noir du colonialisme XVI – XXI siècle : de l'extermination à la repentance", sous la direction de Marc **Ferro**, ed. Hachette littérature, collection Pluriel, Paris 2003.

Thèses et Mémoires

- **BA** Aliou Ibra, "Les Mauritaniens face à la pénétration française de 1900 à la 1ère guerre mondiale", Mémoire de Maîtrise d'histoire, sous la direction de Mme Coquery–

- **DIA** Abdoulaye Alassane, "Contribution à l'étude de l'Histoire Coloniale: L'école Française en Mauritanie (1904-1960)". Mémoire de maîtrise sous la direction de Dr Mohamed Ould Maouloud, à l'Université de Nouakchott en 1987-1988.

- **DIENG** Amadou Tidiane, "Formation et Evolution de la Principauté de Dekle au Fouta- Tooro 1718-1776". Memoire de Maîtrise, sous la direction de Gnokane Adama, Année universitaire 1989-1990, Université de Nouakchott, Département Histoire.

- **GUEYE, B, 1990,** "l'Evolution politique du

Guidimagha Mauritanie (1808 – 1914)," Mémoire de Maîtrise à l'université de Nouakchott 1989-1990.

- **OULD BOYE,** Mohamed Elmahjoub, 1989, "Contribution à l'histoire littéraire de la Mauritanie, de la pénétration coloniale à nos jours," Thèse de Doctorat à Paris III.

- **OULD CHEIKH**, Abdelwedoud, 1985, "Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XI-XIX siècles), Essai sur quelques aspects du tribalisme", Thèse pour le doctorat en sociologie à Paris V.

- **OULD MOULOUD**, Mohamed., 1998, "Tichit avant le déclin",thèse de doctorat à Paris I.

- **OULD NENNI** Cheikhna, "La Transition constitutionnelle en Mauritanie", Mémoire de Master2 Recherche, Université du Havre, Faculté des Affaires Internationales, sous la direction. du Professeur Gilles Lebreton, Année Universitaire 2005-2006

REVUES

KAMARA, A, Samba Gueladio (épopée peule du Fouta Tooro), Traduit par Issagha Correra, Initiations et études africaines, n° 36.

LERICHE, Albert, avril 1952, Bulletin de l' IFAN tome XIV No2

LERICHE Albert, Terminologie géographique maure, Etudes Mauritaniennes, n°6, IFAN, 1955.

- Bulletin de la Société de géographie (Paris). 1837 . Janv.-juin 1837 (2e sér./T. 7/N° 37-42)

- Bulletin de la Société de géographie, juin – déc. 1921

- Bulletin de la Société de géographie. Janv. - juin 1833
- Revue Coloniale, 1904
- La nouvelle revue d'histoire n: 22 Janvier Février 2006
- La Quinzaine coloniale Janv. - Juin 1907
- La Quinzaine coloniale n° juillet 1901
- La Quinzaine coloniale, 16 année, 1912, JANV-JUILLET
- Revue Coloniale, Janv. – Déc. 1909
- Revue du monde musulman n° Déc. 1913 (7e année/Tome vingt-cinquième)
- Revue du monde musulman n° Nov. Déc. 1890.
- Revue du monde musulman, tome 20, Sept 1912.
- Revue du monde musulman, Sept.- déc. 1910 (4e année/Tome douzième/N 09-12)
- Revue du monde musulman, tome 36. 1918.
- Revue maritime et coloniale 1863 tome 8 Faidherbe l'Avenir du Sahara et du Soudan pp 221-227.
- Revue maritime et coloniale, Jan. Juin 1861
- Revue maritime et coloniale, Mai à Juillet 1872
- Mélanges Ethnologiques, Mémoires de l'Institut Français d'Afrique Noire, n°23, IFAN, Dakar, 1953.
- Société de géographie commerciale de Bordeaux, 15 janv.-15 déc. 1908 (2e sér./31e année/N °1-12)

- **Rapports**

Rapport sur la désertification en Mauritanie, République Islamique de Mauritanie, Nouakchott , Juillet 1988.

الفهارس

فهرس الأعلام

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

ق

ك

ل

م

ن

فهرس الأماكن والبلدان

ڤ

C

M

P

S

ا

ت

ج

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ك

ل

م

ي

فهرس: المجموعات والدول والقبائل

ا

ب

ت

ج

ح

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

هـ

و

فهرس الموضوعات

